تخليداً للذكرى الأولى لرحيل عميد الأدب المغربي

مـــدارات الـوفــاء والاعتراف

شهادات في ذكرى رحيل المفكر والأديب

الدكتور عباس الجرَّاري

إعداد و تنسيق

حميدة الصائغ الجراري مصطفى الجوهري

منشورات النادي الجراري -117-

بسم الله الرحمن الرحيم

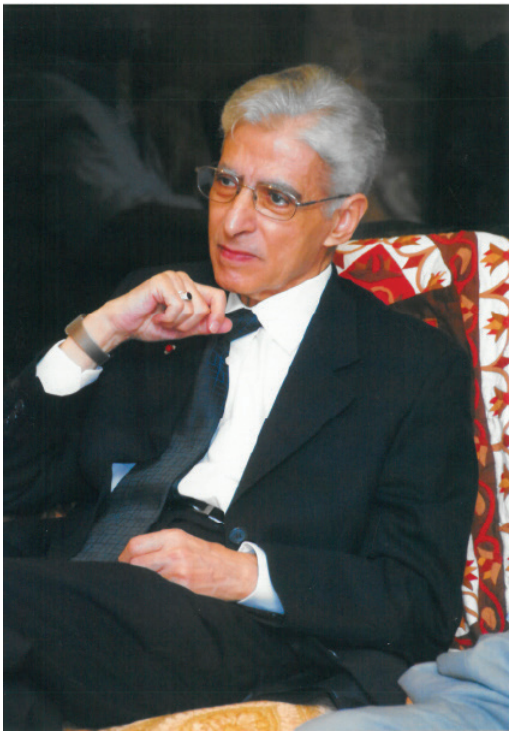

إهـــــداء:

إلى روح أستاذ الأجيال

الدكتور عباس الجرَّاري رحمه الله

عميد الأدب المغربي

شكـر وامتنـان

إلى
فضيلة الأستاذ الدكتور سالم بن محمد المالك
المدير العام لمنظمة الإيسيسكو
الذي تفضل بتصميم وطبع أعمال هذا الكتاب
فله منّا جزيل الشكر وخالص الامتنان.

حميدة الصائغ الجراري

الرسالة الملكية السامية

لتعزية أفراد أسرة الفقيد

الأستاذ عباس الجراري

جلالة ملك المغرب
الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.
محبي جنابنا الشريف أفراد أسرة
المرحوم العلامة والأديب المفتدر الأستاذ عباس الجراري
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،
وبعد، فقد تلقينا بعميق الأسى والأسف النبأ المحزن لوفاة المشمول بعفو الله ومغفرته، مستشار جلالتنا السابق العلامة والأديب المفتدر الأستاذ عباس الجراري، تقبله الله في عداد الصالحين من عباده.
وبهذه المناسبة المحزنة، نعرب لكم، ومن خلالكم لكافة أهلكم وذويكم، ولأسرة العلماء الأجلاء بمملكتنا الشريفة، وبجميع محبيه وذويه، عن أحر تعازينا وأصدق مشاعر مواساتنا، في هذا الرزء الفادح، الذي لا إرادة لقضاء الله فيه، سائلين عز وجل أن يعوضكم عن فقدانه جميل الصبر وحسن العزاء.
إن رحيل الفقيد لا يعد خسارة لأسرته الموقرة فحسب، بل إنها خسارة أيضا للمغرب الذي

فقد برحيله شخصية أكاديمية فذة مشهود لها بغزارة العطاء في المجالات العلمية والأدبية والدينية، مستحضرين بكل إجلال، ما كان يتحلى به الفقيد من دماثة الخلق، ومن خصال رجال الدولة الأوفياء والعلماء الأجلاء، ومن غيرة وطنية صادقة، حيث كان، رحمه الله، مثالا يحتذى في التشبث بثوابت الأمة ومقدساتها، والتعلق المتين بالعرش العلوي المجيد.

كما أننا نستحضر، ونحن نستشعر فداحة هذا الرزء الذي ألم بأسرتكم، ما كان يحظى به الراحل من احترام وتقدير كبيرين من لدن المثقفين والأكاديميين في المغرب وفي العالم العربي والإسلامي، فضلاً عما كان يتمتع به من نزاهة فكرية وكفاءة عالية، واقتدار مكين في سائر المهام الجامعية والسامية التي أنيطت به، سواء في عهد والدنا المنعم، جلالة المغفور له الحسن الثاني، قدس الله روحه، أو تحت إمرة جلالتنا.

وإذ نشاطركم أحزانكم في هذا المصاب الجلل، لنضرع إلى الله العلي القدير بأن يجزي الفقيد المبرور الجزاء الأوفى على ما قدم لمليكه ولأمته ودينه من جليل الأعمال، وصادق الخدمات، وأن ينعم عليه بالرضوان، مشمولاً بالرحمة والغفران، ويرفع مقامه في أعلى عليين مع الذين أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، ويجعله من الذين حق فيهم قوله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا". و"إنا لله وإنا إليه راجعون". صدق الله العظيم.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الأحد 9 رجب 1445 هـ، الموافق 21 يناير 2024 م.

محمد السادس
ملك المغرب

تعزية و شكر

لصاحب الجلالة الملك محمد السادس

نصـره الله

نعم سيدي أعزك الله
برقية تعزية
وتشكر وعرفان وولاء وإخلاص
مرفوعة إلى أمير المؤمنين
صاحب الجلالة الملك محمد السادس
نصره الله وأيده

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

مولاي صاحب الجلالة والمهابة أيدكم الله وأدام عزكم ونصركم

بعد تقبيل يديكم الكريمتين وتقديم ما يليق بمقامكم العالي بالله من فروض الطاعة والإجلال والإخلاص والوفاء، أتشرف أصالة عن نفسي ونيابة عن أفراد أسرة والدي المرحوم عباس الجراري، أن أرفع إلى الجناب الشريف، أسمى عبارات الشكر والامتنان والعرفان على العناية الخاصة التي أوليتموها دائما وآخرها رعاية جلالتكم لفقيدنا خلال أزمته الصحية، وواصلت جلالتكم ببرقية التعزية السامية التي أعربتم فيها، عن صادق مشاعر المواساة في هذا المصاب الجلل الذي لا راد لقضاء الله فيه.

وبهذه المناسبة الحزينة، نتقدم لجلالتكم بخالص التعازي في وفاة خديمكم الوفي، مستحضرين تفانيه الصادق تحت إمرة جلالتكم وفي خدمة فقيد الأمة والدكم المنعم جلالة المغفور له الحسن الثاني، قدس الله روحه، سائلين العلي القدير المنفرد بالدوام والبقاء أن يعوضنا في فقدانه جميل الصبر والسلوان وحسن العزاء وأن يوفقنا للاستمرار على خطوات الوالد والأجداد، في خدمة ملكنا الحبيب وبلدنا العزيز، بوشيجة الوطنية الصافية التي تربينا عليها وفي تشبث دائم وتعلق موصول بعرش أسلافكم الميامين.

ووفاء لطيب ذكراه، أستسمحكم لأرفع إلى علم جلالتكم
السامي أن المرحوم كان قد أوصانا بأن تكون مكتبته لكم ورهن
إشارتكم لتكون جلالتكم أول حافظ لجوهر وغزير إبداع
الموروث العلمي والأدبي والثقافي للهوية المغربية العريقة
الفذة وخير راع لتراث وذخائر الأمة العربية والإسلامية
والإنسانية جمعاء. وتشتمل المكتبة على أقسام خاصة بالمغربيات
والأندلسيات، وبمختلف العلوم والآداب والفنون العربية
والإسلامية، بدءا من التفسير والحديث إلى التراث الشعبي،
ومجلات مغربية ومشرقية وأجنبية، ورسائل وأطروحات وبحوث
جامعية، ومصاحف شريفة في طبعات مختلفة مع عدد من ترجمات
معاني القرآن الكريم ومكتبة بلغات أجنبية.

أبقاكم الله، يا مولانا، ذخرا لبلدكم، وراعيا لشعبكم
الوفي، وألبسكم أردية الصحة والعافية، وأسبغ عليكم من
نعمه وأفضاله ما أنتم أهل له، وحفظكم بما حفظ به الذكر
الحكيم، وسدد خطاكم، وحفكم دائما بألطافه وعنايته وأيدكم
بنصره المكين وأقر عينكم بولي عهدكم صاحب السمو
الملكي الأمير مولاي الحسن، وشد أزركم بصنوكم
الأمير السعيد مولاي رشيد، وكلأ الأسرة الملكية
الشريفة بعينه التي لا تنام وحفظها بعزه الذي لا
يضام، إنه سميع مجيب.

و"إنا لله وإنا إليه راجعون" صدق الله العظيم

وحرر بالرباط، في يوم الأحد 16 رجب 1445 الموافق 28 يناير 2024.

عن أفراد أسرة المرحوم عباس الجراري

ابنته ريم الجراري

ريم الجراري

Cabinet Royal الديوان الملكي
CARR24000912 - 30/01/2024

مدارات الوفاء والاعتراف

شهادات في ذكرى رحيل المفكر والأديب

الدكتور عباس الجراري

القسم الأول

شهادات وعروض كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة محمد الخامس - الرباط

جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
Mohammed V University in Rabat
Faculty of Letters & Human Sciences

وفاء لذكرى رحيل عميد الأدب المغربي

تنظم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

بتنسيق مع

شعبة اللغة العربية وآدابها

أمسية تأبين

المرحوم الدكتور عباس الجراري

يوم الجمعة 23 فبراير 2024 بمدرج الشريف الإدريسي بالكلية المركز

ابتداء من الساعة الثالثة والنصف زوالا

برنامج أمسية تأبين عميد الأدب المغربي

المرحوم الدكتور عباس الجراري

تقديم و تسيير: الأستاذ الدكتور محمد الدرويش

15:00	استقبال وتسجيل المشاركين
15:30	الافتتاح بآيات بينات من الذكر الحكيم تلاوة القارئ : عبد اللطيف الوزكاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط

الكلمات الرسمية

كلمة السيد عبد اللطيف ميراوي

وزير التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار

15:40	كلمة السيد رئيس جامعة محمد الخامس بالنيابة **الأستاذ الدكتور فريد الباشا**
15:50	كلمة السيدة عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة **الأستاذة الدكتورة ليلى منير**
16:00	كلمة السيدة رئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها **الأستاذة الدكتورة زهور كرام**

شهادات في حق المشمول برحمة الله الدكتور عباس الجراري

16:10	**د. سعيد بنسعيد العلوي** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
16:20	**د. أحمد شحلان** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
16:30	**د. إبراهيم المزدالي** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
16:40	**د. قاسم الحسيني** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
16:50	**دة. نجاة المريني** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس
17:00	**الفقيه العلامة سيدي محمد الروكي** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، عضو المجلس العلمي الأعلى
17:10	**د. محمد الداهي** كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس

شهادات في حق المشمول برحمة الله الدكتور عباس الجراري

17:20 **دة. لي نينغ**
المديرة الصينية لمعهد كونفشيوس بالرباط

17:30 **د. عمر أفا**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس

17:40 **دة. كريمة اليتربي**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس

18:00 **د. عمر أمرير**
باحث وإعلامي متخصص في الأدب الأمازيغي

18:10 **دة. بشرى البداوي -**
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس

كلمة أسرة الفقيد المرحوم عباس الجراري

الختام

تقديم الندوة

للأستاذ محمد الدرويش

أستاذ جامعي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس -الرباط

السيد المحترم الفاضل الدكتور عبد اللطيف ميراوي، وزير التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار،

السيد المحترم الفاضل الدكتور فريد الباشا، رئيس جامعة محمد الخامس بالنيابة،

السيدة المحترمة الفاضلة الدكتورة ليلى منير، عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة،

الأستاذة الفاضلة المحترمة الدكتورة زهور كرام، رئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها،

أسرة الفقيد المرحوم عباس الجراري الكرام،

الحضور الكرام كل واحد باسمه وصفته،

السيدات والسادة الزملاء الأساتذة الباحثين المشاركين والمتابعين لفعاليات هذا الحفل التأبيني المبارك بحضوركم واحدًا واحدة،

نساء ورجال الإعلام المحترمين.

أيها الحضور الكرام،

أسعد الله مساءكم، أما بعد،

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على النبيّ الأمين، قال تعالى: ﴿وبشِّرِ الصّابرينَ الّذينَ إذا أصابتْهُم مُّصيبةٌ، قالُوا إنّا لله وإنّا إليهِ راجعُون﴾. صدق الله العظيم.

السيدات والسادة الأفاضل،

أتشرّف بتيسير وتسيير هاتة الأمسية التأبينية المباركة بحضوركم ومساهمة ثلّة من خيرة أساتذة الجامعة المغربية في حفل تأبين واحد من أعلام الوطن ورجل نكنّ له كل التقدير والاحترام حيًّا وميتا، تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنّاته، وعزاؤنا واحد في فقدانه.

السادة والسيدات الأعزاء،

اسمحوا لي أن أذكر ببعض من حياة الفقيد، فأقول:

تقلد المرحوم عباس الجراري في حياته عدة مناصب وتحمل عدة مسؤوليات، أذكر بعضاً منها: فهو مستشار ملكي عدة سنوات، أكاديمي ومفكر وأديب ساهم في إغناء المكتبة المغربية والعربية والدولية بمؤلفات عدة، منها ما نشر ومنها ما ينتظر في مجالات تخصصه واهتماماته (الأدب المغربي - الفكر الإسلامي - التراث - الثقافة - الدراسات الأندلسية - قضية فلسطين - الهوية).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

حصل على عدة أوسمة ودروع من المملكة المغربية ودول عربية:

- وسام الاستحقاق من مصر سنة 1965
- وسام العرش من درجة فارس من المملكة المغربية سنة 1980
- وسام المؤرخ العربي سنة 1987
- وميدالية أكاديمية المملكة المغربية سنة 1990
- وجائزة الاستحقاق الكبرى من المملكة المغربية سنة 1992
- وسام العرش من درجة ضابط من المملكة المغربية سنة 1994

- وسام الكفاءة الوطنية من درجة قائد من المملكة المغربية سنة 1996
- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى من تونس سنة 2000
- وسام الإيسيسكو من الدرجة الأولى سنة 2006

كان عضو المكتب الوطني للنقابة الوطنية للتعليم العالي سنوات 69-1973

- حصل على شهادة الباكالوريا سنة 1957 من ثانوية مولاي يوسف بالرباط
- وشهادة الإجازة في اللغة العربية وآدابها سنة 1961
- وشهادة الماجستير سنة 1965
- وشهادة دكتوراه الدولة في الآداب سنة 1969
- ودكتوراه ثانية من جامعة السوربون بفرنسا

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

- التحق بالسلك الدبلوماسي سنة 1962 بسفارة المملكة المغربية بالقاهرة بمصر
- التحق بهيئة التدريس في جامعة محمد الخامس بفاس ثم بالرباط سنة 1966
- تقلد مسؤولية رئاسة شعبة اللغة العربية وآدابها بالرباط وقت تأسيسها سنة 1973
- عيّنه المغفور له الملك الحسن الثاني أستاذا بالمدرسة المولوية سنة 1979
- عين عضواً في أكاديمية المملكة المغربية منذ 1983
- عيّنه المغفور له الملك الحسن الثاني عضواً مكلفاً بمهمة بالديوان الملكي سنة 1999
- عيّنه صاحب الجلالة الملك محمد السادس مستشاراً لجلالته سنة 2000

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

- اللهم اغفر لنا وارحمنا وارحم والدينا وارحم من علّمنا وسبقنا بالإيمان يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه

عبد اللطيف ميراوي
وزير التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار

أيها الحضور الكريم، كل باسمه ومحبّي فقيد الأمة، عميد الأدب المغربي، الدكتور عباس الجراري، رحمه الله وأكرم مثواه،

حضرات السيدات والسادة.

بمشاعر يلفها الحزن والأسى، ويملأها الإيمان بقضاء الله وقدره، أشاطركم اليوم، هذه المناسبة لتأبين مفكر وعالم من أعلام المملكة المغربية، بصم بمؤلفاته ومنجزاته حضوراً أكاديميا متميّزاً، تجاوز حدود بلده، المشمول بعفو الله وكرمه، المرحوم الدكتور عباس الجراري.

وأودّ بداية أن أتقدّم أصالة عن نفسي، ونيابة عن كافة مكونات منظومة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار، بتقديم أحر التعازي وخالص المواساة إلى عائلة الفقيد وذويه وأصدقائه وطلبته ومحبيه، سائلاً المولى عز وجل أن يشمله بواسع رحمته وجميل عفوه، وأن يسكنه فسيح جناته، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. إنه سميع مجيب الدعاء.

حضرات السيدات والسادة،

إن رحيل هذا العلامة يعتبر خسارة كبيرة لبلدنا، الذي فقد بذلك شخصية لها مكانة علمية رفيعة، قدمت لوطنها ولأمتها عطاءً علميا وفكرياً وثقافيا غزيراً، وذلك من مختلف المواقع، ومن شتى المسؤوليات التي تقلّدتها، في مسارٍ حافل بالإنجازات، توّجته الأوسمة والجوائز، والتكريمات التي حظي بها المرحوم من قبل العديد من الجهات الوطنية والأجنبية. كما كان يتحلى بالحكمة، والتبصّر، والتواضع، ودماثة الأخلاق، وبالدفاع بكل غيرة صادقة عن القضايا الوطنية.

وقد عرفت مجالات الإنتاج العلمي للفقيد، رحمه الله، تنوعا كبيراً يشمل النقد الأدبي، وأدب الرحلة، والسيرة الذاتية، والشعر، والتراجم، وتاريخ الفكر والأدب، وقضايا الفكر الإسلامي... حيث تقلد عدة مناصب سامية كان أبرزها تعيينه مستشاراً لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، وعزاؤنا وعزاؤكم ما تضمنته برقية التعزية ومواساة جلالته، من تعداد لخصال ومحاسن المرحوم، كتأكيدٍ على المكانة المرموقة للعلامة والأديب المقتدر الأستاذ عباس الجراري.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته، وألهمنا وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان. وإنّا لله وإنَّا إلَيه راجعُون.

والسلام وعليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله

كلمة في حقّ فقيد الجامعة المغربية والثقافة العربية

المرحوم الأستاذ الدكتور عباس الجراري

فريد الباشا
رئيس جامعة محمد الخامس بالرباط

السيد معالي الوزير،

السيدة العميدة بالنيابة،

الحضور الكريم،

الدكتور عباس الجراري الإنسان والعالم الجليل، عميد الأدب المغربي، وأحد أبرز أعلام الثقافة والفكر في المغرب المعاصر، أغنى الثقافة المغربية والعربية بالعديد من الأعمال والدراسات والأبحاث التي تردّدت أصداؤها بقوة داخل المغرب وخارجه، وشكلت مرجعًا أساسيًا بحيث لا يمكن الاستغناء عنها للتفكير في الأدب، والثقافة، والفكر، ليس من منظور مغربي وعربي فحسب، وإنما أيضًا من منظور إنساني وكوني، فالرّجل عرف كذلك بدفاعه القوي عن القيم الإنسانية والحضارية التي تجسّد التفاعل، والحوار، والتعايش بين الشعوب بغضّ النظر عن اختلاف الديانات والأعراق.

لقد كان، رحمه الله، هرما شامخا من أهرام الثقافة بالمملكة، وشخصية موسوعية متعددة الأبعاد والاختصاصات، فياضة العطاء في المجالات الادبية والعلمية. فقد كان فقيهًا، ومثقفا حصيفًا، وخطيبا موفّقًا، وأكاديميا رصينًا، وأديبا مبدعًا، اجتمع فيه ما تفرّق في غيره. أغنى المكتبات الوطنية والعربية والعالمية بعشرات المؤلفات الأدبية والدراسات الأكاديمية الرصينة والبحوث العلمية، ذات القيمة المعرفية المتميزة، في مجالات الفكر والثقافة والأدب، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (الثقافة في معركة التغيير)، و(ثقافة الصحراء)، و(الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه)، و(معجم مصطلحات الملحون الفنية)، و(النغم المطرب بين الأندلس والمغرب)، وغيرها كثير.

يشهد له الجميع بعلو ونبل أخلاقه، وبتشبّعه بقيم المواطنة الصادقة بكلّ تجلياتها وتمظهراتها، فهو وطنيّ ابن وطني، حمل في قلبه بلده شعبا وثقافة، وكرس حياته وفكره لخدمتهما، بتواضع جمّ، وخصال حميدة نادرة المثال، بصمت حياته ومسيرته الأكاديمية والمهنية كأستاذ جامعي، ودبلوماسي، وفاعل نقابي ومدني، في كلّ المحطات والمناسبات، كما ميزت علاقاته سواء مع طلابه أو زملائه أو معارفه ومجايليه، فقد كان قدوة ومثالا في تواضعه وعلمه، يسّر له الله، سبحانه وتعالى، محبّة الناس قبل معرفته، فكانت له مكانة خاصة لدى الجميع.

لقد كان، رحمه الله، أستاذا ناجحًا، وباحثًا قديرا، ومفكرًا كفؤا، ومثقفا لامعًا، وعالِما رصينًا، وموسوعيًّا متألقا، ملتزمًا بمواعيد دروسه، وبانضباطه، وبتعلقه الشّديد بالكلية، كما كان من طليعة أساتذة الجـامعـة المغـربية الذين أشرفوا على الأطـاريح والرسـائل الجامعية دون كلل أو ملل.

سيظل الأستاذ الدكتور عباس الجراري خالدا في أذهاننا، كما عرفناه إنسانًا متواضعا ملتزمًا خلوقا هادئًا كريما أمينًا، غمر بعطائه أمّته وبلده وجامعته وكليته، وهو علَم من أعلام الفكر والأدب والمعرفة بهذا الوطن الأمين.

تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم الواحد الصمد الباقي الذي لا يفنى،
ذي الجلال والإكرام، الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ليلى منير
عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالنيابة
جامعة محمد الخامس –الرباط

السيد معالي الوزير،

السيد رئيس الجامعة،

السيد عمر حنيش، نائب الرئيس المكلف بالشؤون الأكاديمية والطلابية،

السيدة زهور كرام، رئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها،

أفراد أسرة المرحوم الدكتور عباس الجراري،

الأستاذات الفضليات والأساتذة الأفاضل،

الطالبات والطلبة الأعزاء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

لقد غادرنا المشمول بعفو الله، أستاذ الأجيال السيد عباس الجراري إلى جوار الحليم الكريم، بعد طول عطاء، مخلّفاً مسيرة وافية، وأثراً طيّبا وخلفاً وفيّاً، وكمّاً من العلم والفكر والأدب المؤطر بالروح الوطنية والأخلاق الرفيعة.

إذا كان الإنجاز والعطاء والأثر الطيب من علامات خلود الفرد بعد مفارقته الدنيا وأهلها وسر من أسراره، فأستاذنا السي عباس الجراري سيظل خالدا فينا ما حيينا بما خلّفه من كتب ومؤلفات وفكر وتأملات.

سيظلّ خالداً، تعبر روحه كل من تتلمذ على يده ونهل الغزير ونثره بين الأنام.

لقد كان الأستاذ عباس الجراري رحمه الله متواضعا، ملتزما، خلوقا، هادئا، كريما، أمينا، غمر بعطائه أمته وبلده وجامعته وكليته.

إنّه أستاذ الأجيال، علَم من أعلام الفكر والأدب والمعرفة في هذا الوطن الأمين، لبّى النداء للبناء والتقدم والتطور والازدهار الفكري.

طوبى لكَ سي عباس بما خلفته من آثار طيبة.

وطوبى لكَ بكمّ وعدد محبّيك.

رحمك الله وجعل علمك علماً ينتفع به ويشفع لك عند الله.

وفي الختام، أتقدم بجزيل الثناء لكل من لبَّى الدعوة وحضر بشهادة إثراء لهذا الجمع الطيب المبارك.

وتعازينا الصادقة لأسرته الكريمة.

وآخر كلامنا ما أحبّ الله أن نودّع به كل راحلٍ عن الدنيا من أحبابنا ﴿إنّا لله وإنَّا إِلَيه رَاجعُون﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله

كيْف يحْيا العالِمُ الراحلُ بيْننا

في تأبين عميد الأدب المغربي العلّامة عباس الجراري

زهور كـرام
رئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

السلام عليكم،

باسمي واسم أساتذة وأستاذات وطلبة شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط، أقدّم أصدق التعازي إلى أسرة الفقيد أستاذنا الجليل، عميد الأدب المغربي، المفكّر الدكتور عباس الجراري.

نسأل الله أن يمتّع روحه بالإقامة في رياض الجنة، ويرزق أسرته وأهله، وطلبته ومحبّيه نعمة الصبر.

لا شكّ أنّ لحظة التأبين تحمل معها مشاعر الحزن، وثقل الفقدان، والإحساس بمرارة الرحيل، خاصة عندما يكون الراحل عالِما ومفكّراً وأديباً تمكن بفضل رؤيته الاستباقية من تأصيل التأويل في المعرفة بتواصلٍ حواريّ مع الثقافات واللغات والآداب. غير أنّ لحظة التأبين يمكن أن تتحول إلى زمنٍ جديد لحياة جديدة لفكر الرّاحل، ليس بالمعنى التقليدي في إعادة إحياء فكر الراحل بتجديد قراءته، وتقديمه للقراء، وتحويل كتاباته إلى موضوع للعرض والشرح، وهي عملية قد تكون لها حسناتها، من حيث استحضار الكتابة ضدّ النسيان، غير أنها تظل مقترنة باستمرار بزمن الرحيل، وتبقى إعادة القراءة مشروطة بتحقيق هدف التذكّر ضد النسيان.

الفكرُ حياة. وحياةُ الفكر تستمر بعد رحيل مبدعها، ومبدعُ الفكر يظلّ خالداً عندما يتحول فكرُه إلى استراتيجية تنويرية مستمرة في التفكير والتأويل، بل يتحول الفكرُ إلى علامة دالّة تُنير المسارات الشائكة في المعرفة والفكر والثقافة والقراءة.

لهذا، أفتتحُ فكرة «الفكر الاستراتيجي» لـ «**مبدعِه الخالد**»، وأنا أصوغ كلمتي في تأبين الراحل عميد الأدب المغربي، الدكتور عباس الجراري، بالأسئلة التالية:

- كيف يحيا العالِم والمفكر الراحل بيننا ؟

- كيف يمكن تحيين رؤية الراحل في تجديد التفكير حول وضعيات جديدة لقضايا المعرفة والأدب والعلوم الإنسانية ؟

أو بتعبير آخر:

- كيف نضمن استمرار فكر الراحل استراتيجية تدبيرية لقضايا المعرفة والأدب ؟

- كيف يمكن استثمار البُعد الموسوعي في شخصية فقيدنا ؟

- كيف نستطيع استلهام أشكال التفكير لدى الراحل «عباس الجراري» في قراءتنا للأدب المغربي وهو يعرف تحولات بنيوية اليوم ؟

- كيف يمكن تحويل خطاب التأويل لدى الراحل إلى استراتيجيات في تأويل المعرفة الجديدة والقضايا الراهنة ؟

كيف يمكن تحويل التأبين إلى تجربة مُثمرة في الحاضر والمستقبل ؟

أحفز بهذه الأسئلة التفكير في موقع جديد للرؤية الفكرية للراحل عميد الأدب المغربي، الدكتور عباس الجراري، في الحياة الأدبية والثقافية المغربية.

يفرض هذا الموقع بناء مشروع جديد في قراءة أعمال الراحل، ولكن القراءة هنا تأتي استجابة لشرط تفعيل فكر الراحل في تفكيرنا وطريقة إنتاجنا للفهم. وهذا يعني ضرورة إعادة إنتاج وعي معرفي جديد بإنتاج الدكتور عباس الجراري، وإعادة تحليل أفكاره من أجل جعل فكره الأدبيّ ورؤيته النقدية وتصوّره الفلسفي للمعرفة والأدب فعالّاً في تفكيرنا ومناهج تحليلنا.

لا نقصد بهذه القراءة الجديدة تنازلاً عن الوفاء لروح فكر الراحل، أو تجاوزاً لوعيه المعرفي بالقضايا المعرفية والأدبية واللغوية التي اشتغل بها، ولكن نقصد بإعادة القراءة باستراتيجية جديدة التصريف الوظيفي للرؤية الجرارية استجابة لشروط وأسئلة المعرفة الجديدة.

إنّ كل رؤية تحمل في جوهرها البُعد المستقبلي، وهذا ما يمنح لرؤية عميد الأدب المغربي، الدكتور عباس الجراري، القدرة على التوليد المستمر لاستراتيجيات التأويل، ومناهج التحليل، وصياغة الأسئلة الجديدة، والتفاعل المرن مع الثقافات والآداب واللغات، والحوار مع الحضارات.

لم يكنِ الراحل كاتباً عادياً، أو باحثاً اختص في قضية واحدة، أو مفكراً انشغل بحقل معرفي واحد، إنما كتب وفكّر في الأدب وقضاياه، وانشغل بالأدبية المغربية توثيقاً وتحليلا وإبرازاً لظواهرها وخصائصها ومميّزاتها، كما كتب في الأدب العربي وفي اللغة، وجعل فلسطين محور تفكيره، ثم كتب في الدّين الإسلامي، وفي حوار الثقافات والحضارات، فكان شخصية موسوعية لا تجد حرجا منهجياً في السفر بين القضايا الأدبية واللغة والدين والحوار الثقافي. بلِ امتلك ناصية البلاغة في تدبير القضايا المتعددة والمتنوعة والمختلفة.

لهذا، عندما نفكّر اليوم في بناء مشروع تجديد القراءة من أجل التفكير في الموقع الجديد للراحل، فذلك لأنّ الحاجة إلى فكر عميد الأدب المغربي مطلوبة اليوم بحكم الوضعية الجديدة التي تعيشها هذه القضايا: الأدب، واللغة، والدين، والحوار الحضاري، وغير ذلك...

ولعل من بين القضايا الراهنة التي تحتاج تدخّلاً استراتيجيا تنويرياً باعتماد رؤية الراحل نلتقي بالعلوم الإنسانية التي تعرف وضعاً قلقاً، بسبب تحول العصر ومنطقه ووسائطه، مما أثّر في موقع الإنسان موضوع العلوم الإنسانية التي تتطلب مقاربة مختلفة لوظيفتها، وتحتاج إلى مناهج جديدة لتحليل علومها، وأدوات اشتغال تتماشى ووضعية الإنسان في بيئة رقميّة تحوّله إلى كائن مختلف.

في مثل هذا الوضع نحتاج إلى رؤية عميد الأدب المغربي من أجل استلهام شكل التفكير من أجل صياغة متجددة للعلوم الإنسانية.

لنفكّر جميعا في الموقع الجديد للراحل باعتماد رؤيته الفكرية استراتيجية تنويرية في التفكير في قضايا راهنة.

بسم الله الرحمن الرحيم
لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

عباس الجراري، عالما وإنسانا

سعيد بنسعيد العلوي
أستاذ شرفي بجامعة محمد الخامس -الرباط
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقا

أوّل القول عندي توجّه إلى العلي القدير أن يغدق رحمته الواسعة على أستاذنا وأخينا السي عباس ابن عبد الله الجراري، وأن يكتب مقامه في أعلى عليّين مع الصديقين والشهداء، في جوار حبيبه المصطفى عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

وثاني القول دعاء بالصبر والجلد على تحمل المصاب الجلل، مصيبة الموت، لحرمه الأستاذة الجليلة، وكذا باقي أفراد أسرته الكريمة، كلّ باسمه وصفته، ثم لكافة أحبّاء وأصدقاء الفقيد العزيز ﴿وإنّا لله وإنا إليه راجعون﴾.

من بين الذكريات التي تنتقش في ذاكرتي وترتسم في وعيي وأنا أستعيد صورة الدكتور عباس الجراري، رحمه الله، تطفو على سطح الشعور صور أربع، تطفح كلّ صورة منها بالدلالة وتسهم في رسم ملامح شخصية عميد الأدب المغربي على النحو الذي تتمثل لي به تلك الصورة.

تعود الصورة الأولى إلى مستهل ستينات القرن الماضي، وقد كنت حدثاً غادر طور الطفولة منذ سنوات قليلة. في تلك الحقبة كان صدور مؤلف مغربي، أيا كان موضوعه، حدثا بارزاً. أمّا متى تعلق الأمر بمؤلف يتصل بالحياة الفكرية في المغرب، فإن ذلك كان يعدّ من قبيل النادر الذي كان يستوجب الحديث عنه وقتا كثيرا. وأما الحديث عن «الأدب الشعبي» تخصيصا فقد كان حديثاً يستدعي العجب، إذ أنه من قبيل الكلام غير المستساغ. ذلك أن الفهم المعتاد للأدب كان يجعله قصرا على الكتابة العالمة (كما نقول في لغتنا اليوم)، فهو يقصي من دائرة الأدب كلّ ما كان غير ذلك. وقد يلزم أن نضيف إلى ذلك أن واقع الحال في المغرب، حتى ستينات القرن الماضي، يجعل الناس أشد استغرابا لتصوّرٍ يجمع بين طرفين: أحدهما الأدب، كما وقر معناه في الأذهان، والثاني صفة «الشعبي» مع دلالة النعت التي تبعد عن الأدب ومعناه. في تلك السنوات، ونحن نخطو خطواتنا الأولى على درب القراءة ونتعود على قراءة ما يصل إلى اليد من مجلة «الآداب» اللبنانية، ومن أعداد قليلة، غير منتظمة في وصولها إلى المغرب من مجلة «الرسالة» المصرية، وكذا من القليل من المقالات التي تصنف في دائرة الأدب في مجلة «دعوة الحق» المغربية، فنُقبل على قراءتها في لهفة وشوق. في تلك السنوات، وفي «دعوة الحق» خاصة، كانت العين تقف عند أسماء كتّاب شباب، روّاد في الحقول التي يرتادون، ومن بين تلك الأسماء وقعت عيني على اسم عباس الجراري فكنت أقف فرحاً عند أحاديثه الأولى عن الثقافة والشعب والأدب الشعبي، فتصادف من نفسي، ومن نفوس أقراني، فرحا وتلذّذا.

يتعين عليّ أن أضيف أن اسم الجراري، كاتبا، كان قد استقر في ذهني قبل ذلك عن طريق الوالد رحمه الله. أذكر أنه، إثر إحدى زياراته الكثيرة إلى الرباط وسلا (وقد كانت الزيارات كذلك لأسباب عائلية وأخرى لصلة الصداقة التي كانت تربطه ببعض فقهاء وفضلاء العدوتين، حمل معه ذات مرة كتبا لا أزال أذكر منها كتاباً صغيرا أعجبت بعنوانه، فكنت أقلب صفحاته وأتسلى بقراءة عنوانه المثير «الغاية من رفع الراية» لمؤلفه عبد الله الجراري. وفي الشهور القليلة الماضية، فيما كنت أتسلى بتفحص كنانيش الوالد، رحمه الله، عثرت على ورقة من كتابة وخط المرحوم الأستاذ عبد الله الجراري تتضمن قصيدة إخوانية مرسلة من قبله إلى سيدي الوالد يشكره على كتاب كان قد أهداه إياه، وكان الكتاب من تأليف الجدّ من قبل الوالدة، القاضي محمد بن أحمد العلوي، رحمه الله. وبقدر ما آسف اليوم أنّني لم أوفق في إطلاع أستاذنا الدكتور عباس على القصيدة (ولا شك أنه كان سيسر بها ضعفين) فإنّني أتشرف بتقديم مصورة منها إلى حرم فقيدنا العزيز وأخرى لشقيقه، زميلي في صف البكالوريا،

الأخ عبد الواحد، وكذا بعض صور لصفوة من تلامذة السي عباس رحمه الله. وإذا قيض الله صدور طبعة لديوان عبد الله الجراري، فإنّني سأكون فرح بقراءة القصيدة المشار إليها ضمن قصائد القسم المتعلّق بالإخوانيات من ديوان عبد الله الجراري.

وأما **الصورة الثانية** التي تستقر في ذاكرتي وترتسم في وعي مخاطبكم للأستاذ عباس الجراري، فتتصل بالفترة الزمنية الجميلة التي عشتها، بمعية المرحوم، في رحاب هذه الكلية بعد أن التحقت بها أستاذا، منذ السنتين الأخيرتين من العشرية السابعة حتى مغادرتي لها، بموجب انتهاء زمن العمل في سلك الوظيفة العمومية. في هذه الحقبة، سواء في الجموع في الكلية أو في أنشطتها الغزيرة، وكذا في الأنشطة العلمية، سنحت لي فرص عديدة للاقتراب، أكثر فأكثر، من الأستاذ الجراري ومن اكتشافه باحثاً وانسانا. بيد أن أكبر تلك الفرص السانحة وأشدها فعلا في الفكر وفي الوجدان معا وفي التعرف على عباس الجراري الباحث المدقّق، كانت عملاً علميا جماعيّاً صدر عن مؤسسة «أونا» في سلسلة أعلام المغرب، وخُصّص للمؤرخ المغربي الأشهر مولاي عبد الرحمن بن زيدان. اشتركنا، عبد ربه والأستاذ أحمد التوفيق، بجانب الأستاذ عباس الجراري في كتابة هذا المؤلَّف، وقام المرحوم، فضلا على إسهامه بمعالجة الجانب الأدبي من كتابة ابن زيدان، بعمل التنسيق للكتاب والتقديم له. ولست أجد غضاضة في القول ولا جنوحا إلى امتداح الذات في القول، أن هذا الكُتيب يستحق، بل ربما يستوجب، إعادة نشره في طبعة ثانية بالنظر إلى شخصية المترجم له أولاً، وبالنظر إلى الجهد الكبير الذي بذله الأستاذ عباس الجراري في الحديث عن مرحلة من تاريخ المغرب المعاصر، لا شكّ أنه من الرواد الذين تحدثوا عنها في جانبها الفكري فعرّفوا بها وأفادوا كثيراً.

وأما **الصورة الثالثة** التي لا تزال تملأ منّي الفكر والوجدان، وأنا أسترجع الذكريات الجميلة التي جمعتني مع أستاذنا عباس الجراري أكرم الله مثواه، فتتصل بعملي في كليتنا العتيدة هذه عميداً لسنوات عدة، وفي عملي رئيساً لجامعة محمد الخامس بالنيابة إزاء ذلك فترة من الزمن اقتربت من السنة ونصف السنة. وغنيّ عن البيان أن هذا النوع من التكليف يجعل المرء في موقع يمكنه من التعرف على جوانب، ربما كانت غير جلية، في شخصيات الزملاء الأساتذة. وبالنسبة لي، أتاحت لي فرصة المسؤولية الإدارية اكتشاف جوانب إنسانية، نبيلة وعظيمة، في شخصية عباس الجراري. لا شكّ أن أعلاها عندي هو تبين مدى وعمق الحبّ الذي كان المرحوم يكنّه لبلده وأهله وملكه، وهذه منّي شهادة لا إجحاف فيها في

القول. ثم إنني تبينت، عن كثب، مدى ما يكابد من جهد في تأطير الطلبة، وفي الإشراف على رسائل جامعية في طوريها، ولعلّي لست مبالغاً في القول إنه قد أتى على الجامعة المغربية حين من الدهر كان فيه عباس الجراري في طليعة الأساتذة الذين شرفوا الجامعة، مفرد ينوب عن الجمع كما يقول النحاة، فتخرج على يديه عدد هائل من الذين تفخر بهم الجامعة المغربية ويزدهي بهم درس الأدب العربي في المغرب.

خلال الأشهر الأولى من سنة 1999، أقدمت مجموعة من الجامعيين ومن المهتمين بالشأن الثقافي، في كلّ من المغرب والمملكة العربية السعودية، على تأسيس مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات. وبإجماع تامّ من الجهتين المغربية والسعودية، تمّ انتخاب الأستاذ عباس الجراري، رحمه الله، أميناً عامّاً للمركز المذكور، والمتشرف بمخاطبتكم أميناً عامّا مساعداً مكلّفا بالشؤون التدبيرية، وكذا باقي أعضاء المجلس. والجدير بالتذكير أن هذه المبادرة قد تمّت بمباركة من صاحب السموّ الملكي سيدي محمد، وليّ العهد آنذاك، وصاحب السموّ الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز. والجدير بالتذكير والتنويه، أنّ صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، أمر بعد ذلك بتوقيع اتفاقية المقرّ بين المغرب، من جهة أولى، ومركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات من جهة أخرى، وأسند مهمة التوقيع إلى السيد محمد الأشعري، وزير الثقافة والتواصل -آنذاك- وهو ما تمّ بالفعل

على امتداد عدة أعوام، استطاع مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بإشراف فعلي من أستاذنا السي عباس رحمه الله، أن يكون مركز إشعاع حضاري في مجالي الدراسات الأندلسية وحوار الحضارات، فتمّ إصدار سلسلة من الدراسات وتحقيق نصوص تراثية هامة، وكذا تنظيم ندوات دولية في كلّ من باريس ومدن عدة من منطقة الأندلس في إسبانيا، فضلاً عن الأنشطة العديدة داخل المغرب. وبالنسبة لي، شخصيا، ازددت خلال تلك السنوات قرباً من المرحوم ومعرفة بخصاله الإنسانية النبيلة وبشغفه بالمعرفة وعشقه لوطنه المغرب.

وأما **الصورة الرابعة والأخيرة**، وليست أقلّ الصور نصوعا وبهاءً، فترتسم في وجداني مقترنة بمعاني الرجولة والشهامة مع تقدير قيمة العمل الجماعي، وقد كان منصرفاً إلى خدمة الفكر والثقافة الرفيعين من جانب أول، وكانت، من جانب ثان، سعياً إلى رفع ذكر المغرب وأهله عالياً.

في السنوات القليلة الماضية، أخذت الأوضاع المالية لمركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات تتعثر قبل أن تؤول إلى حال من العسر الشديد، كانت له انعكاسات مباشرة على التسيير وذلك بالنظر إلى شحّ مصادر التمويل ثم انقطاعها. في ظل تلك الأوضاع العسيرة، سينكشف بُعد آخر من أبعاد شخصية عباس الجراري، أجد في الشهامة النعت الأكثر مناسبة له. سيسعى الأمين العام للمركز لدى الدائرة الملكية، فيتمكن بجهوده الخاصة وبما يحظى به من تقدير عالٍ لشخصه من الحصول على أمر ملكي سام بتسديد الديون المترتبة، وسيكون المركز أمام ضرورة الإقدام على نوع من «التجميد الإداري» لوضعيته القانونية والاعتبارية.

لا شك أن المآل الذي انتهى إليه مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات يدعو إلى الأسى والأسف، وقد كان المرحوم عباس الجراري أول المقدرين لذلك الأمر حقّ التقدير، ولا شكّ أن الأمل ظل يراوده في جعل المركز يسترد عافيته الإدارية فيعود إلى ما كان عليه قبل الأزمة المالية التي عرف. ولا شك أنها خسارة غير يسيرة أن يفقد المثقفون والمهتمون المغاربة والسعوديون، فضلا عن غيرهم من أبناء البلدان العربية، بل وغير العربية، قاعدة للإشعاع الفكري وللتواصل الحضاري. وأحسب أن الوفاء لذكرى فقيدنا العزيز الدكتور عباس الجراري وما كان قلبه ينبض به من حبّ وطنه والإخلاص لملكه، يستلزمان أن نتوجه من هذا المنبر، في هذه الكلية العتيدة التي شهدت في تاريخها مواقف عظيمة ومبادرات سامية، بنداءٍ إلى كلّ الإرادات الطيبة من أجل العمل على إعادة بعث الروح في مركز دراسات الأندلس، وإعادة تفعيل اتفاقية المقرّ كما كان صاحب الجلالة الملك محمد السادس قد أمر بذلك.

رحم الله أستاذنا الكبير وفقيدنا العزيز الدكتور عباس الجراري وأكرم مثواه، وإنّا لله وإنّا إليهِ راجعُون.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير المرسلين

أحمد شحلان
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس -الرباط

في حضن هذه الكلية، وفي هذا المدرج، مراراً ومراراً ومراراً، كنتَ، سيدي عباس، تتحدث بأناة، وبالجميل من القول، وبالمفيد مما ينفع، لطلبة أحبّوكَ وأخلصوا لك.

في مثل هذه الكلية وهذه الجامعة، مراراً ومراراً ومراراً، كنتَ تتحدث بأناة، وبالجميل من القول، وبالمفيد لجموع من الناس، استهواهم القول الرّزين المتأنّي المفيد، فأحبّوكَ وأخلصوا لك.

في أكاديمية المملكة المغربية وفي مثيلاتها في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وعمان، والخرطوم، مراراً ومراراً ومراراً، كنتَ تتحدّث بأناة، وبالجميل من القول، وبالمفيد مما ينفع الناس، فكنتَ زينة في صدارة هذه المجامع المعرفية.

في نادٍ عتيد ورثتَه عن عَلَم من أعلام الأمة، كان أباك، فكنتَ الولدَ الصّالح، والصّدقةَ الجارية، والعِلمَ الذي يُنتفع به، فرعيتَ ما تركهُ الأب رعاية الأوفياء، بجميل الأخلاق، وحسن التدبير، وبالكرم الزائد.

صار هذا النّادي علَما على نار، فتوافدت عليه أعلام من أقطار بعيدة تطوف حول مآثر المعرفة فيه والعرفان.

كنتَ السّادن لهذا المعبد، كنتَ زينتهُ وواسطة عقده، والكبير فيه المتواضع، كنتَ تسمع للمتحدّث الذي زارك، وكأنكَ مريد تهفو إلى سلوك المدارج، وكنتَ فيه الشّيخ الذي تعطي وليس لكَ فيما تعطي أسرار تضنّ بها، طبع الكرماء.

أستاذي وسيّدي، الآن أشعر بالأسى والحزن، وأنا في هذا المجلس، الذي كنتَ فيه دوماً زينة من زيناته، وعلَما من أعلامه. اليوم ما حضرت. وليس من طبعك أن لا تحضر.

يا مهيب من خطب على منبر، مذكراً بجميل حضارتنا، وبرائق تاريخنا، حيث كان العلم والمعرفة يتنافسان على منابر المساجد. وما كانتِ المساجد في حضارتنا إلا جامعات شامخات مثلتَ فيها أحسن تمثيل، العالِم التقيّ النقيّ المسؤول.

ترفّعتَ في حياتكَ عن عال المراتب، فكرهتَ الدبلوماسية، لأن في بعض منها رياءً ونفاقاً. لم تفصح عن هذا، ولكنّكَ أنتَ هو، الرجل الذي يختار الأسفل ليرفعه الله إلى الأعلى. وما كان منكَ هذا تصنّعاً، بل كان ثمرة من ثمار تربية وطنية صادقة، وأنتَ السّامع المطيع لوالد عالم مجرب، أهداكَ أجمل ما يُهدى عندما قال لكَ: «الإنسان لا يصير قِنديلاً إلّا بعد أن يكون مِنديلاً». وما أجملها عبارة بليغة مختصرة، تعني أنّ التواضع الذي هو لباس الفقراء، يرفع أعلى المقامات. وأكدّتَ ما قال لكَ والدُكَ حيث نقلت عن الشيخ ابن عاشر الحداد قولته: «كُن مَحْنِي واسْكُن في السَّفْلي». أليس هذا التنصّل من الكبرياء هو أعظم صفات المتصوفة ؟ وكنتَ حقّاً المتصوف الذي عزم على أن يتخذ له «دَكَّةً» لينزوي فيها، يتأمل الكون ومخلوقات الله، وبدائع صنائعه. وما تركَكَ الناس تفعل، لطبع في بعض منهم لم تكن عيونهم كلّهم قادرةً على أن تكون بصيرةً لا باصرة. وفي هؤلاء الناس من أحبّكَ وأعزّك، لكنه أراد منكَ الكثير لسعادته به، وفيهم من أكنّ لكَ العداء لحسدٍ منه أراد مبلغ ما بلغت. وأنتَ ؟ لم تكن تفهم معنى العداء، حتى وأنتَ تُكرم بمكرمة هي الصعود على المنابر التي شيبت الناس. حتى وأنتَ تتقلّد المهام العليا التي طالما كان بينكَ وبينها من غفرتَ له ودعوتَ له بالرحمة والمغفرة.

ما اليوم يوم الحديث عن مشروعكَ العلمي الكبير الذي أنجزتهُ رغم ما ظننته فيكَ من ضعف في حالكَ الصحية. ألستَ أنتَ القائل: «إنّي صرفتُ النظر عن كل ما يبعد عن اتباع القدوة وتحقيق المثال». فقد كنتَ قدوة وكنتَ المثال في تواضعكَ وعلمك. فميّزكَ الله بمحبّة الناس حتى قبل أن يعرفوك.

«حتى قبل أن يعرفوكَ»، هذا شعور منّي شعرت به أول ما لقيتكَ وما عرفتكَ، حين جئتَ إلى مدرج في فاس لتختبرنا في الفرنسية. من عادة الطالب أن يكون في مثل هذه اللحظات واهنَ القوى مرتعشَ الأنفاس. جلست أمامكَ فقابلتني ببسمة ولطف إنساني ما يرتبك به من هو في وضعي، ولما أنهيت ما أنا فيه، أنتَ الذي ودعتني بنفس البسمة والهدوء والاستبشار.

لعلني قد أطلت، ولكني أحببتُ أن أذكر لطلابكَ موقفاً من جميل مواقفك.

انعقدت ندوة حول المعارف في الأندلس، في قاعة المحاضرات بوزارة الثقافة، أيام بداياتي في الجامعة، وتحدثُّ في هذه الندوة عن اللغوي الفيلسوف ابن السيد البطليوسي 1052-1127)، وما وقع له مع بني رزين. ولعلني لم أذكر هؤلاء بخير حيث قلت فيهم إنهم من ذوي السلطان الجائر أو ما يشبه هذا. ولما انتهيت، وقف أحد الأساتيذ المدعوين من خارج المغرب، فشن حملة على هؤلاء اليساريين الذين يستغلون كل فرصة ليهاجموا أصحاب الحكم وما شابه هذا. في ذلك الزمان، كان مثل هذا الاتهام يحرك الأعين التي تجلس في أماكن العلم وما هم من أهل العلم وهم لا يفهمون. وكثر الذهاب والإياب خلف باب المدرج، فوصلت الأخبار إليكَ وخفتَ عليّ، فنهضتَ واتجهتَ إلى صاحب الأمر والنهي خلف الباب، ولعلّكَ تحدثتَ معه بصرامة، ودافعتَ عنّي دفاع العالم، وأخبرتَ المعني بالأمر أن لا شِركةَ لي مع اليسار ولا مع غيره، وإنّي أستاذ مؤمن لا دخل لي في السياسة. فانفضّ التَّحرك من خلف الباب ونجوتُ من حرماني من غداء الندوة وما يتبع ذلك.

قبل ذاك ومنذ ذاك، لم أعرف فيكَ يا سيدي، إلّا المودة والعطف المتبادر، والتشجيع على البحث. وكان هذا ديدانكَ، حتى عندما حملتُ الهاتف لأعبّر لكَ عن إعجابي بـ «رحيق العمر» الذي كم تمنيتُ أن لا تذبل حياض زهوره. ونأمل من الله أن تكونَ قد كتبتَ «الجزء الثاني: الشهود الفاعل»، ونظمت عقد الجزء الثالث المتضمن للصور الشخصية والعامة المواكبة لمراحل سيرة «رحيق العمر».

كم وددتُ أن أتحدث عن آراء الناس فيكَ، وما هي إلا قولٌ صادق لا يصدر إلّا عن محبّ ذي أخلاق طبعها الوفاء.

وكم وددتُ أن أتحدث عن أقوال طلبتكَ فيكَ، وهم كُثر، وهم من خيرة الناس، ونعم الأقوال. فهي أقوالٌ لا تصدر إلا عن مريدين شربوا من المنبع الصافي الزلال، الذي كنتَ

مُهدي كأسَه، وساقي رحيقَه، وقد انتشوا به، واستمتعوا بنشوته. أوَليس هو قَطْرٌ من «رحيق العمر» عَتَّقْتَهُ بعذب الآداب، وحلو النغمات، وممتع السِّيَر، ومنشود الملحون، وبنات يراع في تأمل، فيها من مجربات الناس والتاريخ والسياسة النافعة ووو ؟ مدونةٌ غنية كثُرت عدداً ؛ واستَغنت مَدَداً: هي بنات فكركَ، وبوح قلمكَ، ومن جود طَبعكَ علماً وخُلْقاً، وطبعكَ سواداً على بياض، بحلال مال.

وكم وددتُ أن أتحدث عن «إيوان» ورثتَه عن عالم جليل، وطأتَ لنا أكنافه، وسهَّلتَ لنا رحابه، سنين متتابعات. أنتَ تجود فيه بعلمكَ، ورفيقةُ عمركَ ذات المعارف العادلة، تشرككَ فيه، وتزيد في بهاء المكان، بما تقدّمه لمريديك، من خير طعام وشراب، تُرَفِّدُ به متعةَ السماع ولذة الكتاب. وفي مريديكَ طلبة، أساتذة، علماء، ضيوف سمعوا عن بهاء المجالس، فحجّوا إليها من وطنكَ العزيز وأوطان الناس، قرُب فيها ما قرُب، وبعُد فيها ما بعُد.

وما حَدَّ من فيض الخاطر، إلا خِفّةُ الزمان الطّائر.

رحمكَ الله، ورزق رفيقة عمركَ –التي قاسمتكَ أفراحكَ وأحزانكَ، وأكرمت محبّيكَ كما أكرمتهم، وأحبّوها كما أحبّوكَ- الصبرَ والسلوان، وجعل ذكراكَ لأبنائكَ وإخوتكَ وأهليكَ، ذكرى حبّ دائم يكون لهم بلسماً ينسيهم ألَمَ الفراق.

ذاكرة المكان : حديث الفضاء
«خفقة فؤاد وإحساس في محبّة الجراري عبّاس»

إبراهيم المزدلي
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس-الرباط

لماذا المكان ؟

اعتقدت دوما أنّ فضاء المكان يتكلّم، وهو ما لا يفكر فيه أغلب الناس، لأنّني أرى أن الزّمان يتحرك ويدور ولا يستقر، ولكن المكان ثابت، لا يتزحزح من موضعه، ينظر بحكمة إلى كل من يقصده، ويقف أمامه، ويقف أمامه، ويتحدّث إليه قبل أن ينطق الزائر بكلمة واحدة. وقد اعتقدت دوما وأنا أحلّل النصوص القديمة، في قاعات الكلية ومدرجاتها، أن الطلل يتكلم، ويتحدث إلى من يقف أمامه، ويخبره بما لا علم له به، ولذلك فإنني في تحليلي لعدد من قصائد الشعراء القدماء، الذين وقفوا في رحلاتهم، وعرجوا في أسفارهم على مواقع أطلال الأحبة القديمة، كانوا يستمعون إلى هذه البقايا التي خلفها الأحبة الراحلون. وأول هؤلاء الشاعر الأمير، أو الأمير الظليل امرئ القيس، حين يبدأ معلقته الخالدة بقوله:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

كان يعرف أنه سينصت إلى الأطلال، ويسألها ثم ينتظر إجابتها ويسمعها بكل إمعان، لأنها تتحدث بألف لسان، كل قطعة من بقايا الديار وساكنيها، الذين رحلوا عنها، تتكلم بعدة ألسنة، وتفصح عن كلّ ما مرّ في الأيام والليالي الخوالي.

وها هو عنترة، في معلّقته الشهيرة، يساءل الديار وينصت إلى أحاديثها بإمعان:

أعيـــاك رســـم الـدار لم يتكلـم * حـتى تكلـم كالأصـمّ الأعـجـــم

يـا دار عبلـة بالجـواء تكلمـي * وعمـي صباحـا دار عبلـة واسـلمي

فالشاعر يخاطب الطلل وينتظر منه أن يجيب، بلسان مبين فصيح. فالأمكنة تتحدث بفصاحة وقوي تبيان، ولكنها تخبر الذي يحسن الاستماع إليها، ويترك كل شيء عداها، وينصرف إليها بكل وجدانه، لكي يحسن الاستماع إلى خطابها الفصيح الدقيق. إن وقفة الشاعر العربي القديم تشبه فعل علماء الآثار، في علم L'archéologie، إن العالِم الأثري L'archéologue يرى بتمعّن ودقة صورة وشكل ولون الحجر والتراب، ويسمع حديثها حينما تكشف عن دقائق غريبة وأسرار عجيبة، يلتقطها بالاستماع الجيد، العارف إلى شكل الأثر ولونه وحجمه ؛ وتلك هي اللغة الصامتة، التي تحتاج إلى من يعرف الإنصات إليها بوعي وفهم دقيقين ؛ ليدرك ما وراءها من عظيم الأسرار، ويعرف بدائع الأخبار، ويسجّل الجديد من لامع الأفكار.

ولذلك فإنّ مشاركتي اليوم، في ذكرى المرحوم الأستاذ عباس الجراري، أسمّيها: ذاكرة المكان، لأن معرفتي بهذا الرجل نشأت في رحاب المكان، وتوطّدت وترسّخت في ظل مكان ؛ فقد كان لقائي بهذا الرجل المتميز بين أحضان هذا المدرج الذي نوجد فيه الآن، ونحيي فيه ذكراه، إنه مدرّج الشريف الإدريسي، الذي احتضن عددا لا يحصى من المناسبات العلمية الرفيعة، وضمّ الكثير من اللقاءات الفكرية السامية، على مدى عشرات السنين.

في هذه القاعة، كان لقائي الأول مع المرحوم، وكنت ضمن أعضاء لجنة مناقشة، لرسالة جامعية، يترأسها الأستاذ عباس الجراري، الذي كنت أعرفه جيدا كأحد الأساتذة المرموقين، في كلية الآداب، ولكنني لم أجتمع به، في أية مناسبة علمية. وفي هذا اليوم، كان الأستاذ هو رئيس لجنة المناقشة، وهو الذي اقترحني عضوا مشاركا في هذه اللجنة العلمية المختارة. ولا أنسى أنه بكريم فضله، عندما قدمني لأتناول الكلمة، وأناقش صاحب الأطروحة، قال عنّي: «أعطي الآن الفرصة للدكتور سيدي ابراهيم المزدلي». واستغربت أن يقول عنّي الأستاذ «سيدي ابراهيم»، ولا ينطقها بتشديد الياء، ولكنه يجعلها حرف مدّ غير مشكول، على الطريقة المغربية الدارجة، التي تقرب الدلالة أكثر، بأكبر كمية من المحبة، وعظيم قدر من الودّ. قلت في نفسي: كيف يقع هذا ؟ الرجل الذي يناديه الملك الحسن الثاني، وما

أدراك ما الحسن الثاني، معرفة بمواقع الرجال علماً وخلقا وأدباً، يقول عنه: السي عباس، ويخاطبني بقوله: سيدي ابراهيم. وكان سؤالا يغرق في الاستغراب، ولا يجد الرد الحاسم، في الأوان الذي التقطه فيه السمع، وتعجب منه العقل والفؤاد معاً.

ويؤكد المرحوم ذاك، فبعد المنطوق أمام لجنة المناقشة، والحضور الذي غصّت به قاعة الشريف الإدريسي، يعود إلى ذلك التكريم بالمكتوب، في كتابه مع المعاصرين1 ؛ عندما أفرد لي فصلا خاصّاً سمّاه: الأستاذ الصديق: إبراهيم المزدلي.

ولا يسمح المجال المكاني لهذه الشهادة العجلى، أن أتوقف ولو بقليل من التفصيل، عندما نثره حولي المرحوم، من رياحين القول الجميل، وياسمين الإطراء الباهر، في هذه الشهادة المكتوبة ؛ والتي زاده الله بها في فؤادي سموّاً وعلوا، رفعته إلى أعلى المقامات ؛ وأضحى في حياتي رمزا رفيعا للأساتذة الكبار الذين جاد الزمان الكريم بجميل معرفتهم، وأسعدني بصداقتهم وودّهم ومحبّتهم.

عرفت الأستاذ عباس، وفي هذا المدرج أيضا، في كثير من المناسبات العلمية الرفيعة، وأقتصر على ذكر ثلاث منها:

أولاً: سنّ الستين، وذلك سنة 1997، وشارك فيها ستة وخمسون أستاذا، من جميع كليات الآداب، في المغرب بكامله. وجمعت المساهمات في ثلاثة أجزاء ضخمة، بلغت صفحاتها: 1360، بعنوان «**زهرة الآس في فضائل العباس**». وأشرف على جمع وطبع هذه المشاركات الهامة الأستاذان: محمد احميدة، ومصطفى الجوهري، وصدرت عن مطبعة دار المناهل في يناير 1997. وشاركت فيها بتحليل أقصوصة للأستاذ أحمد بوزفور، شغلت أربعا وثلاثين صفحة، بعنوان: «حركية السياق الموضوعاتي في القصة المغربية».

ثانياً: في الذكرى المئوية لميلاد الشاعر عبد الرحمان حجي، احتضن مدرج الشريف الإدريسي ندوة علمية حول هذا الشاعر وشعره، وعقدت يوم 19 ماي 2001، وأدارها المرحوم عباس الجراري، وساهمت فيها مع صديقي المرحوم إدريس بلمليح.

1 مع المعاصرين، الجزء الثالث، ص: 99-105، منشورات النادي الجراري -49- مطبعة الأمنية، محرم 1431هـ-ديسمبر 2009م.

وقدمت تحليلا مستفيضا حول الألم في شعر الشاعر السلاوي عبد الرحمان حجي، اعتمدت فيه على المعطيات الإحصائية والتحليل السياقي. وظهر هذا الجهد العلمي مكتملا في كتاب: «مجالس النادي الجراري –المحاضرات– الجزء الأول2.

ثالثاً: الندوة الثالثة التي أشير إليها، بكثير من الاختصار، كانت بعنوان :»الأدب المغربي: إشكالات وتجليات»، وعقدت بتاريخ 16-17 يناير 2002، في رحاب قاعة الإدريسي. وكانت اللجنة المنظمة مكونة من الأساتذة: محمد احميدة، سعيد يقطين، إبراهيم المزدلي. وكان عدد الأساتذة المشاركين تسعة وثلاثين. وساهمت فيها بعرض حول: الخيل في الشعر العربي القديم والمغربي الملحون. ونشرت هذه المشاركة في مجلة المناهل3.

وانتهت بإضافة عدد كبير من البحوث المهمة في الأدب المغربي، بمختلف عصوره إلى الخزانة المغربية.

ختمٌ لكلام لا ينتهي.

لعلنا استمعنا بوعي وإدراك إلى حديث المكان، الذي يملك ذاكرة لا تنسى، وهي التي تذكر الإنسان الذي دوماً ينسى، حتى نسيَ أنه ينسى.

والتحية لكلّ من شارك في إحياء ذكرى رجل، من الذين يستحقون المحبة والتنويه، في كلّ زمان وفي أيّ مكان.

2 إعداد وتقديم: د. محمد احميدة، منشورات النادي الجراري -91- ص: 119-211، مطابع الرباط نت –الطبعة الأولى، 2020

3 . المناهل، عدد 79، أكتوبر 2006، ص: 257-296

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عباس الجراري :
انضباط في الوقت، وموسوعية علمية، وغيرة وطنية

قاسم الحسيني
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس -الرباط
عضو النادي الجراري

تقديم شهادة في المرحوم عباس الجراري ليست بالأمر الهيّن، فهي تقتضي ملاحقة لمختلف مراحل حياته في علاقته بنفسه ومحيطه القريب والبعيد، والوقوف عند أهمّ المنجزات التي قدّمها للعلم والوطن. وأنا من موقعي باعتباري أحد طلابه من جهة، وواحد من أعضاء ناديه قرابة خمسة عقود من جهة أخرى، أشعر أنّني مؤهل فوق العادة للإدلاء بشهادة في حقّه تركز على جانبين أراهما أساسيين: الأول: عباس الجراري رحمه الله الأكاديمي الباحث والمؤطر في رحاب الجامعة ؛ أما الثاني: فيتعلق بعباس الجراري عميد النادي الجراري...

أبدأ بالأول: حين كان يحاضر طلابه في السلك الثالث، وكنت معهم، كان رحمه الله منضبطاً لم يكن يتخلف عن موعد المحاضرة، بل لم يكن أحد يسبقه إلى القاعة المخصصة لذلك خلافا لحال طلابنا اليوم، كما كان لا يبارح كرسيه متحدثا طوال خمس ساعات متصلة ولم يكن يسمح بمقاطعته وهو يحاضر لما كان يتميز به من قوة التركيز في مقابل ذلك كان يخصص وقتا للأسئلة والمناقشة في نهاية المحاضرة.

أذكر أنّه، رحمه الله، كان شديد العناية والاهتمام بطلابه، ومن هذا القبيل حين احتجت إليه ولم يبخل عليّ بوقته الثمين حين قبل المشاركة في مناقشة رسالتي لنيل دبلوم الدراسات العليا باقتراحٍ من عمادة فاس وأستاذي المشرف آنئذ الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس، رحمه الله، إذ كان نعم الموجّه. وبعد سنة من ذلك، قبل الإشراف على أطروحتي لنيل الدكتوراه، فشملني برعاية علمية خاصة ودقيقة لم يكن مستبداً برأيه ولا بموقف معي في المجال المعرفي، فقد كان يترك هامشاً للحرية شريطة أن أقدّم له ما يقنعه ويثبت صحة ما أزعم. لقد فتح لي، رحمه الله، قلبه وفكره وباب مكتبته، ومرّت سنوات الإشراف كلمح البصر، استمتعت فيها بمرافقته العلمية الغنية والمفيدة على الصعيدين المعرفي والمنهجي...

كما أتذكّر، وهو يؤطر بالجامعة، كنّا نحتفي معه بمؤلفات تصدر له في شتى أنواع المعارف، كان يعشق القراءة، لا يعرف التوقّف عن الكتابة. ذات مرة، جئته في زيارة لبيته، وكان يعاني صداعاً في الرأس، فسألني عن كتاب لم يتذكر لمن أعاره، وطلب منّي إن كنت أملك نسخة منه أن أحضره له بقصد عملية التوثيق، فعجبت للأمر لأنه كان يفكر في الكتابة ونسي وضعه الصحي... ذلك جانب بسيط من جوانب شخصيته العلمية رحمه الله، تطرّقت إليه باختصار شديد.

أما الجانب الثاني الذي أشرت إليه أعلاه، فهو النادي الجراري الذي أسّسه والده في فجر الثلاثين من القرن الماضي، واقترن التّأسيس بصدور الظهير البربري الذي كان لصاحب النادي، رحمه الله، عليه موقف شجاع منه فاعتُقل ودخل السجن بسببه إذ كان دعاؤه المشهور على لسان كلّ مواطن غيور وهو: «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر لا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر»... كان للنادي جلسات مخصصة لنقاش وعرض قضايا مختلفة كل مساء الجمعة بعد العصر من كل أسبوع، وكان لي شرف الانتساب إليه يوم كان مقرّه بديور الجامع زنقة القاضي عياض، أيام كان والده عبد الله، رحمه الله، عميداً له...

لا أريد الدخول في تفاصيل تاريخية تخصّ نشأة النادي وتطوره من العميد المؤسّس عبد الله رحمه الله إلى وريثه في العمادة المرحوم الأستاذ الدكتور عباس الجراري، لأن ذلك يحتاج إلى حيز غير حيز الشهادة، علماً أنني كتبت بحثا ضمن كتاب: «الأندية الأدبية في المغرب (النادي الجراري نموذجا)»، وهو من منشورات النادي الجراري لمن أراد المزيد من الاطلاع...

أعود للحديث عن النادي، لكن هذه المرة للحديث عن حركيته وأنشطته العلمية والثقافية تحت رئاسة عميده الجديد موضوع الشهادة. ما زلت أتذكّر بكثير من الدقة الأسابيع الأولى التي أعقبت وفاة مؤسّس النادي عبد الله الجراري رحمه الله، إذ كنت أحضر الجلسات بحضرة عميده الجديد صاحب الابتسامة العريضة والطلعة البهية سيدي عباس رحمه الله، الذي أبدى من الوهلة الأولى لقيادة النادي حرصه الشديد على استمرار الجلسات في مواعيدها المألوفة يوم الجمعة من كل أسبوع بعد صلاة العصر، فكانت تخصص هذه الجلسات للتداول في مختلف القضايا الراهنة منها وغير الراهنة سواء الوطنية أو العالمية، وكان العميد ينظم حديث المتدخلين، ويرتب حوارهم ويعلق حين يدعو إلى ذلك داعٍ أو يطرأ في القضية ما يستوجب منه التدخل، هكذا كانت حال الجلسات. أحياناً كان يحتدم الصراع بين المتدخلين من أعضاء النادي، وغالباً ما كان يحدث ذلك في المواضيع السياسية سواء الوطنية منها أو العالمية كقضية سبتة ومليلية وقضية الصحراء، ثم قضية العراق وفلسطين ولبنان والعلاقة بين دول شمال إفريقيا... إلخ

وكانت جلسات النادي تزخر بالكفاءات الفكرية والأدبية مشبعة بالروح الوطنية، وكان يتعايش فيها جيلان: جيل الرّواد في العلم والأدب والوطنية، على رأسهم المرحوم عثمان جوريو، ومصطفى بن مبارك، الشاعر الرقيق محمد بن الراضي، والمختار ولد باه إلى جانب عميد النادي الدكتور عباس الجراري رحمهم الله جميعاً ؛ وجيل جديد متحمس، شديد الحرص على الحضور والمشاركة في جلسات النادي كله أو جله من فئة الطلبة الباحثين ينجزون رسائلهم الجامعية تحت إشراف وتوجيه المرحوم. كما أنّ أغلبيتهم كان يكتب الشعر ويتذوقه، ويحسن تأمله وقراءته، ومنهم من ضمن أطروحته الجامعية العناية بالمدارس الشعرية واللغوية، وكلّ هذا يعني أنّ آليات قراءة الشعر كانت جاهزة في فضاء النادي الذي كان يشكل ميداناً للتباري بين الجيلين، غالبا ما كان يصفر عن فوائد يحملها كلّ من حضر الجلسات.

ولا ينبغي أن أنسى أنّ النادي كان يضم مجموعة من الرواد من الطبقة العادية غير المثقفة، ولكنها كانت مهتمة ومتتبعة لأنشطته، تبدو عليها ملامح الارتياح والفرحة الدّالة على استفادتهم، وكنت ترى في نهاية كل جلسة يوم الجمعة، المرحوم عميد النادي يقف مودعا الجميع مبتسماً مثلما استقبلهم.

أعود للحديث على النشاط الأدبي والفكري الذي كان يعرفه النادي بتنظيم وتوجيه عميده رحمه الله، لأشير إلى ما كان يناقش ويقرأ ويدرس من طرف الرواد بجيليه. فقد كثرت إصدارات الأعضاء من كتب ودواوين شعرية واكبتها اهتمامات وقراءات كان للمرحوم عميد النادي تأثير فيها بتدخلاته وتوجيهاته الدقيقة على مستوى المحتوى والمنهج خصوص المؤلفات منها. أما القراءات الشعرية، فكان لها متخصصوها على مستوى الإيقاع والعروض والصور البلاغية والفنية التي تحرك المتأمل وتنشطه عند إدراك كنهها ومعرفة انزياحاتها..

هكذا كانت الجلسات تمرّ كل أسبوع، وكان المرحوم عميد النادي بما حباه الله من تجربة في مجال الدراسات الشعرية بوجه خاصّ، والأدبية بوجه عام، يثير عند تدخلاته الانتباه إلى ما قد يكون غاب أو أغفل من ذكر لبعض العناصر في خضم نقاش المتجادلين، وكان وهو يثير ذلك يصدر عن ابتسامة تشي بهدف خفي وراءها الذي هو دفع المناقشين إلى المزيد من تعميق البحث، خاصة إذا كان صاحب النصّ الشعري أو صاحب المؤلَّف حاضراً في الجلسة...

لا أستطيع سرد ولو القليل مما تناولته جلسات النادي بخصوص الدراسات الشعرية وقراءة المؤلفات لكثرتها، لكن الذي أقدر عليه هو الإشارة فقط إلى بعضها، علماً أنها كلها موثقة ضمن مؤلَّف تكفّل به مشكوراً زميلنا الأستاذ محمد احميدة، تحت عنوان: «حركية النادي الجراري خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين»، وهو من منشورات النادي الجراري. قلت سأكتفي بالإشارة إلى نماذج من تلك الأنشطة التي كانت تضمها جلسات النادي دون الدخول في التفاصيل التي لا يتسع المجال لذكرها في هذه الشهادة المختصرة. من بين النماذج التي تلح عليّ أن أذكرها: قراءة مؤلفات المرحوم عميد النادي الأستاذ الدكتور عباس الجراري، وهي كثيرة مثل: قضايا للتأمل برؤية إسلامية، ومع المعاصرين، أسماء وآثار في الذاكرة والقلب، وهويتنا والعولمة، وبحوث مغربية في الفكر الإسلامي، والإسلام واللائكية، والذات والآخر، والشاعر الناقد محمد البيضاوي الشنگيطي، والإصلاح المنشود، والثقافة من الهوية إلى الحوار... إلخ

كما تمّت قراءة ديوان شاعر الحمراء بعد صدوره محقَّقاً من طرف الأستاذ الدكتور الزميل شوقي بنبين، ثم تلته قراءات همّت اللون في شعر شاعر الحمراء للأستاذ الدكتور إبراهيم المزدالي، تبعتها جلسة أدبية خصصت لتقديم وقراءة كتاب شاعر الحمراء «بين المألوف اليومي والمألوف الشعري» للأستاذ الدكتور قاسم الحسيني...

وكان النادي في اختياره للنصوص ودراسته لها يتجاوز الحيز الجغرافي الإقليمي ليقف عند مبدعين ومؤلفين من مختلف الأقطار العربية، أذكر منهم على سبيل المثال فقط الشاعر والدبلوماسي السعودي محيي الدين خوجة، والموريتاني أحمد بن المختار وغيرهما... وهذا الانفتاح أكسبه الشهرة فأصبح صوتا مسموعا في المشرق والمغرب، وصار له إشعاع ثقافي وفكري وأدبي يفوق حجم ما تحدثه الأندية الأدبية حسب علمي المتواضع. ولعل السبب راجعٌ إلى عاملين: الأول في الإرادة القوية لعميده المرحوم في اكتساب العلم والمعرفة وبذل كل الجهد في سبيل ذلك ؛ أما العامل الثاني فيكمن في إخلاص روّاده لخدمة قضايا الفكر والأدب، وإجماعهم على جعل النادي ليس مجرد مكان للتلاقي وإنما موعداً للتأمل والإبداع..

أختم شهادتي في العزيز المرحوم عباس الجراري بالإشارة إلى ثلاث صفات عُرف بها -رحمه الله- محليا وعربيا وإسلاميا:

الصفة الأولى تقترن بعلمه وأدبه حيث أظهر بفضل إنتاجاته علوّ كعبه للقاصي والداني، فأسر أفكارهم وعلقت بقلوبهم لأنهم لمسوا فيها العمق والصدق في آنٍ، وأخرج الأدب المغربي إلى الوجود فأسّس مشروعه الثقافي والأدبي انطلاقا منه، وسهل على الطلبة الباحثين المنتسبين لتخصّصه اقتحام أدغال الأدب المغربي بمختلف اتجاهاته، فكان سبّاقاً إلى تشجيع طلبته في الجامعة إلى الاشتغال بالأدب الأمازيغي والصحراوي، إضافة إلى اهتمامه -رحمه الله- بالأدب الشعبي والملحون، وله يرجع الفضل في تكوين مجموعة من الباحثين في الأدب المغربي وفتح تخصص فيه بمختلف الجامعات المغربية بعد أن تمّ توفير الأطر الكفأة لذلك... وترتبط بهذه الصفة موسوعية المعرفة عنده في: الموسيقى والإيقاع والتاريخ والفكر الإسلامي والثقافة الدينية، وله مؤلفات شاهدة على ذلك في جميع هذه الميادين التي ذكرت.

وترتبط **الصفة الثانية**، بكونه -رحمه الله- كان شديد الغيرة على وطنه انسجاماً مع أهداف النادي التي أُسّس من أجلها، ولم تكن الغيرة على لغته ودينه بمنأى عن ذلك، ومن ثمة دافَع بقوة عن الهوية المغربية في مناحي عدة:

- الهوية الوطنية

- الهوية السياسية

- الهوية اللغوية والدينية

أما **الصفة الثالثة** فتكمن في تميّزه في علاقته داخل المغرب وخارجه بفعل إشعاعه الفكري، ومشاركته الفاعلة في اللقاءات العلمية وطنيا وعربيا وإسلاميا. فقد كان -رحمه الله- يحظى بتقدير خاصّ أينما حل وارتحل في الوطن العربي على وجه الخصوص، بفعل تواجد طلابه ومريديه به إلى جانب حضور أصدقائه العلماء من المحيط إلى الخليج. وأستحضر على سبيل المثال شهادة الدكتور ناصر الدين الأسد، أكاديمي وباحث أردني، صاحب الكتاب المشهور: «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها» وصاحب الشهرة الواسعة في الوطن العربي حيث جاهر معترفاً وسط حضور المشاركين في إحدى الندوات العلمية وكنت حاضراً وقتئذ، أن عباس الجراري هو من عرف الشرق بالأدب المغربي وأظهره، فلم يكن الوطن العربي يعرف عن الأدب الإقليمي في المغرب شيئاً. كما كان البرادعي شاعر اليمن المشهور أحد المعجبين بالشخصية العلمية والثقافية للمرحوم.

أما شعره، فكان له تأثير خاص في وجدان فقيدنا بفعل توافره على صور فنية عالية القيمة...

وكان للمرحوم موطنٌ علميّ زاهر في كل جهة من جهات العالم العربي: في موريتانيا، والجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والأردن، وسلطنة عمان، والسعودية، والإمارات، والكويت، والبحرين، وغيرها... كما كان لكثير منهم زيارات خاصة للنادي الجراري، وتقديم عروض تخصّ إنتاجاتهم العلمية.

رحم الله أستاذنا وشيخنا عباس الجراري، وأسكنه فسيح جناته، ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

عباس الجراري في موكب الخالدين

نجاة المريني
أستاذ شرفي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس-الرباط

حضرات السيدات والسادة،

الأساتذة والأصدقاء،

والطلبة الأوفياء،

والأسرة البهيّة المقام،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

أستاذي الدكتور عباس الجراري،

لا أعرفُ إن كان القلم سيُجيدُ الحديث عنكَ وإليكَ، إذ يصعبُ عليَّ أنْ أخطَّ كلماتٍ في لحظاتٍ قاسية عنكَ رائداً كبيرا، وأستاذاً ناجحا، وباحثاً قديرا، ومفكّراً كفئا، ومثقّفاً لامعا، وعالِماً رصينا، وخطيباً مفوَّها، وموسوعيّاً متألقا، أنتَ ممَّنْ يعجِزُ القلمُ عن تَوْفِيَتِكَ ما تستحقُّه منَ الأوصاف والنّعوت.

تهيَّب القلم أنْ يخُطَّ كلماتٍ ليشارك في تأبينكَ في هذا الفضاء الأكاديمي «مدرج الشريف الإدريسي» بكلية الآداب، والذي عرَفكَ أستاذا محاضرا ومناقشاً فيشهدَ لكَ بالتفوّق والتميُّز، لَوْ تحدَّثتْ حيطانُه وكراسيُّ مُدَرَّجِه، منذ أن تربَّعتَ مِنصَّتَهُ السّنواتِ ذاتِ العدد، لأفصَحَ الجميعُ اللحظةَ عما يُكنُّوهُ لكَ من إعجابٍ وتقدير.

كما تشهد لكَ قاعاتُ الدّروس بهذه الكلية وبملحقها بمدينة العرفان بالسويسي، بجدّيتكَ وعطائِكَ، وبالتزامِكَ دائما باحترام مواعيد دروسِكَ، وانضباطِكَ بذلك سواءٌ في دروسِكَ الصّباحية أو مع الطلبة الذين تُشرف على رسائلهم وأطاريحهم الجامعية.

كانت هذه الكلية تسكنُ أعماقَكَ، وتُؤرِّقُ فكرَكَ، يشْغلُكَ واقعُها ومستقبلُها باستمرار، فكلَّما زرْتُكَ إلَّا وكان السؤالُ عن الجديد من الإصدارات المغربية في المكتبات التي أزورُها، عن الكلية والطلبة، وعن الشعبة، وعن الجديد من أخبارها، وكنتُ أردِّدُ مع نفسي: لِمَ يسألُ عنها ؟ ألَمْ يعشْ فيها أزهى سنواتِ عمره: شبابِه ونضجِه وكهولتِه، متطلّعا إلى أخبارها، متشوّفا إلى جديدها، إنّه الوفاءُ الذي يملأُ كيانَه ويملأُ مشاعرَه، وهنا أقترحُ تسميةَ إحدى القاعات باسم «**الدكتور عباس الجراري**»، تأريخا لمسار أستاذ علَّامة في رحاب هذه الكلية العامرة، وفي هذا الإطار، أقترحُ أيضاً تسمية إحدى قاعات الكلية لأستاذي وصديقه العلّامة الدكتور محمد بن شريفة، رحمهما الله.

يدعوني رحيلُكَ أستاذي إلى تدبُّر قول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وبشِّرِ الصّابرينَ الّذينَ إذا أصابتْهُم مُّصيبةٌ، قالُوا إنّا لله وإنّا إليهِ راجعُون﴾. صدق الله العظيم.

إنّها فاجعةُ الموت التي لا نقوى على ردِّها، ولا مساءلَتِها، عجَزَ الطّب عن فكِّ لغزِها مهما فعل، وليس لنا إلَّا أنْ نتدبّرَ ما ورد في الحديث النبويّ الشريف: «من أثْنيْتُم عليه خيْراً وجَبتْ له الجنّة»، وأنتَ أيّها الرّاحل العزيزُ ممَّن يذْكرُهُمُ الجميع بالخير، ويشهدُون بأفضاله ومكارمه وجميل خصاله، فوَجَبتْ لكَ الجنّة.

رحيلُك أستاذي وصديقي الدكتور عباس الجراري فاجعةٌ أخرسَتِ الألسُنَ، وأدمتْ شِغافَ القُلُوب، نترقّبُ كلّ الأخبار المزعجة، لكنّنا لا نترقّبُ مصيبةَ الموت، دائماً تستغفلُنا في لحظات الأمل، وتسلُبُنا العزيزَ منَ الأهلِ والأساتذة والأصدقاء، وتَلُفُّنَا سُحبُ الإيمانِ بقضاء الله وقدره، وتغمرُنا مشاعرُ الأسى العميقِ، ومرارةُ الفقد الأليمِ لمَن كانتْ حياتُهُ دفْقاً منَ العطاءِ، وحضورُه بهاءً في بهاء.

وقديماً قال المتنبّي في الرّثاء:

ما كنتُ أحسَبُ قبل دفنِكَ في الثّرى * أنّ الكواكبَ في التّرابِ تَغُورُ
ما كنتُ آمُلُ قبل نعشِكَ أنْ أرى * رضوى على أيدِي الرّجالِ تسِيرُ

أو كما قال الشاعر ابن رازكة الشنقيطي:

هُوَ الموتُ عَضْبٌ لا تَخُونُ مضاربُهْ * وحَوضٌ زُعاقٌ كلُّ مَنْ عاشَ شَارِبُهْ

دُنيا غيرُ آمنة، تُشعرُنا بالاطمئنان إليها، تُغرينا بملذّاتها، وتُطْمِعُنَا برهاناتِها، تجُودُ لتسلب، وتُعطي لتأخذ، تَفْجؤُنا بحقيقة المآل، ومرارةِ الفقد والغياب، فما على المرء إلَّا أن يرضى بقضاء الله وقدره، ويؤمنَ بحقيقة الموتِ في كلّ وقت وحين.

كانت مفاجأةً غيرَ سارّة، إذ يبقى الأملُ دائما في الإفلات من سطوة الموت، يدغدغُ المشاعرَ، ويُلهِبُ العواطفَ لحظاتٍ لحظات، لكن، وكما قال أبو فراس الحمداني:

ولكن إذا حُمَّ القضاءُ على امرئٍ * فليسَ لهُ بَرٌّ يقيهِ ولا بحرُ

كنتُ أستعدُّ كغيري لحضور حفل تكريميّ، يقيمُه معهد كونفوشيوس، لتقديم ترجمة كتابِكَ «بين التنمية والثقافة» إلى اللغة الصينية، يوم الاثنين 8 يناير 2024، لكن حصل ما لم يكن في الحسبان، تأجّلَ اللّقاء، وكان استفسارُ أرملتِه عن السّبب فقالت: إنَّ وضعَهُ الصّحي يستدعي نقله إلى المستشفى. ونزل الخبرُ عليَّ كالصاعقة، لكن الطمعَ في رحمة الله كان مُسَكِّناً لانزعاجي من الخبر، وكان الأمل أنْ يمرَّ من هذه الأزمة الصحية المفاجئة بخير، وأنْ يتغلّبَ عليها كما عوَّدنا على الانتصار على المرض والمستشفى. لكنّه غُلِبَ على أمرِه هذه المرّة، إذِ انتزَعَهُ الموتُ منّا انتزاعا، وسقانا جميعا مرارةَ الفقدِ وجراحَ الفراق، لم أصدّقِ الخبرَ إلّا بعد أن رأيتُهُ مُسْجَى تُتْلى عليه آياتُ الذكر الحكيم استعداداً لنقله إلى مقَرٍّ سَكَنِيٍّ ارتضاهُ الخالقُ له، رحمه الله.

ويرحلُ **الأستاذ الدكتور عباس الجراري** عن هذه الدّنيا الفانية، بعد حياةٍ حافلة بالعطاء، ومسارٍ مشرقٍ بجليلِ الأعمال، وبديعِ الإصدارات، وبهيّ المؤلفات، يبهِرُكَ بما يمجُّهُ قلمُه من حين لآخر حول موضوعاتٍ أرهقَهُ التفكيرُ بها زمناً، وداومَ على البحث فيها بأناةٍ وتبصُّر، ويحلّل ويناقش ويَبْسطُ أراءَه وتصوّراتِه حول ما يشغلُهُ ويُؤرِّقُ فكرَه في الثقافة، في الدراسات المغربية، أدباً وفكراً، في الفكر الإسلامي، في الثقافة الشعبية، في ثقافة الصحراء، كما شغلتْهُ الظواهرُ الاجتماعية والاقتصادية، فشاركَ كمفكّر في الحديث عنها وطَرْحِ بعض وسائل العلاج كـ «أهمية الماء من منظور إسلامي»، و «مفهوم التّعايش في الإسلام»، و «الحوار من منظور إسلامي»... إلى غيرها من المؤلفات التي لا يستغني عنها أيُّ باحثٍ أو طالبٍ فيغرفَ من عذب زلالها ما يُعينُه على الدرس والبحث، مطمئِّناً إلى ذلكم الزّادِ المعرفيّ الذي أنار له الطريقَ وعبَّد له المسار، فلا نملِكُ جميعاً غيرَ أن نعترفَ بفضلِهِ وجميلِ صنيعِهِ في المجالس والمنتديات واللقاءات والندوات.

ولعلّي أجدُ العزاءَ فيما خلَّفَهُ أستاذُنا من مؤلفاتٍ ودراساتٍ لتحَمُّل وقْع الخبر غير السّار، الذي حملهُ الهاتف في مساء يوم رحيلِه، وإن لم يستَوعِبْهُ السّمع ساعَتَها، لأنّ الأستاذَ كان قويّاً في لحظاتِ أزماتٍ صحية عاشها، واستطاع أن يتغلّبَ عليها بإيمانِ الصّابر المحتسبِ، ويعيشَ بعدها في صحة وعافية، ويتابعَ مشوار حياتِه بأمنٍ وأمان، يحاضرُ العلماء والأدباء والطلبة النجباء، ويناقشُ الرسائل الجامعية التي كان يشرفُ عليها في كليات المغرب المتعددة في الرباط، والبيضاء، وأگادير، وفاس، ومكناس، ووجدة، ومراكش، وغيرها، لا يتأفّفُ ولا يتذمّرُ لبعد المسافة وتعب الطريق، بل ينشرحُ صدرُهُ ويتجدّدُ نشاطُهُ، وألمسُ عندَهُ روح الشابّ النشيط وسط زملائِه وأصدقائِه وطلبتِه.

عباس الجراري نسيجُ وحدِه خُلُقا وعلماً، بشاشة وانشراحاً، ابتهاجا وحبوراً، تأليفا وتصنيفاً، حضورا وتألّقاً، مُجالسٌ مُجانسٌ، كلّما جالستُهُ إلّا وأتحفني بالجديد من الكتابات والدراسات، تأكّد لي ذلك عندما شاركتُ معه، رفقةَ أرملتِهِ، في سفرياتٍ علميّةٍ لحضور ندوات تكريميّة أقيمتْ لهُ، أكونُ من المشاركاتِ فيها بالرباط، ومراكش، وشفشاون، وبرشيد، وأسفي، وتطوان، والعيون، وغيرها، كنتُ أنبهرُ بتلك الذّاكرةِ القويّةِ المستوعِبة، فهو حاضرُ البديهة، فصيحُ اللّسان، بليغُ الحجّةِ والبيان، قدرةٌ فائقةٌ على الارتجالِ يَبُزُّ بها غيرَه من الأساتذة الزملاء ؛ وهي ميزةٌ أعتبرُها هبةٌ من الله تعالى، مُستشهداً بمحفوظِهِ من الأشعار كلّما كان النّقاش يستدعي ذلك، ذاكرةٌ حافظةٌ قويّةٌ تُسعفُهُ كلّما دعاها، لا تبخلُ عليه

بذلك المحفوظ منَ الأشعار، وكثيرا ما كنتُ أدعوهُ إلى أن يسجِّلَ لي بخطّ يمينه ما يفاجئُني باستشهادِهِ بالمحفوظ منَ الأشعار، من ذلك ما حدث ذاتَ مرّة ونحنُ نُنْصِتُ إلى شاعرٍ يتحدّثُ عن ليلاه وعن شقائِه بحبِّها وعن الحرقة التي اكتَوَى بها وقد هَجَرَتْهُ ورفضَتْ وصالهُ، في ندوةٍ علميةٍ بالعيون، ففعلَ وكتبَ لي في ورقةٍ بخطّه وما زلتُ أحتفظُ بهذه الوثيقة، وكان ذلك بالضبط يوم 5 نونبر 2016، بيتان شعريان من محفوظ الأستاذ الجراري، فهو يُجيد الإنصات ويستحضر ما خطر بفكرِهِ لحظتها:

فكـرتُ ليلـةَ وصْلـها في هـجْـرِها * فجـرتْ مدامـعُ مقـلتِي كالعـندمِ

فطفِقْـتُ أمسحُ ناظـرِي في جيدِهـا * مـن عـادة الكافـور إمسـاكُ الـدّمِ

بحثتُ عن صاحب البيتين فوجدتُهما للشاعر ابن رشيق القيرواني، صاحب كتاب «العمدة». فالرّاحل الجراري القدوةُ ممَّنْ أكرمَهُمُ الله بهذه الذاكرة القويّة، يستدعيها فتُجيبُهُ ملبيّةً في حَلِّهِ وترحالِه، يستدعي تلقائياً ما لم يطوه النّسيانُ في ذاكرتِه، وهذه نقطةٌ من بحر من غزير عطائه.

كما حضرتُ معه مهرجان المربد ببغداد بالعراق سنة 1989، وكانت جلساتُهُ تستقطبُ أسماع المشاركين في المهرجان من أدباء الوطن العربي، يتحلّقون حولَهُ ويُنصتون إلى أحاديثِهِ المختلفة الموضوعات ؛ كما حضرتُ إلى جانبِهِ ندوةً علميّة، بمدينة عمان بالأردن، في إطار المؤتمر الإسلامي الدولي، نظّمتها مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، بموضوع عنوانه: «تأملات في حقوق الإنسان في الإسلام»، وذلك سنة 2005، وكان اللقاءُ تجمّعا للعديد من العلماء والأدباء على اختلاف توجّهاتهم، رغبة في محاولة لجمع رؤى وتصوّرات المشاركين والمشاركات في موضوع حقوق الإنسان في الإسلام.

عباس الجراري أستاذي الذي أشرفَ على متابعةِ تحضيري لرسالتيَّ الجامعتين بكلية آداب الرباط، ودبلوم الدراسات العليا في موضوع شعر عبد العزيز الفشتالي، مؤرخ أحمد المنصور السعدي ؛ وأطروحة دكتوراه الدولة عنِ الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي، وتمّتْ مناقشتهما بهذا الفضاء الجامعيّ، مدرج الشريف الإدريسي. ومن ثَمَّ كان احتكاكي بالنصوص الشعرية المغربية القديمة في العصر السعدي، من خلال مخطوطات تصعُب قراءتها إلّا بعد حصول الألفة بيني وبينها سنوات، فتحقيق المخطوط ليس بالأمر الهيّن السّهل، ومع ذلك حرصتُ على الاشتغال بالمخطوطات، بل وعشقتُ ذلك. وهكذا، عملتُ على تحقيق كثير من هذه النصوص التي استخرجتُها من بطون الكناشات والمصادر التاريخية

والجغرافية وغيرها، ثم سعيتُ إلى إخراجها من دائرة النسيان إلى التعريف بها وبشعراء الفترة ثم نشرها دواوين شعرية مغربية، وكان الأستاذ الجراري يشعر بالاطمئنان لمثابرتي على إخراج هذه النصوص. ومن هذه الدواوين: ديوان مؤرخ الدولة السعدية كما ذكرتُ عبد العزيز الفشتالي، وشعر أبي العباس بن القاضي، وشعر محمد الوجدي الغماد، وشعر محمد بن علي الفشتالي، وشعر علي بن منصور الشياظمي، وغيرهم.

وبعد أن كنتُ أستاذة زائرة بكلية آداب الرباط سنة 1980، وإثر التحاقي بالتعليم الجامعي سنة 1987، أصبحتُ زميلةً لهُ برحاب هذه الكلية العامرة، أشاركُهُ محطاتٍ عديدةً في تدريس الأدب المغربي، في سنوات الإجازة وفي سنوات استكمال الدروس وفي مناقشة الرسائل الجامعية التي كان يُشرف عليها في الأدب المغربي، سواء تعلّق بعضُها بالدراسة أو تحقيق النصوص الشعرية المغربية في عصور مغربية مختلفة، لتأكيد ما كان للأدباء المغاربة من حضورٍ شعريّ في الساحة الثقافية منذ العصر المرابطي، وذلك دحضاً للمقولة التي تنفي شاعرية المغاربة، وفي مثل هذه التحقيقات إحياء للتراث الشعريّ المغربيّ القديم.

وفي إطار الإصلاح الجامعي الجديد سنة 1997، ورئاستهِ لـ «وحدة أساليب الكتابة في أدب الغرب الإسلامي»، كنتُ ضمن فريق أساتذة الوحدة التي حَرَصَتْ على تكوين النخبة من الطلبة الحاصلين على الإجازة في اللغة العربية، خلال سنتين جامعيتين تُتَوَّجُ بحصولهم على درجة «دبلوم الدراسات العليا المعمّقة في اللغة العربية وآدابها»، وكنتُ أجدُ في تكليفه لي بمتابعة أعمال طلبة الوحدة وتنسيقِ أنشطتهم صورةً لعلاقتي العلميّة به، أستشيرُهُ في كثيرٍ من القضايا الأدبية والأبحاث التي تخصّ الطلبة وهم يستعدّون لمناقشة بحوثهم، فكانتْ لقاءاتي معهُ سواءٌ في الجامعة أو في بيتِه ترتقي بعلاقتي معَهُ من مستوى الزّمالةِ إلى مستوى الصداقة والأخوة.

أستاذي عباس الجراري: تقديري لكَ واعتزازي بأخوتكَ وصداقتكَ، كلُّ ذلك دعاني إلى تأليف كتابٍ عنكَ وعن أعمالكَ، جَمعْتُ فيه ما كتبتُ عنكَ وعن مؤلفاتكَ فور صدورها، وكذلك ما استخرجتُهُ من موضوعاتٍ مُرْتَجَلَةٍ شاركْتَ بها في ندواتٍ علميّة من شرائط التسجيلات المتوفّرة، إضافةً إلى أنّني استكتَبْتُ بعض رجال الفكر والأدب للحديث عنكَ في شهادات تقديرية منهم، الأساتذة: محمد بن شريفة، علي القاسمي، محمد الإدريسي العلمي، نجيب العوفي. كما تضمّن هذا الكتاب التوثيقيّ نبذةً عن حياتكَ ومسارِكَ الأكاديميّ، وكلماتكَ التي كنْتَ تُلْقيها في مناسبات تكريمكَ بمراكش، وفاس، والرباط، وغيرها.

وأنا في آخر مرحلة طبع الكتاب، زرتُكَ لأطلب منكَ صورتَكَ الشخصيّة، استَغربْتَ الطّلبَ، وجُرأتي في الطّلب، فأنتَ لا تعرفُ سببَه، لكنّكَ أمْدَدْتَنِي بالصورة مبتسماً منشرحاً ومستغرباً في نفس الآن. فلما صدر الكتاب سنة 1999، زرتُكَ لتقديم نُسَخ الكتاب، وكانتِ المفاجأةُ التي انبسطتْ لها أساريرُكَ شكراً وتقديراً، فالصورة الشخصية تتصدّرُ غلافَ الكتاب، وعنوانُه: **«عباس الجراري: سيرة وأعمال»**.

وهبكَ اللهُ أستاذي خلالاً حميدةً وصفاتٍ خلقيّةً نبيلة، تواضعا وحلماً، بروراً وصدقاً، وفاءً ونُصحاً، وصفاءَ سريرة، تتسابقُ شرائحُ المجتمع على اختلاف طبقاتها لحضور مجالسكَ، والارتشافِ من معين دَفْقِكَ العلمي، وأنتَ في كلّ أحوالكَ سيّدُ المجلس في أبهى حلله، وأشرفِ رُتبِه، حفاوةً وترحيبا، تعليماً وتوجيها، فكاهةً وترويحا، فيُحتفى بكَ في مجلسكَ احتفاءَ العلماء وتُكرَّمُ في بيتِكَ تكريم الفضلاء.

عباس الجراري: رمزٌ من رموز الثقافة والفكر في وطننا، وفي الوطن العربي، قامةٌ شامخةٌ، وعلامةٌ مضيئةٌ في تاريخنا المغربي، وفي كليتنا العامرة، جمَعَ المجْدَ من أطرافِهِ نَسباً وثَقافةً وخُلُقاً وعِلماً وكَرماً وتَواضُعاً.

عباس الجراري: كنتَ فريدَ عصرِكَ في علاقاتِكَ العامة، معدنٌ رفيع، وحَسبٌ أصيل، وجوهرٌ نفيس، تواضعٌ ورفعةٌ، شهامةٌ ومودّة، حَرَصْتَ على التّعرف إلى أسرتي بمدينة سلا رفقةَ أرملتِكَ، كنتُما تشدّان الرحلةَ إلى بيتِنا تأكيداً لأواصر علاقة وديّة بيننا، مُهَنِّئَيْنِ للخبرِ المُفرح، ومُواسِيَيْنِ للخبرِ الأليم المحزن، كانت مواساتُكُما لأسرتي برحيل الكثير من أفرادها: ابنِ عمّي أبي بكر المريني، وعمّي الفقيه الحاج محمد المريني، أخوالي من آل زنيبر، ووالدي الحاج عمر المريني، ووالدتي الحاجة السعدية زنيبر، رحم الله الجميع. كانت هذه المواساةُ بلسماً لجراح الفراق، وتخفيفاً من معاناة الأسرة في الرحيل، فلا نزدادُ إلّا تقديراً لكَ واعتزازاً بكَ، وتشريفاً لمَقَامِكَ، في خطواتِكَ ما تُؤْجَرُ عليه عند الله سبحانه وتعالى، فللهِ دَرُّكَ حيّاً وراحلاً، فمثلُكَ لا يمكن أن يغيب عنّا، فأنْتَ حيٌّ بيننا، رحمكَ اللهُ وأحسنَ إليكَ، وجازاكَ على جميلِ صُنْعِكَ وحميدِ ذكرِكَ.

وكما جاء في الحديث النبويّ الشريف: «إذا ماتَ ابنُ آدم، انقطع عملُهُ إلّا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»، وأنْتَ استَوفَيتَ هذه الشّروط، فرحِمكَ الله تعالى، ورزقنا جميعا أسرةً وعلماءَ وأصدقاءَ الصّبرَ الجميل، والذّكرَ العطرَ كلّما ذكرناكَ وترحّمنا عليكَ.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وداعُ عالم أديب

سيدي محمد الروگي

الفقيه العلامة بكلية الآداب بالرباط
عضو المجلس العلمي الأعلى

هجم الحِمامُ على حمى عبّاس   وجثا المُصابُ على قلوب النّاسِ
لمّا علمت بموته رحيله   لهفي عليه – تقطعت أنفاسِي
وتخاذلت نغمات شعري بالأسى   واغرورقت عيناي فوق لباسِي
مات الأديب المرتضى في قوله   وفعاله والنّصح للجُلّاسِ
مات الذي خضع القريضُ لأمره   وانصاعتِ الكلمات للكُرّاسِ
مات الذي أحيى مآثرَ جمّة   في بيته بالأنسِ والإيناسِ
ومن المآثرِ ما بنى أسلافُهُ   نادي الجراري حاملُ النّبراسِ
ومجمَع العلماء في أرجائِهِ   ومثوَرُ الأدباء بالأقْبَاسِ
والشّعر ينبُع من معين زُلاله   والنّقدَ يفحص سرّهُ كالآسِي
ومن المآثرِ ما ترى من كتْبِهِ   وبحوثِهِ بالمنهج العبّاسِي
حامى عن القرآن في صفحاتها   واستنبط المكنون بالإحساسِ
آراؤُهُ فيها الحصافة تهتدي   من نورها الأبصار في الإغلاسِ
ومكارم الأخلاق كانت تلجَهُ   ولباسَهُ يمشي بها في النّاسِ
ومن المآثرِ وَهْيَ بحرٌ زاخر   تلك الخلائف للنّدى والباسِ
بالعلم والآداب والقيم التي   ينمو بها الإنسانُ بين غراسِ
ما مات من ترك الخلائف بَعدَهُ   إنّ الخلائف مَنبِتُ الأكياسِ
رحم الإلهُ فقيدنا عَبّاسَنا   وسقاهُ ماء الأمنِ في الأرماسِ

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث ومشروع مسؤوليات ومهمات

محمد الداهي
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس-الرباط

حضرات السادة والسيدات الكرام،
الأساتذة الأفاضل،
الطلبة الأعزاء،
أعضاء أسرة الفقيد الأجلاء.

على مدى السنوات التي واكبت فيها المشروع العلمي للراحل الأستاذ الدكتور عباس الجراري، وتعرّفت إلى شخصه الكريم، لمست نبيل خصاله، وجليل فضائله، رائق مزاجه، وسعة صدره، وكبير تواضعه، ورقيق خطابه، وفائق أناته وتثبته، وغيرها من صالح الأعمال وصادق الخلال بتوافق مع ذيوع صيته في ربوع العالم العربي بفضل رائع مؤلفاته، وجزيل إسهاماته العلمية وعمقها، وبدعوة دائمة إلى التعايش والتآزر، والتسامح والحوار، وبحرص شديد على تحري المبرة، والسعي إلى المسرة، وعلى حفظ متطلبات الأخوة ومقتضيات المروة.

نهض رحمه الله بالمسؤوليات والمهمات المنوطة به بصدق وأمانة متحمّلاً أعباءها، وقائماً بحرمتها بصفته إنساناً يشيع الألفة ويرأب الصدع، ورجل دولة يقدّر المسؤوليات الوطنية حقّ قدرها بما يوازي كفايته وجدارته، ويضاهي الثقة والظن به، وأستاذاً باحثاً يتفانى في أداء واجبه المهني والعلمي، آخذاً لكلّ أمر عدّته وأهبته، وعالماً ضليعا في علوم اللغة والآداب والدراسات الإسلامية.

أسهم –برفقة أساتذة أجلّاء منهم من قضى نحْبه ومنهم من ينتظر- في إرساء دعامات التخصص العلمي في هذه الكلية العامرة والبهية أسوة بالتقليد الراسخ في كبريات الجامعات العريقة. وفي هذا الصدد، بذل الراحل جهدا كبيراً في اكتشاف قارة الأدب المغربي المجهولة سيراً على نهج الراحل عبد الله گنون بالحرص على إبراز النبوغ المغربي في شتى المجالات، وخاصة في الأدب المغربي، وعلى ردّ العجز على الصدر، وعلى إعادة فرع إلى أصل.

وإن أخذت هذه المسؤولية الجسيمة من الراحل عباس الجراري عمره جلّه، يكفيه فخراً واعتزازاً ما جناه المغرب من ثمار جهده، وما خلفه من صحائف بيض، وما له فيها من المنجزات الصالحة الرائعة. لا يتسع المقام لاستعراضها كلها، بل نكتفي بذكر بعضها: تثبيت الهوية المغربية، والدفاع عن الثوابت والقيم الوطنية، وتكوين جيل من الباحثين المتخصصين في الأدب المغربي، وإغناء المكتبة العربية بالمؤلفات والمصادر الرصينة والمتون المغربية المحققة، وتوسيع نطاق الأدب ليشمل الثقافة الشعبية بمختلف أنواعها وقضاياها وأنماطها، وإدراج فن الملحون ضمن قائمة التراث الثقافي اللامادي، برعاية منظمة اليونسكو.

ونحن نستحضر روحه الطيبة في هذا الحفل التأبيني المهيب، لا بدّ أن نثني على جهوده في تأصيل البحث العلمي وتطويره بجامعة محمد الخامس، وبأكاديمية المملكة المغربية، وبالجامعات والمحافل والمحاضن العلمية العربية، وننوّه بواسع ثقافته، وبفصاحة لسانه، ونصاعة بيانه، ونقدّر سعيه إلى نشر المحبة والمسرة بين أهل العلم.

سبق لي أن رتبت تكريما يليق بطلعته البهية والمهيبة في مدينة تمارة عام 2017، واستقبلني في هذا الشأن مرتين في بيته العامر، لكن الوضع الذي آل إليه اتحاد كتاب المغرب آنئذ حال دون ذلك. ظلت الفكرة تلازمني وتراودني إلى أن أتيحت لي فرصة اقتراحها على السيد وزير الشباب والثقافة والتواصل محمد مهدي بنسعيد لتكريمه ضمن فعاليات

المعرض الدولي للكتاب والنشر، فرحب السيد الوزير أيما ترحيب بالفكرة تقديراً للمسار العلمي للراحل، وتنويها بذكره، وتأهيلاً لمنزلته الرفيعة... وعندما تواصلت مع زوجته، طلبت منّي مهلة إلى أن يتعافى ويستعيد حيويته ونشاطه المعتادين، لكن الله اصطفاه إلى جانبه في عداد من أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقا﴾. ما برحت بادرة تكريمه قائمة في شهر ماي 2024 إن شاء الله، لأنّ القلوب تتناجى بمحبّته، والألسن تتناصر بالثناء عليه مشيدة بما ناله عن جدارة واستحقاق من رتب عالية، ورفعة سامية، وعلوّ المُتَبَوَّء والمغنى، وكرم المنتدى والمثوى.

فلتتقبّلوا منّي هذه الشهادة على قصرها وتقصيرها، مع صادق دعائي إلى العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جناته، ويفيض عليه آيات التمجيد والتحميد.

وخير ما أختم به قول أبي العتاهية:

اِصبـــر لكُـــلِّ مُصِـيـــبةٍ وتَـجلَّـــدِ
وَاعلـمْ بـأنَّ المَـــرءَ غـيرُ مُخلَّـدِ
أوَ مـا تـرى أنَّ المَـصائِـــبَ جَمَّـــةٌ
وتَـرى المَنِـــيَّةَ لِلعِـبادِ بِمَرْصَـدِ
مَـن لَمْ يُصَـب مِمَّـن تَـرى بِمُصِيبـةٍ
هـذَا سَبيـــلٌ لسـتَ فـــيهِ بِأوْحَـدِ
وَإِذا ذكَـــرتَ مُـحَمَّـــداً ومَـصَابَـــهُ
فَاذْكُـر مُصابَـكَ بِالنّبِـيِّ مُحَمَّـدِ

كلمة في أمسية تأبين الراحل الأستاذ الدكتور عباس الجراري

لي نينغ Li Ning
مديرة معهد كونفسيوش الصينية

السيد رئيس جامعة محمد الخامس بالرباط،

فضيلة الأستاذة حميدة الجراري،

أصحاب السعادة والفضيلة،

السادة العمداء والمدراء،

الأساتذة الأفاضل والطلبة الأعزاء،

حضرات السيدات والسادة المحترمين،

الحضور الكرام.

يشرّفني غاية الشرف أن أشارككم في أمسية تأبين الراحل الدكتور عباس الجراري، وتقديم هذه الشهادة المتواضعة.

لما تلقيت خبر وفاة الدكتور الجراري، شعرت بحزن عميق يزداد كلما عادت إلى ذاكرتي وظهرت أمامي اللحظات والمشاهد التي عشتها خلال عدة لقاءات مع الدكتور الجراري في بيته العامر.

ما زلت أتذكّر بوضوح شديد أول زيارة قمت بها مع زميلتي المديرة المغربية لمعهد كونفوشيوس الأستاذة كريمة اليتربي، التي اصطحبتني إلى بيت الدكتور عباس الجراري حيث استقبلنا مع زوجته الأستاذة حميدة استقبال الآباء والأمهات لبناتهم. كان أدبه وتواضعه ولطفه وابتسامته تخفف من توتّري واضطرابي وأنا أقف أمام رجل بحجم هذا العلامة، الذي كنت قد سمعت عنه أشياء جميلة من طرف الأستاذة كريمة اليتربي، وكنت قد قرأت إنجازاته الفذة ومساهماته الجبارة من خلال مؤلفاته الغزيرة.

ما زلت أتذكر الأسئلة التي وجّهها الدكتور الجراري لي في لقائنا الأول: هل أعجبك المغرب ؟ هل كلّ شيء فيه مزيان ؟ كم من الوقت بقيت في المغرب ؟ أين درست اللغة العربية ؟ لما علم الدكتور الجراري أني لا أفهم الدارجة المغربية، بدأ يتحدث فورا معي باللغة العربية الفصحى. كان يتوقف من حين لآخر عن الحديث ليشرح لي الكلمات الصعبة التي يظنني لم أفهمها بشكل جيد، مع أنه كان يتحدث معي باللغة العربية الفصحى تماما، وكان يصغي إليّ وينظر إليّ مبتسماً الأمر الذي أشعرني باهتمامه بما كنت أحكي له، وبالدفء والمودة والمحبة التي أحسستُ بها كأنّني متواجدة بين أفراد أسرتي.

وبالفعل، شعرت بارتياح كبير ومتزايد عند الحديث مع الدكتور الجراري الذي كان ليس فقط مصدراً من المتعة والسعادة فحسب، بل سبباً آخر لأزوره مرات ومرات أخرى للحديث إليه... أصبح حديثي مع الدكتور الجراري يتناول شتى المواضيع التي تشمل دراسة اللغة الصينية في معهد كونفوشيوس والثقافة الصينية والقيم المشتركة بين الثقافة الصينية والثقافة المغربية والعربية. كان الدكتور الجراري يحرص حرصاً شديدا على التعرف على قيمة الأسرة عند الصينيين، أتذكر أنّني أخبرته ذات مرة أنّ أهمّ مقياس نبل الرجل والمرأة في الثقافة الصينية هو البرّ بالوالدين، فأخبرني بأنّ الثقافة الإسلامية لها قاسم مشترك مع الثقافة الصينية بهذا الصدد، إذ تشجع الثقافة الإسلامية الناس على حسن معاملة الوالدين ويقال بأنّ طاعة الوالدين بابٌ من أبواب الجنة ؛ وأقصى درجات الإحسان إليهما.

لما علم الدكتور الجراري أني لم أعد إلى الصين لزيارة أفراد أسرتي الصغيرة بما فيها والدتي ووالدي وابني وزوجي وأقربائي بسبب كورونا وظروف العمل منذ أكثر من أربعة سنوات، فاجأني بقوله لي: إنّ المغرب بلدك الثاني وبيتنا هو بيتك.

أصبحت أتردد على زيارة بيت الدكتور الجراري بصحبة الأستاذة كريمة اليتربي في كثير من المناسبات العائلية والدينية، بدعوة من الدكتور الجراري وزوجته الأستاذة حميدة، أتذكّر من هذه الزيارات مناسبة عيد المولد النبوي الشريف أنّني شاركت مع الأستاذة كريمة اليتربي في اللقاء الثقافي والموسيقي في بيت الدكتور الجراري حيث استمتعت لأول مرة ميدانيا بجمال وغناء قصيدة الملحون ورنين العود المغربي الأصيل، ولاحظت أيضا كيف كان يحسن الدكتور الجراري معاملة رجال الفن الكبار بكلّ تواضع وأدب ولطف، ويشجعهم على الإبداع والابتكار والحفاظ على الأصالة المغربية في نفس الوقت. وقدمت لنا زوجته الأستاذة حميدة مجموعة من الحلويات المغربية مصنوعة في البيت، إضافة إلى رغيف محشو باللوز ومقلي في الزيت ثم يغطس في العسل ويقدم في هذه المناسبة المتميزة.

أتذكّر أيضا عندما زرت مع الأستاذة كريمة اليتربي بيت الدكتور الجراري في يوم من أيام الجمعة، حيث دعانا إلى تناول وجبة الكسكس المغربي. كان الدكتور الجراري يجلس على المائدة يحكي لي عادات وتقاليد أكل المغاربة الكسكس في يوم الجمعة، ويريني ويعلمني كيفية صنع لقمة من الكسكس باليدين. كنت أحاول أن أصنع لقمة من الكسكس مثلما يفعل الدكتور الجراري بيدي اليمنى وأنا أشعر كأنني رجعت إلى طفولتي وتذكرت كيف كان أبي يعلمني أخذ لقمة من الطعام بالعيدين في الصين. كانت لقمة الكسكس التي صنعتها باليدين أشهى طعام أكلته ولن أنساها مدى الحياة.

إن الدكتور الجراري شخصية لها حضور مميز وقوي في المجالات المتنوعة فكريا واجتماعيا وثقافيا وإنسانيا، كلّ من تحدث معه ولو لفترة قصيرة يدرك ما تنطوي عليه هذه الشخصية من ثراء وتنوع وإبداع. لقد عرفت سر عمق حياة الدكتور عندما دعاني مع الأستاذة كريمة اليتربي لزيارة النادي الجراري حيث اكتشفت مكتبته الشخصية المليئة بنفائس الكتب والمخطوطات النادرة التي قام الدكتور الجراري وعائلته بتجميعها من شتى الأرجاء، وعرفت سرّ سعة وغناء تجارب وخبرات حياة الدكتور الجراري عندما رأيت في مكتبته صوره مع ملوك المغرب وقادة دول العالم ومشاهير العالم. لا أبالغ إذا قلت إنّ مكتبة الدكتور الجراري تعتبر كنزا لا يقدر بثمن.

أتذكّر أنّني وعدت الدكتور الجراري بإثراء مكتبته ببعض الكتب الصينية المترجمة إلى اللغة العربية وأعماله التي سوف تتم ترجمتها إلى اللغة الصينية.

إن ما يحزنني جداً، ويؤسفني غاية الأسف أن الوقت لم يسعفنا في إنجاز تنظيم حفل تقديم كتاب «بين التنمية والثقافة» الذي ألّفه الدكتور الجراري، والذي قمنا بترجمته إلى اللغة الصينية والذي كان من المقرّر أن يحتضنه معهد كونفوشيوس بجامعة محمد الخامس بالرباط، يوم 8 يناير 2024، وتمّ تأجيله بسبب إصابة الدكتور الجراري بوعكة صحية مفاجأة، وسنقوم بتنظيمه عن قريب بمعهد كونفوشيوس بعد تنسيق مع حرمه الأستاذة حميدة.

إنّ رحيل الدكتور عباس الجراري يمثل خسارة فادحة لحقت بنا جميعاً، وخسارة لا تعوض في الأوساط الأكاديمية والأدبية والفكرية في المغرب والعالم العربي بأسره. إنّ قيمة حياة الإنسان لا تقاس بعمر السنوات، بل بالعمق، والحكم التي تركها للآخرين. لن يخلد جسم الإنسان، لكن تخلد روحه الطيبة. لم نلتق اليوم هنا مجردا من أجل ذكر مناقب ومآثر الدكتور الجراري فقط، بل من أجل إحياء الروح الطيبة التي يحملها الدكتور الجراري، أو بكلمة أخرى التقينا هنا من أجل أن نتعلّم منه ونجعله مثالاً نحتذي به في حياتنا الشخصية والمهنية.

ختاماً أودّ أن أنهي شهادتي المتواضعة بقول صيني حول الحياة والموت: «إنّ الموت أمر مقدّر على كلّ إنسان، إنّ أجمل ذكرى الأحياء للأموات هي حبّ الحياة وتحقيق قيمة الحياة». وسيعيش الدكتور الجراري في قلوبنا إلى الأبد !

رحمه الله وأسكنه فسيح الجنة.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

شكرا جزيلاً للجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه

شهادة في حقّ المرحوم الدكتور عباس الجراري بعنوان : «شروط العلم»

عمر أفـا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس -الرباط
عضو النادي الجراري

يعتبر الدكتور عباس الجراري من علماء المغرب الأجلاء بما حقّقه من عطاءٍ عِلميٍّ وما أثرى به المكتبة العَربية من تراث، وما تخرّج على يده من خيرة الباحثين والأطر، ولأصالته، فقد سار على نهج السّلف في تحقيق شروط العلم، وهذه الشروط نقلناها على طريقة الإسناد عن العلامة محمد بن عبد الهادي المنوني، ومنطوقها:

العلم للعلم/العلم للوضوح/العلم للتواضع/العلم للكرم.

الشرط الأول: فالعلم للعلم، فلا ينبغي أن يُطلبَ العلمُ هدفاً لجمع المال أو هدفاً للتفاخر بالشّهادات والألقاب، فلا يكون العالِم عالِماً حتى يُخْلِصَ لمهمّته.

الشرط الثاني: العلم للوضوح، فلا يكون العِلم للتّعتيم لغرض مثل الذي ذهب إليه الكتّاب المشارقة في التأليف المُسهب في إنتاجهم في بداية القرن العشرين ممّا جَعَل المغاربة يؤلفون ما عرف بكتب الحواشي مثل حاشية المكودي، وحاشية الدرديري لإصلاح وإتمام ما وقع في تآليف المشارقة من نقصان. وأمثلة أخرى من هذا التعتيم، فقد حضرنا ونحن طلاباً محاضرة في الرباط في أفق الثمانينات، ثم استُدعى الأستاذ نفسُه إلى الدار البيضاء لإلقاء نفس الموضوع، وسافرنا بقصد الحضور والتشجيع، وفعلاً حضرنا هناك، وبعد نهاية المحاضرة، قام طالب منّا وسأل الأستاذ: لماذا كانت محاضرتكم في الرباط واضحة فهمناها بسهولة، واليوم كانت أكثر غموضاً ؟ فأجابه الأستاذ: إنّنا نلتزم هذه الطريقة وإلّا فمن يقرأ لك من العموم. وهذا هدف التعتيم عند أغلب الكتّاب حيث يتعمّدون التعتيم.

الشرط الثالث: فالعلم للتواضع، فتواضع العلماء له أثر كبير في تكوين علماء آخرين من أمثالهم، وقد عايشنا بالملموس أمثلة القدوة التي أثّرت في الكثير ممن لازم النادي الجراري، ونهل من حياضه سلوك التواضع فتجاوزوه إلى سلوك التضحية. ونضرب لهذا مثلاً بأحد أعضاء النادي الجراري المرحوم علال الغازي4.

تأملوا معي هذا السلوك، فقد لقيني يوماً بباب الكلية، وكنت مهموما وسألني: ما بالك ؟ فأخبرته أنّني مُسْتَدعًى من جمعية ثقافية لأحاضر في موضوع العلامة العبدرى المعروف، ولم أتهيّأ لذلك. وعلى الفور، صرَّح لي بأنه يملك ملفاً يضم حياة أبي عبد الله العبدرى، وأنه مُستعد لإلقاء هذه المحاضرة والإسهام في مهرجان هذه الجمعية الموجودة على مبعدة 80 كلم جنوب مدينة الصويرة. وفعلاً سافر في اليوم الثاني بعد الاتصالات الهاتفية، ولقي استقبالا هناك، وبعد الختام أكرموه، وهيّأوا له سيّارة خاصة لإرجاعِه إلى الرباط (واعتبرها تكليفاً)، فأقسم أمامهم أنه لا يرجع إلى الرباط سوى في الحافلة التي جاء فيها، وكذلك كان الأمر، فرحم الله علال الغازي ورحم أستاذنا الدكتور عباس الجراري.

4 توفي المرحوم الدكتور علال الغازي في 27 دجنبر 2006 إثر حادثة سير في عُمان، كان أستاذاً بجامعة نزوى، ودفن في الرباط. عقد النادي الجراري حفل تأبين صدر على إثره كتاباً بعنوان «وفاء وعرفان» سنة 2008، ضمّ مناقب هذا الفقيد

الشرط الرابع: أن العلم للكرم، والمعروف أن بيت العالِم بيت للكرم، ويوصف العالِم عادة بأنه كريم الفائدة وكريم المائدة. وهكذا، ففي إطار النادي الجراري تشبع العديد من أعضائه بهذا السلوك فأعطى نماذج بارزة جسّدت بالعمل الملموس هذه الأخلاق.

والأمثلة كثيرة لا يسعنا عرضها، وإنما نذكر على رأس الشجرة الباسقة من السلوك الأستاذة حميدة زوجة الأستاذ عباس الجراري وأم أولادهما، وبخُصوصها فضلت أن أنقل إليكم شهادة من أحد الأساتذة تعرّض لمشكلة، فطلب حَلَّها من الأستاذ الجراري عن طريق زوجته، والحال أنه في السفر خارج البلاد، وبواسطة الهاتف عالجت الزوجة مشكلة الأستاذ مع الدكتور عباس الجراري وهو خارج البلاد. وكذلك كان سلوكها طَوال حياته في علاقته مع أصحابه ومعارفهم.

فكان بذلك الدكتور عباس الجراري من علماء هذه الأمّة الأجلّاء ممن جسّد شروط العلم في حياته وكان قدوة لكثير من الأبرار.

فرحمه الله وأغدق عليه شآبيب الرحمة والغفران، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل:
«أنزلوا النّاس منازلهم»

كريمة اليتربي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
جامعة محمد الخامس -الرباط

السيد رئيس جامعة محمد الخامس،

السيدة عميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

أصحاب السعادة والفضيلة،

حضرات السيدات الفضليات،

حضرات السادة المحترمين.

بداية، أريد أن أتقدم بالشكر والتنويه لعميدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط الدكتورة ليلى منير على استضافتها لهذا التأبين الذي يعتبر لبنة من لبنات ثقافة الاعتراف، التي نسعى لتأسيسها في محافلنا الأكاديمية.

لقد عهدنا اليوم، ومع الأسف الشديد، في ثقافتنا ألّا نعترف للآخرين حتى يرحلوا عنا. واليوم، المناسبة شرط، تحمل بين طياتها دلالات عدة وهي مناسبة تأبين «عميد الأدب المغربي» فضيلة الدكتور عباس الجراري رحمة الله عليه.

إن أصعب الخطب -في ظني- هي خطب التأبين والرثاء، رغم أن أروع خطب التاريخ، هي الخطب التي انفجرت في لحظات حزينة.

إن ما شاع عن سيرة فضيلة الدكتور عباس الجراري رحمه الله عليه، باعتباره المثقف الموسوعي، ليست كافية لرسم ملامح شخصيته وهي لا تكفي لتبرير مكانته في قلوب أصدقاءه وزملاءه وطلابه، وأغلب الظن أنه استمد مكانته الفريدة، من جوانب إنسانية بحتة، تنبعث من المنبت والقيم والخصال والمواقف.

اليوم يستوجب علينا أن نذكر هذا الرجل الرباطي النشأة، والمغربي الروح، رجل كرس حياته للعمل الدبلوماسي والجامعي والأكاديمي والعلمي والثقافي.

بالفعل، حينما يكون العطاء فاعلا، والجهد مميزا، والثمرة ملموسة، وعندما يكون للتأبين معنى، وللثّناء فائدة، فيبقى لنا دائماً العجز في اختيار الكلمات.

لا أدري بأي بيان، ولا بأي لسان أعبر عما يخالج الجنان من شعور وأنا واقفة هنا بمحراب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، هذه الكلية العظيمة باسمها، وبدورها لأحظى بشرف المشاركة بكلمة في تأبين قامة من القامات المهمة في بلدنا.

لذلك أجد نفسي عاجزة تمام العجز، رغم جزالة القاموس اللغوي، عن التعبير أمام هذا الجمع المبارك الميمون، نذكر جميعا، وبكيفية خاصة رجلا من عيار ثقيل، لم تغيره المناصب، ولم تتعبه المسؤوليات، رجل خلد اسمه في المجال الدبلوماسي والعلمي والأكاديمي والثقافي بكلّ تفان، كل من يعرفه يكنّ له الاحترام والتقدير، مثمنا أيضا حفيظته المعرفية، وكذا استقامته النادرة، وتواضعه المعهود.

تعرفت عليه أول مرة برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق في الدار البيضاء، حيث نظمت مجموعة البحث في المخطوط الأندلسي بهذه الكلية ندوة علمية دولية سنة 2009، والتي كان موضوعها: «المخطوط المغربي الأندلسي الصوفي: دراسة وتحقيق».

ولقد جمع هذا المؤتمر الدولي الهام، ثلّة من ألمع الباحثين في الموضوع على المستوى الدولي من دول مجاورة كإسبانيا والبرتغال، وتونس والجزائر، وشكّل حلقة مهمة في اكتشاف التراث المشترك بين هذه الدول، كما مثل بفضل الأعمال العلمية المقدمة مرجعية في دراسة التراث الأندلسي حيث شارك فيه كبار المؤرخين والمحققين، من أمثال الدكتور عباس الجراري بمحاضرة في موضوع: «الإنشادات الدينية في المغرب بين التأثر بالتصوف السنّي والتصوف الفلسفي».

فعلا كان لقاء متميزا، اكتشفت من خلاله شخصية الدكتور الجراري الذي كان مرفوقا بالأستاذة حميدة. وكانت مشيته خفيفة، وكان مرتديا بدلة أنيقة للغاية وضع عليها سلهاما صوفيا يزيده رونقا وبهاء.

كان عفيفاً في تصرفاته قريباً من الزهد، هادئا متواضعاً أمام رأي الآخرين، ودوداً في طريقته في التحدث مع الناس كافة بما فيهم الطلبة، كانت لديه موهبة في الاستماع باهتمام وصبر للإجابة على الأسئلة التي طرحها الطلاب، الذين كان يناديهم بناتي وأبنائي، والّذين يسارعون من أجل التقاط صور معه للذكرى.

خلال حديثي معه، أخبرته أنني درست المرحلة الابتدائية في البعثة الفرنسية، وأتذكر جيدا أنني كنت أقوم قبل كل زيارة لبيته بمراجعة كتب النحو والإعراب، وكنت أحفظ بعض الأبيات الشعرية تحسبا لأيّ حديث أو موقف سأضطر للحديث معه باللغة العربية الفصحى

كنت كالتلميذة التي ستجري اختبارا شفويا في منزل عميد الأدب المغربي. كنتُ أخبره وبكلّ فخر واعتزاز بمعرفتي الجديدة **لأنواع المفعول أو المفاعيل في اللغة خمسة، هي:** المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول المطلق، والمفعول لأجله، المفعول معه ؛ وأيضا بمعرفتي للمضاف والمضاف إليه والنعت.

الغريب في الأمر، هو أنه شعر من الوهلة الأولى بالمجهود الذي كنتُ أقوم به باستخدامي كلّ الكلمات والمفردات باللغة العربية الفصحى التي حفظتها وكان يقول لي، بحضور الأستاذة حميدة: «**كتعارفي هادشي كلو وهانتي ولّيتي كتعرفي مزيان اللغة العربية».**

ولكي أشعره أنني مدينة بتشجيعه لي، كنت أردّد عليه الشطر الأول من البيت الشعري

«وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة...»

لقد كان أستاذا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. خلد اسمه بعزّ وفخار. ونقش لقبه على هرم الثقافة داخل المغرب وخارجه. عرفناه من خلال (الثقافة في معركة التغيير)، وأحببناه من خلال (معجم مصطلحات الملحون الفنية)، وصرنا نطلب العلم عنه حين ظهر (الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه). وحقيقة صَدق النقاد عندما أطلقوا عليه لقب: «عميد الأدب المغربي».

كان رحمه الله متواضعا جدا، محبّا للعلم ولطلابه لم يبخل يوما بعلمه على أحد، سبق عصره بفكره، أنعم الله عليه بعقل متفتح وتفكير حرّ ومستنير، لديه بعد نظر ومدرك للواقع الدي نعيشه، عالماً بسياسة الدول وما تسعي اليه، وكنتُ ألاحظ ذلك خلال الزيارات التي كنت أقوم بها إلى بيته حيث كان شغوفاً لمعرفة كل شيء يتعلق بالصين سواء كتب، عادات أو تقاليد...

إن الحديث عن الدكتور عباس الجراري لا يمكن أن يختزل في ساعة أو ساعتين من الزمن. إنه يتطلب أن تفرد له ندوة بل ندوات لتحيط بمساره الإنساني، والمهني والدبلوماسي، والثقافي، والعلمي.

لقد استقطع الدكتور عباس الجراري زهرة عمره وجهده في هذه المسارات الغنية، وكرّس لها حياته. وإننا نحتاج اليوم إلى أن نستلهم هذه الروح الفياضة الغنية بالعطاء لكي تتمثلها الأجيال الحاضرة.

رجل أبرع كل البراعة في امتلاك احترام ومحبّة الناس بفضل صفاء معدنه وإخلاصه لوطنه، وصلابة مواقفه، زانه العلم، ورفعه التواضع، إذا تكلم أصاب، وإذا سكت أهاب.

هو بالفعل، كان دائم الابتسامة، متهلّل الوجه أمام كل وارد عليه، لا يبخل بأي شيء، فهو الكريم صاحب الخير والعطايا، يحب الخير، وفعل الخير دون الترويج له فقط لوجه الله تعالى

كلما قصده أناس يكاد يعرفهم، غدرهم الزمن، وأنهكتهم الظروف، وخانتهم الصحة، وربما تخلى عنهم أقاربهم وأصدقاءهم. فما وجدوا من جدوى إلا أن طرقوا بابه ليجدوه (وهنا لا ننسى ذكر زوجته أيضا الأستاذة حميدة الصائغ أطال الله في عمرها وأسدل عليها رداء الصحة والعافية)، وبكلّ عفوية، يأخذان بزمام الأمور، ويسارعان، بشتى الوسائل، لتقديم المساعدات اللازمة لهؤلاء الأشخاص وليخففا كلاهما من آلام الناس، ومن وطأة الزمن الذي لا يرحم أحدا.

فأيّ شكر وأيّ امتنان يمكننا أن نوجهه اليوم للدكتور عباس الجراري، الحامل لكرم قلّ نظيره على مواقفه الإنسانية النبيلة، ومساندته الدائمة، لوجه الله تعالى، كلّ من قصد بابه. لقد صدق الشاعر في قوله:

وأفضـلُ النّـاس مـا بيـن الـوَرى رجـلٌ * تُقضـى علَى يـدهِ للنّـاس حَاجَـات
تـــراهُ إذا مــا جـئْتَــه مُـتَـهَــلِّــلا * كأنَّـك تُعطــيه الـذي أنـتَ سـائلُهْ

قرأتُ ذات مرة أنه لا تدفن في التراب غير أثمن الأشياء (الكنوز ورفات الأحبة)، أما الإرث العظيم للأسلاف فيبقي، يبعث على الفخر ويحصن الأجيال الجديدة عن الوقوع في مواطن الزلل.

لذلك أدعو الجميع أن نتمسك بإرثه، ليس إرث الدراهم، بل الباقيات الصالحات، خصاله وقيمه ومسلكه. لقد كان رجلاً من طينة الكبار.

رحم الله أستاذنا الدكتور عباس الجراري وأسكنه فسيح جناته.

الأمازيغية في الجامعة والتلفزيون
دور الدكتور عباس الجراري نموذجا

عمر أمرير
باحث وإعلامي متخصص في الأدب الأمازيغي

أولاً- المنطلق:

لكي ندرك مدى أهمية سرد أية شهادة عن الأمازيغية في المشروع الفكري لأي مفكر مغربي مثل الدكتور عباس الجراري الرباطي من غير الناطقين بالأمازيغية. يجب أولا وقبل كل شيء أن نستحضر تاريخ خطاب أجدير 17 أكتوبر 2001م الذي يعد زمنا فاصلا بين مرحلتين متناقضتين. المرحلة الأولى قبل ذلك التاريخ وفيها كانت الأمازيغية مهمشة وهي التي عشنا فيها ما نسرده اليوم من شهادات عن عناية الدكتور عباس بها. والمرحلة الثانية تأتي بعد تاريخ 17 أكتوبر 2001م الذي جعل فيه الملك النهوض بها مسؤولية جميع المغاربة.

هكذا نشير إلى أن شهادتنا اليوم سنسرد فيها تفاصيل نستحضر بها دور أستاذنا في فتح بابين كبيرين ومهّمين كانا مغلقين في وجه الأمازيغية خلال مرحلة تهميشها، مع الإشارة بين الفينة والأخرى إلى ما أكتشفه بالصدفة من تجليات المبادرات الحميدة للأستاذة حميدة الصائغ زوجة أستاذنا الدكتور عباس، وفضل دورها الكبير في كواليس تفرغه للنهوض في مشروعه الفكري المغربي الرائد بمشاريع هائلة وغير مسبوقة.

هنا سأسرد نموذجين: أولهما فتح باب للبحث الأمازيغي في الجامعة المغربية، منذ سنة 1971م، أي قبل أزيد من ثلاثين سنة من تاريخ خطاب أجدير2001م الذي ستنشأ بعده شعب ومسالك للدراسات الأمازيغية في الجامعات المغربية. وثاني البابين كان باب الإعلام التلفزيوني الذي وقف وراء فتحه أمام الأمازيغية منذ سنة 1977م. أي قبل حوالي ثلاثين سنة وتزيد من تأسيس قناة تمازيغت .

ثانياً- سرد الشهادتين:

بدأت إرهاصات عنايتي بمشروع دراسة الأدب الأمازيغي منذ نعومة أظافري، بدءا بما تربيت عليه من مرددات الطفولة، وما نشأت به مراهقا من أشعار وقصص وأمثال منها ما صار راسخا في ذاكرتي إلى أن بلغ عمري زهاء عشرين سنة، حيث بدأت أدون ما يروقني من نصوص... وهكذا إلى أن حصلت على الباكالوريا في صيف سنة 1969 بمدينة تارودانت في سوس جنوبا. ثم التحقت في الخريف بكلية الأدب في فاس شمالا.

أسعدني التحاقي بكلية سأتفرغ فيها لدراسة تاريخ الأدب وفنيات أجناسه ومناهج تحليل إبداعاته. حتى صرت مقتنعا بأن أجعل الشعر الأمازيغي موضوع بحثي لنيل الإجازة في الأدب.

استقطبت كلية فاس صفوة من فطاحل أساتذة الأدب مغاربة ومشارقة. ومن الذين تتلمذت عليهم من السوريين الأستاذين أمجد الطرابلسي وصالح الأشتر. ومن المصريين الأستاذ نجيب البهبيتي.

هناك أساتذة مغاربة نفاخر بهم المشارقة، ومن ضمنهم الدكتور عباس الجراري، الذي لم أكن وحدي الذي أعبر الآن عن اعتزازي بكفاءته العلمية وبصرامته المهنية وبأخلاقه الفاضلة، بل صادفت بعد حوالي خمسين سنة في أيامنا هذه من سنة 2024 صادفت شهادة لطيفة في ثنايا رواية «يوميات موحماد» وثّق فيها مؤلفها الدكتور محمد المدلاوي ببراعة فنية كيف يتمتع الدكتور عباس بكفاءة علمية متألقة وبصرامة مهنية، تتجلى في التنقيط، فإذا أجاد الطالب نال أجود النقط، وإلا نال أضعفها.

بالإضافة إليه، تتلمذت في الأدب على الأساتذة: محمد بنشريفة، وإبراهيم السولامي، ومحمد برادة، ومحمد السرغيني، وأحمد اليبوري، ومحمد الكتاني، وعبد السلام الهراس، ومليكة العاصمي. ومن أساتذة اللغة وفقه اللغة واللسانيات، أتذكر محمد بن تاويت، وعبد

الوهاب التازي، وأحمد العلوي الأطلسي ؛ وفي التاريخ إبراهيم حركات، ولحسن أغزاداي، وسعود التازي ؛ وفي الفلسفة جمال العلوي، ومحمد سبيلا، وكذلك أستاذ اللغة العبرية. ومن أساتذة اللغة الإنجليزية: الأستاذ محمد اليملحي، ومحمد بنتهيلة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

استغربت في البداية أن أجد نفسي مطالبا باختيار دراسة إحدى اللغتين الشرقيتين الفارسية أو العبرية، فاخترت اللغة العبرية.

لم أجد أي مبرر لانعدام تدريس الأمازيغية، ولا لغياب أي أستاذ ناطق بالأمازيغية ومهيأ لتأطير بحوث الأدب الأمازيغي. فزادني هذا الغياب إصرارا بأن أكون متخصصا يملأ هذا الفراغ.

في غمرة هذا القنوط، سأحرص على أن لا أتأخر عن محاضرات ودروس. الأستاذ الدكتور عباس الجراري الرباطي الذي وإن كان غير ناطق بالأمازيغية، فإن خصاله العلمية جعلتني مقتنعا بأن أسجل معه بحثي سواء في الأدب الأمازيغي أو الأدب العربي المغربي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في سنة 1971 وجدت عشرات الكتب معروضة للبيع بعنوان «من وحي التراث»، وكانت المفاجأة كبيرة لما قرأت اسم المؤلف الدكتور عباس الجراري ! سارعت لاقتناء نسختي وانكببت على قراءتها، ولم أضعها من يدي حتى نقلت منها الكثير من المعلومات التي وجدت نفسي قد اكتشفت من خلالها مجالات ثقافية لم تكن رائجة في أدبيات المثقفين المغاربة مثل «التراث الشعبي» و «الشعر الشعبي» و «علم الفولكلور»، علاوة على أنها زادتني شغفا بدراسة الأدب الأمازيغي الذي كرّر الدكتور عباس التنويه به في كتابه ذاك .

غير أن من بين أهمّ نتائج هذا المؤلف توجيهي لاكتشاف أهمية قراءة كل كتاب عن أدب الشعوب الأخرى، وكذلك الولع بالأنتروبولوجيا، ومناهج التحليل. وقبل هذا وبعده صارت أسئلتي معتادة عند الأستاذ في قضايا التراث معتادة بعد نهاية كل محاضرة أو درس في الأدب المغربي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كعادتي بعد خروج الدكتور من قاعة حصتنا، التحقت بالأستاذ عباس وبدون مقدمات، هل يمكن أن يقبل الإشراف على بحث يدخل في مجال تخصصه الأدب الشعبي، موضوعه الوصف في الشعـر الأمـازيغـي السّـوسـي ؟ سألني بدوره: هل أتقن الأمازيغية ؟ قلت له: ارتضعتها ! حينئذ وعدني بالموافقة، وكلّفني بأن أكتب تقرير البحث. ثم أملى عليّ رقم هاتفه لأتصل به حين يكون التقرير جاهزا، وسيخبرني بزمان ومكان اللقاء.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في أواخر سنة 1971م، سافرت من فاس إلى الرباط رفقة صديقي الطالب أحمد بوزيد الكنساني، الذي وعده بدوره الأستاذ عباس بقبوله المبدئي الإشراف على بحثه.

في مدينة الرباط، ولكي نحضر معا موعدنا في الوقت المحدد، انعطفنا في حيّ أگدال إلى زنقة «جبل تازكا»، وبوصولنا أمام باب منزل الأستاذ الدكتور عباس، وبعد رنين الجرس فتحت لنا الباب سيدة أنيقة، لبقة أومأت مرحبة بالدخول وتقدمتنا إلى قاعة فوجئنا بأن وجدنا الأستاذ عبد السلام الهراس جالسا فيها، وانصرفت السيدة قائلة: إن الأستاذ عباس سيلتحق بنا بعد لحظات.

ونحن نسلم على الأستاذ الهراس من أساتذتنا في كلية فاس، ستعود السيدة التي فتحت لنا حاملة صينية الأتاي. ثم عادت وأحضرت تشكيلة من الحلويات المغربية، فشكرها الأستاذ عبد السلام الهراس معتذرا لها بقوله: «أستاذة حميدة، ما كان عليك أن تزعجي نفسك بكل هذا».

فلما ذهبت السيدة أخبرنا قائلا: «الأستاذة زوجة الدكتور عباس من فضليات السيدات. ومن رائدات النهضة النسائية الثقافية في بداية استقلال المغرب. وأنها تعتبر في صدارة الكوكبة الأولى للمغربيات المتخرجات في القانون من الجامعة المصرية، ومن بين رائدات مهنة المحاماة في المغرب». التحق بنا الأستاذ الدكتور عباس بأريحيته المعهودة، وبجلوسه مرحبا أخبر زميله الأستاذ الهراس برغبتنا في تسجيل بحثينا لنيل الإجازة بدراسة الشعر الأمازيغي، وهو يمد يده متسلما منّي تقرير بحثي وتصفحه، ثم نطق بعنوانه: «الغزل في الشعر الأمازيغي -شعر أحمد بيزماون نموذجا» ليضعه جانبا ويتسلم تقرير رفيقي أحمد بوزيد، ولم يقتصر على مجرد تصفحه، بل اندمج في قراءته بعناية واضحة. وخلال ذلك نظر إلى رفيقي أحمد قائلا: «موضوعك هذا أراه واضحا وشاملا وجديدا، لذلك أقبل الإشراف عليه».

رغم هذا لم يتناول تقريري ليقرأه بمثل العناية التي قرأ بها تقرير رفيقي أحمد بوزيد، بل تركه جانبا فتسارعت دقات قلبي وشعرت بخوف رهيب من أن يكون ذلك الفتور دليلا على أن بحثي قد يرفض ! وأنا بين الرجاء والخوف، سيخاطبني الأستاذ قائلا: «يفهم من عنوان تقريرك أن الغزل في الشعر الأمازيغي-شعر أحمد بيزماون نموذجا، محصور في تناول غرض شعر الغزل وحده، عكس بحث «الوصف في الشعر الأمازيغي الذي سبق أن أخبرتني به أول مرة»، وحتى بحث زميلك يفهم من عنوانه أنه سيجعل القارئ يتعرف على أهمّ أغراض الشعر الأمازيغي من خلال شاعر واحد». ثم توقف الأستاذ عن إتمام حديثه وهو يتناول من جديد تقريري ويتصفحه معيداً قراءة إحدى صفحاته قراءة صامتة، فاستبد بي ثانية ذهول غريب جعلني متشائما أكثر لتذكري ما يشاع بين الطلبة من أن شعبة اللغة العربية حددت لكل أستاذ عددا من البحوث لا يجب عليه تجاوزها.

سينتشلني من ذهولي الرهيب سؤال سمعته من الأستاذ قائلا: «ألا يوجد هناك شعر أمازيغي خلد به شعراء الأمازيغية دور المقاومة في استقلال المغرب ؟». شعرت وكأني انتشلت من الغرق، فبادرت أجيب مؤكدا: «نعم، إنه موجود».

انشرحت أسارير الدكتور عباس وقال: «أوافق على أن تجعل بحثك يعالج موضوع المقاومة المغربية من خلال الشعر الأمازيغي». ثم سألني عن مدى كمية ذلك الشعر ؟ فصارحته قائلا: «أدركته في مراهقتي أواسط الخمسينيات خلال عهد الحماية شعرا يفوق الحصر والعد. أمّا اليوم من سنة 1971، فقد باتت نصوصه قليلة، منها حوالي عشرة قصائد مغناة ومسجّلة صوتا في أشرطة الإذاعة، وفي أسطوانات الفونوغراف. أما ما سوى ذلك فمحفوظ في ذاكرة الشعراء وعموم المسنين لم يقم أحد بجمعه».

هنا أخبرني الأستاذ عباس أن هذا المصير المخيف وتلك الصعوبات الخطيرة هي التي جعلته يقترح من قبل تعويض موضوع شعر الغزل الأمازيغي عند الشاعر أحمد بيزماون بموضوع: «شعر المقاومة». مؤكدا أن موضوع شعر الغزل هو عاطفة الحب الأبدية، عكس موضوع شعر المقاومة الطارئ الذي توقف إبداعه باستقلال المغرب سنة 1956. ولعل كبار شعرائه قد رحلوا إلى دار البقاء، وحتى الأحياء منهم قد بلغوا من العمر عتيا.

كما لفت الأستاذ انتباهي إلى أن أغاني المقاومة المسجلة في الأسطوانات، مهما كثر عدد ما وصلنا منها، فإنها تعد في حكم العدم، لأن تشغيلها صار متعذرا، إن لم نقل مستحيلا لصعوبة الحصول على آلة الفونوغراف، وحتى إذا توفرت فقد يستحيل العثور على الـ «إبرة» التي تشغل

صوتها. ثم ختم الأستاذ سرد أنواع هذه الصعوبات بقوله: «أخبرتني قبل قليل أنك أدركت في صغرك كما هائلا من شعر المقاومة، ورغم أنه لم تمر عليه سوى خمس عشرة سنة حتى بات قليلا جدا ! وهذا يعني أن بعد مرور خمس عشرة سنة أخرى سيصير هذا القليل هو آخر ما سينجو من شعر كان خلال أواخر عهد الحماية شعرا يفوق الحصر والعد !».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بعودتنا من الرباط إلى فاس سعداء بموافقة الدكتور عباس على الإشراف، سنفاجأ في مطعم الكلية بأن رفيقنا محمد المدلاوي لم يجد من أساتذته في اللسانيات من يقبل الإشراف على بحثه في اللغة الأمازيغية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

رغم إرهاقي الشديد من سفري ذهابا وإيابا بين فاس والرباط خلال يوم واحد، رغم ذلك فإن قلقا دفينا أرقني فلم يغمض لي جفن حتى بكرت في غده بالذهاب إلى إدارة الكلية وسجلت بحثي قبل الضحى، وحينئذ فقط أسرعت بالعودة إلى الغرفة رقم 2 التي أتقاسم سكنها في الحيّ الجامعي مع الطالب إبراهيم إيدمنصور.

استسلمت للنوم مرهق الجسد مطمئن البال حتى حلمت أن شخصا يطرق الباب بأدب، وينادي باسمي خافتا، ثم سيحتدم الطرق ويرتفع صوت النداء لأستيقظ مذعورا ! ولما فتحت الباب وجدت موظفا من إدارة الكلية يخبرني بضرورة حضوري عاجلا لأمر مستعجل، ثم انصرف ريثما أغير ملابس نومي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وصلت مكتب السيد الذي أرسل في طلبي، فأبلغني أن بحثي لنيل الإجازة يجب أن أغيره بموضوع يعالج إحدى المواد التي تدرس في شعبة اللغة العربية وأدبها، ثم أومأ بانصرافي، فخرجت وكأن الأرض تميد بي. فلم يكن في وسعي سوى الإسراع بإخبار أستاذي المشرف هاتفيا. ولما كان الاتصال بالهاتف غير متاح يومئذ لأمثالي من الطلبة الأفاقيين، فقد اضطررت للذهاب راجلا من باب الكلية في ظهر المهراز إلى متجر صديق سوسي تعودت استعمال هاتفه هناك في حي «الأطلس».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

حين ربطت الاتصال من فاس بالدكتور عباس في الرباط، وأخبرته بأمر تغيير بحثي، سألني عن رفيقي أحمد بوزيد هل أمروه بالتغيير مثلي ؟ أخبرته أنه لم يتوصل بأي أمر، فقال أستاذي: «رسوم المكالمة الهاتفية مرتفعة جدا، لذلك انتظرني غدا صباحا في فـاس قرب مكـتـب السيد العـمـيد حـوالي الحادية عشـرة والنصف. وهـدئ من روعـك، موفـق إن شـاء الله، إلـى اللقاء !».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

انتشر خبر رفض بحثي بين الطلبة بسرعة جعلت رفاقي في الفصيل الطلابي الذي أناضل داخله يتداولون ما يمكن القيام به للدفاع عن حرمة البحث العلمي. خلال هذا تدخل طالب وقال: «إن ما يقع ليس سوى سيناريو محبوك بين إدارة الكلية وبين الأستاذ عباس الجراري، لعرقلة فتح باب دراسة الشعر الأمازيغي على مصراعيه في الجامعة المغربية». لم يكمل الطالب هذا القول حتى ردّ عليه آخر قائلا: «الدكتور عباس مسؤول نقابي كبير ومثقف عضوي كفء، فوق الشبهات».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وصلت جناح مكتب السيد عميد الكلية قبل الوقت الذي حدده الأستاذ بساعة زمنية من ذلك الصباح. انتظرت في وجوم، وبترقب يشتد معه وجيب قلبي حين أرى عقارب الساعة تزحف للإشارة إلى الحادية عشرة والنصف. فجأة سألمح الدكتور عباس آتيا. فاستبدت بجوارحي سعادة عارمة، تعكس إنسانية أستاذ تطوع للسفر من الرباط إلى فاس على نفقته وعبر طريق كثير الحوادث، في يوم لن يلقي أية محاضرة !

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

لم يفارقني الأستاذ الفاضل فعلا حتى تسلمت شهادة إدارية تبين أن بحثي تأكد تسجيله إداريا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بعد تخرجي مباشرة سيتابع الأستاذ عباس الجراري فتح باب البحث الجامعي على مصراعيه في جامعة محمد الخامس بالرباط للراغبين بعدي في نيل شهادة الإجازة ببحوث في الشعر الأمازيغي بعضها خاص بجمع شعر القبائل بدءا ببحث الطالب اشوان بلقاسم. الذي قام بجمع الشعر الأمازيغي في قبيلة أمانوز. والطالبة عائشة جابر التي جمعت الشعر الأمازيغي في قبيلة صنهاجة.

كما أشرف على بحوث خاصة بجمع شعر كبار الشعراء بدءا ببحث الطالب مصطفى الساهل الذي جمع ودرس شعر الحاج محمد الدمسيري. وبحث خاص بالشعر الأمازيغي للحاج المهدي بن مبارك للطالب سليمان ابركا...

ثم تلاحقت البحوث الأمازيغية سنة بعد أخرى في باقي كليات الجامعات الأخرى تحت إشراف أساتذة متخرجون على أستاذنا عميد الأدب المغربي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بعد سنة تخرجي، طورت نتائج بحث الإجازة، ونشرتها في سلسلة مقالات حول الشعر الأمازيغي في أعداد متتابعة من الملحق الثقافي لجريدة العلم. ولم تنتصف سنة 1975م حتى أصدرت أول كتاب بعنوان «الشعر المغربي الأمازيغي»، وبعد صدوره اتصل بي الدكتور عباس الجراري يقترح على أن أحرر مقالة تبلور بتركيز موضوع شعر الأغنية الأمازيغية بالمغرب وأبعثها إلى وزارة الثقافة في الرباط. و كذلك فعلت.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

دعيت للمشاركة في أعمال المؤتمر الخامس لمجمع الموسيقى، المنعقد بمدينة الرباط، سنة 1977م.

حين جاء دوري لتقديم ملخص موضوع عرضي في 10 دقائق وفور ما قلت إن عنوان مشاركتي هو: «شعر الأغنية الأمازيغية في المغرب»، سمع في القاعة صوت الدكتورة شهرزاد القادمة من العراق الجالسة في منصة رئاسة المؤتمر وهي تسأل رئيس المؤتمر الدكتور عباس الجراري عن المقصود بكلمة «الأمازيغية» في عنوان موضوعي ؟ فقال لها: «يقصد بها البربرية كما تقولون في المشرق». هكذا أخذ غيرها من المؤتمرين العرب يسألون عن معاني المصطلحات الأمازيغية. فاستغرق تقديمي حوالي 45 دقيقة، انتهت بإجماع الباحثين المشارقة على أن عرضي سيكون مقنعا أكثر وواضحا في الأذهان إذا تكرمت وزارة الثقافة بإحضار مجموعة موسيقية تؤدي أمامهم عرضا أمازيغيا حيّا لما وصفته في بحثي النظري بـ «موسيقى المقام الخماسي» في المغرب.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

رافقني السيد رئيس المؤتمر مباشرة إلى مكتب السيد وزير الدولة المكلف بالثقافة الحاج امحمد باحنيني، وأبلغه رغبة جميع الباحثين المشارقة في مشاهدة مجموعة موسيقية أمازيغية تؤدي أمامهم عرضا حيًّا لـ «موسيقى المقام الخماسي» في المغرب كما وصفته في عرضي النظري.

التفت السيد الوزير نحوي يسألني هل أملك هاتف الموسيقيين الممتازين. وأنا أجيبه أن نعم، وأتناول مذكرتي لأنقل منها رقم الهاتف المطلوب في ورقة، وأنا كذلك سأرى السيد الوزير يتصل من هاتفه بشخص سرعان ما فهمت أنه يهاتف السيد عامل مدينة مراكش، وأنه يكلفه بتدبير عملية إحضار الفنان الحاج عمر واهروش إلى الرباط مع مجموعته الموسيقية الكاملة على نفقة وزارة الثقافة. ثم أملى عليه رقم هاتف الحاج واهروش كما وضعته مكتوبا أمامه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

حضرت المجموعة، وكان الأستاذ عباس حريصا على أن يستقبل الحاج عمر واهروش ويتعرف عليه، وهو الذي سبق له أن أشرف سنة 1977م على بحث للطالب أحمد بوزيد كان موضوعه شعر الحاج عمر واهروش جمع ودراسة.

كما تابع الأستاذ جزءا من تداريب المجموعة. وحين وقف أفراد المجموعة الموسيقية استعدادا لولوج منصة الحفل، حضر الدكتور عباس للاطمئنان بأنّ كل شيء على أحسن ما يرام. وقال للحاج عمر واهروش: «كان الدكتور فيليب سكايلر سيحضر هذا المـؤتمـر، ولمّا تعـذر عليه ذلك أرسـل دراسة طريفة عن لعبة «التخبية» في موسيقى گناوة».

الدكتور فيليب سكايلر هذا باحث موسيقي أمريكي، أنجز رسالة عن موسيقى الملحون في المغرب قدمتني إليه زوجته الأستاذة كنزة سكايلر التي كانت مديرة المركز الثقافي الأمريكي لما كنت طالبا في كلية فاس. قدمتني إليه بعد ذلك بصدفة عجيبة سببها إعلان جريدة العلم سنة 1975 خبر صدور كتابي «الشعر المغربي الأمازيغي».

لما صار هذا الباحث مقتنعا بإنجاز أطروحة الدكتوراه بموضوع الموسيقى الأمازيغية للروايس، قدمته بدوري للرايس الحاج عمر واهروش، فلازمه في مراكش حتى تعلم عزف الرباي السّوسي، ويغني بالأمازيغية التي تعلمها كما تعلم لغات أخرى منها الألمانية والفرنسية والعربية بالإضافة إلى لغته الإنجليزية. وقد عاد إلى بلده حيث صار أستاذ الموسيقى التقليدية في جامعة سياتل بولاية واشنطن الأمريكية، وبدأت معه هناك أستاذا زائرا.

في آخر زيارته للمغرب خصه الدكتور عباس وزوجته الأستاذة حميدة الصائغ بضيافة مغربية كريمة. وقد سجل شهادته في «الدفتر الذهبي» الخاص بشهادات صفوة زوار الدكتور عباس من مختلف البقاع واللغات مشرقا ومغربا.

خلال اندماج الدكتور عباس في الحديث مع الحاج واهروش، فوجئت قبل رفع الستار بأن لا وجود لأي صحفي أو صحفية لتقديم مواد سهرتنا ! ولما أخبرت الدكتور بعدم حضور من سيقدم مواد سهرتنا ! ابتسم وهو يتأمل ملابسي قائلا: «أناقتك أناقة صحفي محترف، وصوتك إذاعي جهوري، وتقديمات الفقرات الموسيقية عندك مكتوبة، فادخل المنصة وقف أمام المكروفون وانطلق في تقديم الحفل، وسأذهب إلى القاعة لأتابع السهرة مع المؤتمرين».

مع رفع الستار سألتحق بالخشبة، وبمجرد ما ظهرت للجمهور قوبلت بعاصفة من التصفيق، وارتفعت الزغاريد من كل أرجاء القاعة المملوءة عن آخرها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

اندمجت في ذلك الحماس وانطلق لساني لبدء تقديم سهرة المقام الخماسي، من أولها إلى أن بقيت حوالي ربع ساعة من زمن القسم الأول، حيث سيأتيني السيد رئيس مصلحة التعليم الفني بوزارة الثقافة الأستاذ حسن المصمودي، والفرحة تملأ عينيه هامسا في أذني قائلا: «لما علم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بإقامة هذه السهرة أمر بأن تصله نسخة منها مسجلة صوتا وصورة. وسيلتحق طاقم التلفزة عاجلا لتتدارك تصوير القسم الثاني الباقي من الحفل !». وقبل أن ينصرف الأستاذ حسن همس في أذني: «تصرف على ضوء هذه المستجدات دون أن يعلم بها أي كان».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

تقدم شخص يصافحني قائلا: «أنا محمد الغرملي المخرج التلفزيوني الذي سيصور السهرة، وأرجوك أن تزودني بعناوين فقرات الحفل، وزمنها التقريبي».

بنهاية الحفل، اضطررت لتوديع الحاج عمر واهروش ومجموعته لأن الأستاذ حسن المصمودي أتى ليرافقني إلى مكتبه حيث ينتظرني في ذلك الوقت المتأخر الليل من قال عنهما: «إنهما سيدان مهمان وسيبلغاني بشرى لن تمر ببالي !». لما دخلنا مكتب الأستاذ

حسن رئيس مصلحة التعليم الفني بوزارة الثقافة، فوجئت بأن من ينتطرني هما: محمد بن ددوش مدير الإذاعة، ومحمد البقالي مدير التلفزة ! هنأني المديران أولا بنجاح العرض، ثم بشرني صديقي محمد بن ددوش بأن الاختيار قد وقع علي للإشراف على إعداد وتقديم برنامج تلفزيوني خاص بالموسيقى الأمازيغية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في نهاية سبعينيات القرن العشرين، انشغلت فعلا بإنجاز سلسلة من البرامج التلفزية الشهيرة «كنوز»، وبعد جهود مضنية، فوجئت بأن توقيت برمجة بثها سيكون بعد منتصف الليل بحوالي 30 دقيقة، وهذا الوقت يحرم سكان المناطق القروية من مشاهدته وهم الذين عادة ما ينامون باكرا. كما لا يتابعه الذين يتم توقيف تشغيل التيار الكهربائي في نواحيهم قبل منتصف الليل.

خلال هذا الصيف، صادفت الأستاذة حميدة الصائغ زوجة الدكتور عباس الجراري، خلال انعقاد ندوة علمية في رحاب مقر أكاديمية المملكة المغربية، وفور ما سلمت عليها أمرتني بإلحاح قائلة: «هيا معي لندرك الأستاذ حسن أوريد» -وهو يومئذ ناطق رسمي للقصر الملكي- أسرعت الخطى مثلها حتى وصلناه وبتبادل السلام قالت له: «أستاذ حسن تعرف الجهود المضنية التي يبذلها الأستاذ عمر أمرير في سبيل إنجاز برنامجه التلفزي الوثائقي «كنوز»، البرنامج الوحيد الذي يعتني بالفنون الأمازيغية، ويؤسفني أن التلفزة برمجت توقيت بثه بعد منتصف الليل. وإنني أعرف الكثيرين من غير الناطقين بالأمازيغية -وأنا منهم- يعانون من انتظار عرضه في تلك الساعة المتأخرة من الليل، فأرجوك أستاذ حسن أن تقوم بما يمكنك القيام به مع زملائك في التلفزة ليتفهموا خصوصية هذا البرنامج المفيد للكبار والصغار، فيعيدون النظر في توقيت بثه ».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

إذا عدنا إلى تلك المرحلة التي تفاحش فيها تهميش الأمازيغية من ثمانينيات القرن العشرين، سنتذكر كيف استمر الأستاذ عباس في عنايته بالأدب الأمازيغي دون أن ينتظر إنشاء كرسي للأدب الشعبي الذي أعيته المطالبة به، بل عزز مكتسب فتح باب الإجازة أمام الشعر الأمازيغي في البحث الجامعي بأن فتح الباب الذي يليه، باب مستوى رسائل «دبلوم الدراسات العليا».

أدركني هذا الوقت قد انصرفت للتفكير والبحث المتأني عن أكثر مواضيع الشعر الأمازيغي أهمية، فحدث أن صادفت أستاذي الدكتور عباس في بهو وزارة الثقافة وكأنه في عجلة من أمره، رغم ذلك انتحى بي جانبا وقال بصوت خافت: «مرت سنوات بعد تخرجك بالإجازة كلمح البصر، والآن أقترح عليك أن تغتنم فرصة نظام «شهادة الدروس المعمقة» الذي يوفر لك حظا لتسجيل نفسك لحضور دروسها في وحدة الأدب المغربي والأندلسي التي أتقاسم التدريس فيها مع الدكتور محمد بنشريفة. وبالإضافة إلى الحضور لحصص التكوين المعمق في الأدبين معا، يجب عليك أن تنجز بحثا يجعلك متمرسا بالمصادر والمراجع والمناهج الدالة على أنك مهيأ لتسجيل بحث نيل «دبلوم الدراسات العليا»، الذي يسمح لك بالانتقال للتدريس في الجامعة، وبعدها يمكنك الاشتغال بحرية في مجال تخصصك الأمازيغي».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

سارعت بإنجاز ما نصحني به أستاذي، جاعلا موضـــوع بحـــث تلك السنة بعنوان «التأليف الإقليمي في المغرب منهاجا/مؤلفات محمد المختار السوسي نموذجا»، وفيه أدركت الوعي الكبير لجيل المثقفين المغاربة الذين تطوع كلّ واحد منهم للعناية بالكتابة الشاملة عن الإقليم الذي ينحدر منه. و بإنجازهم لتلك الكتب الجهوية خلال عهد الحماية الفرنسية حققوا هدفا وحدويا مغربيا بتركيزهم «منهاجا» على إبراز ما يوحد المغاربة ويقوي وحدتهم في كل مجالات الحياة، وفي ظروف كان المستعمر الأوروبي يركز «نزعة» على إبراز ما يفرق المغاربة ويضعف وحدتهم.

تناولت مؤلفات المختار السّوسي نموذجا لمعاصريه الذين ألفوا مؤلفـات متعددة الأجزاء على الأقـاليم التي انحدروا منها من أمثـال: «تاريخ تطوان» لمحمد داوود، و «زهـــرة الآس عن مـــكناس» لعبد الرحمـــان بن زيدان، و «الإعـــلام عن مـراكش» لعباس ابن إبراهيم، و «أسفي وما إليه» لمحمد الكانوني وهلم جرا.

جعلني التكوين خلال سنة «شهادة الدروس المعمقة» تلك أقرأ بتركيز كثيرا من مصادر سوس في مختلف المجالات.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

فور نجاحي وحصولي على تلك الشهادة، دعاني أستاذي عباس ونصحني ثانية وبإلحاح كي أعمل ضد الساعة، وأبادر بإعداد تقرير بحثي العلمي لتسجيل رسالة نيل دبلوم الدراسات العليا بموضوع عن الشعر الأمازيغي.

حملت نصيحة الدكتور عباس محمل الجد، وخاصة أنه لم يعد خافيا في هذه الآونة الأخيرة أن هناك من يزعجهم ما يحققه الدكتور عباس الجراري من تزايد مصداقية مشروعه الفكري، وإشعاعه الثقافي. حررت تقرير موضوع الرسالة بعنوان: «سيدي حمو شاعر أمازيغي عالمي من القرن 18م». وسلّمته لأستاذي، فحدد يوم وساعة العودة لمناقشة فحوى ذلك التقرير استعدادا لتنقيحه أو حتى تغييره قبل الإذن النهائي بتسجيله إداريا.

حدث في لقاء عودتي لتلك المناقشة، أن بدأ أستاذي مباشرة بقوله: «موضوع رسالتك: سيدي حمو شاعر أمازيغي عالمي من القرن 18م»، موضوع يمنعني من قبول الإشراف عليه وجود مقالة تنكر وجود الشاعر سيدي حمو أصلا ! وهذا الإنكار يفرض أولا وقبل كل شيء في الدراسة الجامعية البحث عن الحقيقة المشكوك فيها حتى يتأكد بالحجج ما يفند إنكار وجود الشاعر أو يثبته.

حين استمهلني الأستاذ لحظة وهو يفتح ملفا كان قد أحضره، سأرى الدكتور عباس يتناول من وسط ذلك الملف نسخة مصورة لغلاف «مجلة الفنون» التي تصدرها وزارة الثقافة المغربية، مع صورة لمقالة منشورة فيها سنة 1975، ويقدمهما لي قائلا: «هذه صورة المقالة المشككة في وجود الشاعر الأمازيغي سيدي حمو الطالب، بتوقيع سيدة تعتبر سيدي حمو مجرد أسطورة، إنما ابتدعه الأمازيغ لينسبوا إليه كل شعر جيّد يريدون له الذيوع والخلود !!».

وأنا استجمع أفكاري لأبدي رأيي في شكل ومضمون مقالة يتيمة، لكاتبة مجهولة لم تذكر مصادرها في مقالة تبدو إنشائية. وأنا استجمع أفكاري سيبادر أستاذي بمخاطبتي قائلا: «هل تتوفر على وثائق تؤكد وجود الشاعر؟» أجبته أن نعم. قال: «في انتظار مبحث تعالج به التشكيك، أرى أن الوصف الذي رصدت به في تقريرك عملية جمع شتات شعر سيدي حمو من عملية يلائمها عنوان أراه صالحا ليكون موضوع رسالة جامعية تركز فيها على دراسة الشعر الذي جمعته منسوبا لشخص سيدي حمو، أي أنك ستدرس «الشعر المنسوب» بغض النظر عن وجود شاعره حقيقة أو افتراضا».

سجلت بحثي بعنوان: «الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب». ووجدت نفسي فيها من كوكبة الإجازة بموضوعي الجديد، الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمو الطالب. وجدت نفسي ضمن كوكبة باحثي مستوى رسائل «دبلوم الدراسات العليا»، الذين منهم: الأستاذ عبد الله المعاوي، بموضوع «الشعر الغنائي السّوسي»، والأستاذ أحمد شوكي، بموضوع «فنون الشعر الأمازيغي في الأطلس المتوسط»، والأستاذ محند آيت الحاج، بموضوع «مظاهر الحياة الثقافية في حاحة وإدا أوتنان»، والأستاذة ثريا ابن الشيخ، بموضوع «الصورة الفنية في الخطاب الشعري في شعر الملحون والروايس».

تابعت عنايتي بإنجاز رسالتي تلك لسنوات تخللتها رحلة دراسية ميدانية إلى بيئة سيدي حمو وثقت عبرها محتويات المصادر المكتوبة بالتحري الميداني في بيئة الشاعر هناك بأعماق قمم الجنوب الغربي للأطلس الكبير جهة سوس، فوصلت قريته، ووقفت في الساحة التي اندثرت منها داره، وتعرفت على ملامح الرجال والنساء المنحدرين من أرومته، وجمعت المزيد من أشعاره وأخباره مع الوثائق والحجج الدالة على وجوده الحقيقي في القرن الثامن عشر.

بعدما حررت الرسالة، وسلمتها لإدارة كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، سيطول أمد الإعلان عن مناقشتها أكثر من المعتاد. ولمّا علمت أن تأخير الرسالة ستكون عواقبه وخيمة حين يجعلها التأخير تخضع لنظام الإصلاح الجامعي المقبل والذي ستفقد فيه رسالة الدبلوم قيمتها المعهودة، ومنها حرماني من الالتحاق بالتدريس في الجامعة.

سأعلم أن سبب تأخر مناقشة رسالتي يعود إلى صعوبة العثور على أستاذ جامعي يتقن الأمازيغية، بعدما تعذر تعيين الأستاذ أحمد بوكوس عضوا في لجنة المناقشة لوجوده خارج الوطن منذ شهور وستتأخر عودته.

أخيرا بشرني الدكتور عباس بأن الأستاذ المؤرخ الروائي أحمد التوفيق، اقتنع بتعيينه عضوا يتقن الأمازيغية في لجنة مناقشة رسالتي، التي ستتم مناقشتها يوم الأربعاء 23 رمضان 1405هـ موافق 12 يونيو 1985م، وتتكون لجنة المناقشة من الأساتذة:

- مجمد بنشريفة رئيسا
- عباس الجراري مقررا
- سعيد علوش عضوا
- أحمد التوفيق عضوا

بحصولي على دبلوم الدراسات العليا، سيشرفني أستاذي بانضمامي عضوا إلى النادي الجراري، الذي رغم أن مجلسه الأسبوعي ينعقد بعد عصر كل جمعة في إقامة الأستاذ بمدينة الرباط فإني تعودت على أن أحضره من الدار البيضاء. ولا يمر أي لقاء دون أن تثار فيه قضايا فكرية لها صلة بالأمازيغية، وعادة ما أشارك لأوضح أفكارا أراها لم تكن واضحة في أذهان بعض الرواد. كما أصادف من يساعدني على تدارك أفكار عن الأمازيغية أو ورود ما يفيد عنها في مصادر لا تمر ببالي ! بالإضافة إلى كون هذا النادي تعود على برمجة تقديم إصداراتي الخاصة بمواضيع الأمازيغية والأمازيغيين ومناقشتها بعلمية، وكامل الشفافية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

حدث أن انقطعت حوالي شهرين عن سفري الأسبوعي المعتاد من الدار البيضاء لحضور مجلس «النادي الجراري» في دار الدكتور عباس بالرباط. وخلال اليوم الذي جددت حضوري، حدث أن دخلت من الباب الخارجي الذي يبقى مفتوحا في وجه رواد النادي، وخطوت لأنزل درجات مدخل مقر النادي في الطابق الأرضي، فإذا بي أسمع الحاجة حميدة زوجة الدكتور عباس تناديني من الباب الفوقي، فعدت أدراجي مفترضا أن انعقاد مجلس النادي انتقل خلال زمن غيابي إلى الطابق العلوي. وبسلامي على الأستاذة ستبادرني قائلة: «... طال غيابك عن مجالس النادي. وقد ناديتك لأخبرك أن الأستاذ عباس بدأ يتساءل عن سبب انقطاعك ؟». أجبتها قائلا: «سبب غيابي هو كوني أتابع أشغال بناء داري !». قالت الأستاذة وبكل عفوية: سيطمئن قلب الأستاذ بهذا العذر لأنه مقبول. ثم أضافت قائلة بعفوية: هناك مثل مغربي قديم يقول: «ييلا شفتي شي واحد غادي كايدوي بوحدو، عارفو كايبني، أولا غايزوج بنتو» (إذا رأيت شخصا يمشي وهو يتكلم وحده، فاعلم أنه يبني أو سيزوج ابنته !)

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

لما عزمت على أن أحدد موضوع أطروحة دكتوراه الدولة، واستشرت الدكتور عباس اقترح علي أن أفكر في موضوع يصعب الفصل فيه بين ما هو عربي، و بين ما هو أمازيغي.

بعد تنقيب حثيث في المصادر وبعد قراءة آلاف من الأبيات الشعرية، وبعد تعدد المقترحات، وما عشته من تجارب سأهتدي إلى أن موضوع: «رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام»، هو الذي يصلح أن يكون صلب أطروحة تؤكد صعوبة الفصل فيها بين ما هو عربي، و بين ما هو أمازيغي.

هكذا يتجلى أن للدكتور عباس الجراري دور مهم في تاريخ فتح باب الجامعة المغربية لدراسة الشعر الأمازيغي، بأزيد من جيل قبل خطاب أجدير، وقبل تأسيس شعب اللغة الأمازيغية ومسالكها في الجامعات المغربية.

كما أن له الفضل في فتح باب الإعلام التلفزيوني أمام الوثائقي الخاص بالفنون والحضارة الأمازيغية قبل نشوء قناة «تمازيغت» بأزيد من جيل كامل كانت سلسلة برامجي تلك نافذته التلفزية المغربية الوحيدة التي اكتشف عبرها النظارة الحضارة الأمازيغية.

وهذا يعنى أن للدكتور عباس الجراري فضل كبير على البحث الجامعي بما شارك في إنقاذه من موروث أدبي أمازيغي مهم، وما ساعد به دارسي الأدب الأمازيغي من إيجاد حلول لقضايا أدبية كانت ستزيد تعقيدا، أو تضمحل إلى الأبد معقدة .

كذلك له الفضل الأكبر على موروث حضاري مهم ليس فقط بكونه سبق زمانه بجيل كامل سيدرك قيمته المشتغلون في البحث العلمي وفي الإنتاج التلفزي الذين يعودون إلى أرشيف الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة حيث توجد كنوز حضارية موثقة بالصوت والصورة والتعليق، مما لا يقدر بثمن.

كل هذا وذاك يفرض تثمينه النظر إليه على أنه إنجاز حدث في زمن مرحلة تهميش الأمازيغية، وليس في زمن ما بعد خطاب أجدير يوم 17 أكتوبر 2001.

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة في حقّ عميد الأدب المغربي

أستاذنا العلّامة الدكتور عباس الجراري رحمة الله عليه

بشرى البداوي
أستاذة التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس -الرباط

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وبشّرِ الصّابِرين الَّذينَ إِذَا أَصَابتهُم مُّصِيبةٌ قَالوا إنَّا لله وإنَّا إلَيهِ رَاجِعُون، أُولَئكَ عَليهِم صَلواتٌ مّن ربِّهِم ورَحْمةٌ، وَأُولَئكَ هُمُ المُهْتدُون﴾. صدق الله العظيم

فما أقول بعد، فكلماتي، سيدي، تُعلنُ منذ البدء عجزَها عن إيفائك حقِّكَ في يوم تأبينك، إنْ هي إلّا محاولةٌ كشفٍ عن عُمْق ما طبعتُموه في نفوسنا من محبّة، فتقديرُنا لشخصكم فاق كُلَّ تقدير، واعتزازُنا بشرَف معرفتكُم -ممَّا مَنَّ به الله علينا طيلةَ سنوات تدرُّجنا في هذه الكلية العامرة، وسنواتِ مُقامنا في هذه المدينة الرباط- سما فوقَ كلِّ اعتبار، وفاق كلَّ تعبير أو إعلان...

كان فكرُكَ شعاعَ نورٍ في المسار لأستاذنا المشرف رحمة الله عليه، الدكتور سيدي علال الغازي، فاقتبسنا منه ولا نزالُ طيلة المسار ما نستنيرُ به في الطريق...

كانت آراؤُكَ في مناقشة رسالتي: رسالة الماستر وأطروحة دكتوراه الدولة، خيرَ بنراس تجلَّت فيها الرِّعاية، وتبدّى من خلالها التّوجيه، ورشَحت بالتشجيع، ممَّا طَبَعَ في القلب: احتراماً وتقديراً ومحبّةً لشخصكم... دامَ ويدوم ما حَيينا بمشيئة الرحمن...

ظلّت روابطُ ذي المحبة وذا التقدير تنمو مع الزّمان في حِضْن أسرتكم الشريفة، وكيف لا وقَيْدومَتُها من خيرة النساء اسمٌ على مُسَمَّى لالة حميدة: مَنْ سخَّرت حياتَها لمؤازرتكُم، مَنْ كانت رفيقةَ دربكُم، مَنْ رأتْ في حضور ذِكرِكُم حضورَها، وفي تألّقكُم تألّقَها، وفي ريادتكُم العلمية ريادةً لها... نعم الزوج كنتِ، سيدتي، لأستاذنا: مسانداً ومشجعاً ومحفّزاً، ورفيقةَ درب أقلُّ سماتها الوفاء والإخلاص...

فكيف ونحن نُؤبِّن اليومَ مَنْ كان صِنْوَ روحِكِ، ورفيقَ حياتِكِ، وروحَ قلبِكِ، فلا نملكُ إلَّا أن نَدْعُوَ لكِ بصَبْرِ المؤمنات المُحتسبات... ونقفُ احتراماً لِدَورِكِ الرَّائد، وتقديراً لمَقامِكِ عندنا جميعاً...

ما قصَّر، سيدتي، عالمُنا العلّامة الرّائد في خدمة نبوغ بلده النبوغِ المغربي، وما قصَّرتِ بتحفيزِكِ إيَّاه ومساندتِكِ له:

- **تأريخاً لمسار هذا النُّبوغ:** وأكاد أجزم أنّ نواةَ البحث فيه «الأدبُ المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» (1978)، و «ثقافةُ الصحراء» (1978)، و «وحدةُ المغرب المذهبية من خلال التاريخ» (1979)، و «معركةُ وادي المخازن في الأدب المغربي» (1985)... وغيرها من الإبداعات التي طبعت بالطبع التاريخي في البحث لديه ؛
- **وترجمة لأعلام الأدب المغربي/العربي:** ومن أشهر نماذجه: «الأميرُ الشاعر أبو عبد الربيع سليمان الموحدي» (1974)، و «عبقرية اليوسي» (1981)، و «العالِمُ المجاهد عبد الله ابنُ العباس الجراري» (1985)، و «عبدُ الرحمان بن زيدان» (1998)...
- **ودراسةً لقضايا هذا الأدب المغربي/ العربي/ الإسلامي:** كـ «الحريّة والأدب» (1971)، و «الثقافةِ في معركة التغيير» (1972)، و «من أدب الدعوة الإسلامية» (1974)، و «النضالِ في الشّعر العربي بالمغرب من 1980 إلى 1912»

(1975)، و «قضية فلسطين في الشعر المغربي» (1975)، و «الفكرِ والوحدة» (1984)، و «الثقافةِ من الهُوِّيّة إلى الحوار» (1993)، و «الذّاتِ والآخـر» (1998)، و «هُوِّيتِنا والعـولـمـة» (2000)، و «القـدسِ الشـريف» و «الإصلاح المنشود» (2005)...

- **وتمحيصاً في فـنـون ذا الأدب:** بما يخصُّ نحو «القـصـيدة الزَّجَل في المغرب» (1970)، و «موشَّـحـات مـغـربية» (1973)، و «الشعـر الأنـدلـسي» و «الشـعـر السيـاسـي» و «مصطلحات الملحون الفنية، المعجم» (1978)، و «في الإبداع الشعبي» (1988) ...

- **وتأصيلاً للغته:** ونواة القول فيه ما يخصّ الإفادة والبحث حول «معنى دستورية اللغة» منذ سنة 2010، الذي عدّ فيه الاهتمام باللغة واجباً وطنياً ودينياً، واعتبره مسؤولية على الجميع أن يتحمّلها، ويناضل من أجلها لحمايتها والدفاع عنها، وكذا المدخل الذي قدّمه حول مستقبلها، مما شارك به مركز ابن رشد للدراسات اللغوية العربية، النظر في استعمالها بين الواقع والمستقبل سنة 2015، الذي أبدع من خلاله في رصد أوجُه الاختلالات الداخلية والخارجية التي تعانيها اللغة العربية، واقترح حلولاً لتجاوزها، من نحو بدأ العمل بالشروع في تعريب الحياة العامة، لا سيما في مجال التعليم والإدارة والإعلام...

ما قصَّر، سيّدتي، أستاذُنا في الدّفع بحركة البحث العلمي في وطننا الحبيب: مِنْهاجاً ومنهجيةً ومَنْهَجاً، وبناءً وبحثاً وموضوعاً، بله موضوعات ممَّا سطَّرته أناملُه، وكُنْتِ وراء تنسيقه والدفع به للنشر بكل نكران ذات، بما يدلّ عليه ممّا ألّفه: «خطاب المنهج» (منذ 1990)، ويقف شاهداً عليه ما أشرف عليه من بحوث إجازة، ورسائل ماستر، وأطاريح دكتوراه...

ما قصَّر، سيدتي، معلِّمُنا في توجيه أجيال وأجيال من طلبة العلم ومحبّيه ممَّن غدوا معلِّمين أساتذة أخذوا المشعل، وساروا بخُطَى حثيثة في دَرْبِ التّوْجيه، والتكوين، والتعليم، كُلٌّ من موقعه...

تركَ، سيدتي، ما نفتخرُ به وتَفتخرين به، وحُقَّ لكِ ولنا، فمصنّفاتُه العلمية رائدةٌ تفتح المجال نحو تملك ثقافة عالِمة رصينة ؛ من خلال تحصيل العلم بما له صلة بتاريخ الأدب

المغربي، وأشهر رجالاته، وأهمّ شواهد النبوغ المغربي ودلائلُه، وأهمّ قضاياه ... بما فيها قضية وحدتنا الترابية، وقضية فلسطين الجامعة...

عالمٌ هو بامتياز، أديبٌ باقتدار، لغويٌّ نذُر منازعُه، فصيحٌ قلَّ مَثيلُه، مُفكّرٌ تعدّدت مشاركاته العلمية، وتنوّعت موضوعاتها، وسمت فوائدها...

جسَّد الحِسَّ الوطنيَّ في أبهى صُوَرِه وإلى آخرِ رَمَقٍ في حياته، ومثَّل خَيْرَ نموذج يُحتذى في الغَيْرة على بَلَده، فكان النّاطق بنُبوغه، والمُجسّد لصورة أدبائِه أينما حَلَّ وارتحل ...

فكان له حقّاً من اسمِه نصيب:

ففي **عِين اسْمِه «عباس»**، سيدتي، عَيْنٌ بله عيون على النبوغ المغربي، ظلّ يُجلّي صورتَه، ويكشفُ أسراره، ويُميطُ اللّثام عن دُرره الشّاهدة...

وفي **باء اسمِه المضعَّف**، بَوْحٌ، نعم بَوحٌ بِعُمْقِ انتماءٍ لبَلَدٍ شَهِد ميلاده، فتربّى بَيْن أحضانه، وعاشَ في كَنَفِه، وارْتَوى من مشارب عِلْمِه، وتغذّى مِنْ رحيقِ قِيَمِه، وتشرَّب مِن نُبْلِ أخلاقه، ممَّا تجلَّى في قوْلِه، فظلَّ يترجمُه لسانُه، وينطِقُ به سلوكُه، ويُجلّيه عملُه، بله أعمالُه التي تُوِّجت بنيل شهاداتِ اعترافٍ تلو شهادات داخلَ وطنه وخارجَه...

كان -رحمه الله تعالى- من أَحَاسِن الناس أخْلاقاً، من المُوَطَّنين أَكنَافاً الذِّين يَألَفونَ ويُؤلَفُون ؛ ففي لقائِه تُخبَر المقصودَ بلينِ الجانب، وفي وجهِه تباشيرُ تَرْحاب تُعلِنُها ابتسامتُه الهادئةُ المعهودة، وفي كلامِه كلماتٌ تفيضُ عِلْماً، وترشَحُ أدباً، وتسمو قِيَماً، وتَجْهَرُ خُلُقاً نبيلاً...

وفي **أَلِف اسْمِه**، أُلفةٌ يُحِسُّها كُلُّ مَن اقتربَ مِنْ عالَمِه... مِن أسْرتِه... مِن زَوجِه لالة حميدة... مِن زملائِه رفقاءِ دربِه خاصَّة في ناديه... فكأنَّهم روحٌ امتزجتِ لِتَشيعَ في أجسادٍ تتقاسمُ الإحساسَ نَفْسَه، وتسمُو بالقِيم نفسِها، فتْتَجَمَّع حول الغاية نفسِها خدمةً للنّبوغ المغربي الأصيل...

وفي **سين اسْمِه**، سُمُوٌّ نحو ما يُخلّد بالذِّكرَ بالطاعة... بالتعلّق... بالعِلْم ممَّا يخلفه الإنسان فيُنْتَفَعُ به، أَوَلَمْ يَصْدُق أنه يموت ابنُ آدم ويَنقطعُ عَمَلُه إلّا من ثلاث، منها: عِلْمٌ يُنتَفعُ به، فهو يُجسّد بحَقٍّ أسمى مِثال بما خلَّفه من تراث علميٍّ شاهد...

فَنَمْ قريرَ العين أستاذَنا، فلن تغرُبَ شَمْسُ مَحبَّتِك في قلوبنا، ولن يَفتَرَ لسانُنا عن ذِكرِك والتّذكير بمَسارِك نموذجاً حُقَّ أن يُحتذى، فقد كنتَ نِعْمَ القُدوة لكلّ وَطنيٍّ غَيورٍ على وطنه، ولكُلِّ عالِمٍ قيدومٍ في مجال تخصُّصه، لِكُلِّ عميد أَدَبٍ رَمْزٍ في بابِه، خُلِّدَ اسمُه بنتاجِه العلميّ الرّصين ومشاركاتِه الفكريّةِ الرائدة، مما سنظلُّ نَسْتَنيرُ به وتَسْتَنيرُ به الأجيال الشّاهدةُ الحاليةُ واللّاحقة...

فجعَلَ اللهُ تعالى لكَ، أستاذَنا، بكُلِّ حَرْفٍ سَطَّرَتْهُ أناملُك في العلم والطاعة حسنةً بل حسنات، وفي كلِّ ما سَوَّدْتَهُ من صُحُفٍ في خدمةِ العِلْم والتّعلّم شهادةً بل شهادات، اعترافاً بالحقّ، وكَتَبَ لكَ برحمتِه الحَشْرَ في جَنّةِ الخُلْدِ مع الّذين أَنْعَمَ عليهم من النّبيئين والصِّدّيقِين والشُّهَداء والصّالِحين، وحَسُنَ أُولَئك رَفيقاً، وأَلْهَمَ أهلَكُم ومُحبّيكُم الصّبرَ والسّلوان. آمين.

ولا نقول في الأخير إلّا ما يُرضي الله عز وجلّ: ﴿إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُون﴾.

والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كلـمة الأسـرة

حميدة الصائغ الجراري
أستاذة باحثة
أرملة المرحوم د. عباس الجراري

حضرات السيدات والسادة،

بسعادة غامرة وفرحة كبيرة، كان الحديث يدور بيننا دائما وإلى ماضٍ قريب ؛ واليوم أقف بينكم واستجابةً لطلبكم، أصالة عن نفسي ونيابة عن الأسرة الجرارية أبناء وإخوة وأصدقاء، أقف بينكم لكن بقلب حزين يعصره الألم، وفكر مشتت تتصارع فيه أحداث 63 سنة أمضيتها برفقة شريك حياتي ورفيق دربي وأستاذي وحبيبي -الذي كان حبيبكم جميعا-

فماذا عساني أقول، والمناسبة أولاً، تأبين العزيز صنو الروح «عباسي»، كما كان يحلو له أن أخاطبه، والمكان ثانياً، كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، التي شهدت مخاض انطلاقة مشروعه الأدبي والفكري، والأجواء ثالثاً، التي طبعها الرفض والمقاومة من جهة -بل من جهات- والتحدي والإصرار من طرفه، الذي كان مبعثه حبّ الوطن ورفع القناع عن مكنوزه المتنوع والغزير.

وتمر السنون، ويتواصل خلالها الكفاح وتتضافر الجهود بين الأستاذ وطلبته الذين وجدوا فيه الرائد الصادق والقدوة الحسنة.

ويأتي التشجيع والمباركة من أعلى سلطة في البلاد، وأعظم مثقف عبقري، جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه. ويتوالى الاحتضان والتقدير والدفع لاستمرار المسير من الحكيم المؤيد بالله جلالة الملك محمد السادس، سليل الدوحة النبوية الشريفة، الذي عمّت في ظله الأنوار وتلألأت البوادي والحواضر بمراكز العلم والبحث لخلق تنمية شاملة.

وتبدو الثمار وينمو العطاء ويكلل بالاعتراف الذي لم يقتصر على الوطن وأبنائه، بل تعداه للعالمية.

ويكون التتويج في النهاية بتكريمات متتالية وأوسمة مختلفة من منابر متعددة.

وإثر رحيل الفقيد الغالي إلى الملإ الأعلى، تأتينا الرسالة الملكية لا للتعزية فحسب، ولكن للتعبير عن محبة ملك عطوف يقدر جهود كل خديم وفيّ لدينه ولوطنه ولمليكه.

فطوبى لفقيدنا.

وأدام الله على بلدنا أمنها وأمانها.

وحفظ حامي وحدتها والساهر على تنميتها.

ولا يفوتني في الختام أن أجزي كثير الشكر وبالغ الامتنان للسيد عبد اللطيف ميراوي وزير التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار، وللسيد فريد الباشا رئيس الجامعة بالنيابة، وللسيدة ليلى منير العميدة بالنيابة، وللأخت زهور گرام رئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها، ولجميع الأساتذة الذين تعاقبوا على تقديم كلمات في حقّ المشمول بعفو الله، وكذا كلّ من ساهم في إعداد وإنجاح هذه الأمسية، معبرين عن حبهم ووفائهم واعتزازهم لأستاذهم أو زميلهم أو أبيهم الروحي عباس الجراري.

والسلام عليه وعلى الحضور الكريم.

أرملة المرحوم مرفوقة بابنها محمد، والأستاذة كريمة

الحضور الكرام

مدارات الوفاء والاعتراف

شهادات في ذكرى رحيل المفكر والأديب

الدكتور عباس الجراري عميد الأدب المغربي

القسم الثاني

شهادات وعروض أعضاء النادي الجراري

بتعاون مع

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
Bibliothèque Nationale du Royaume du Maroc
النادي الجراري
1930
الرباط
ينظم النادي الجراري بتعاون مع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
أمسية العرفان و الإعتراف
إحياء لذكرى رحيل
المفكر والأديب
المرحوم
الدكتور
عباس الجراري
عميد الأدب المغربي
الجمعة 1 مارس 2024
بالقاعة الكبرى
للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية
برنامج الأمسية

رئيس الجلسة: **مصطفى الجوهري**،
محافظ النـادي الجراري.

- 15.30: استقبـال المشـاركين.
- 16.00: الافتتاح بآيـات بينـات من كتـاب الله عز وجل
يرتلها عبد العزيز مسير
- النشيد الوطني
- كلمات وشهادات:

- **لطيفـة مفتقـر**،
المديرة العامة للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالنيابة.

- **عبد الحق المريني**،
مؤرخ المملكة، الناطق الرسمي باسم القصرالملكي.

- **سعد الدين العثماني**،
طبيب، رئيس الحكومة سابقا.

- **عبد العزيز بن عثمان التويجري**،
مدير عام منظمة الإيسيسكو سابقا.

- **محمـد احميـدة**،
أستاذ جامعي، كاتب عام النادي الجراري.

- **عبد الكريم بنانـي**،
رئيس جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة.

- **نور الديـن اشماعـو**،
رئيس جمعية أبي رقراق.

- **عبد الواحـد بنمسعـود**،
سفير صاحب الجلالة سابقا، محامي.

- محمد المختار النواري،
شاعر، رئيس منتدى الأدب بتارودانت.

- أحمد شوقي بنبين،
مدير الخزانة الملكية - النادي الجراري.

- قاسم الحسيني،
أستاذ جامعي- النادي الجراري.

- مصطفى الزباخ،
رئيس منظمة المجتمع المدني الدولية - النادي الجراري.

- منير البصكري،
أستاذ جامعي - النادي الجراري.

- جمال بنسليمان،
أستاذ باحث - النادي الجراري.

- عبد الرحيم بنعبد الله،
كاتب، شاعر - النادي الجراري.

- أحمد التناني السوسي،
شاعر وكاتب - النادي الجراري.

- محمد أبو الهدى اليعقوبي،
العالم الشاعر.

- محمد الجراري،
كلمة الأسرة.

- حفل شاي

- إختتام الأمسية.

النادي الجراري

مصدر للعطاء الثقافي والتواصل الاجتماعي والإنساني

- أسسه العلامة الأديب عبد الله بن عباس الجراري سنة 1930.
- حافظ على امتداده الأستاذ الدكتور عباس الجراري منذ سنة 1983.

• فضاءات النادي الجراري:

. 1930 ـ 1983.

- شارع السويقة: زنقة قورية - المدينة القديمة.
- زنقة القاضي عياض - حي ديور الجامع.

. 1983 ـ 2024.

- زنقة القاضي عياض.
- زنقة جبل تازكا - أكدال.
- زنقة أكادير - المهرهورة.
- زنقة أمازونيا - حي الرياض
إقامة زهرة الآس.

تقديم الندوة

د. مصطفى الجوهري
محافظ النادي الجراري
ورئيس الجلسة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

أسرة فقيدنا وعزيزنا الراحل سيدي عباس،

أرملة المرحوم وأبناؤه وإخوته وأصهاره،

السادة أعضاء النادي الجراري،

حضرات السيدات والسادة.

الحمد لله الذي اختار صفوة من عباده بلطائف التخصص طولا وامتناناً، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا، وصاروا في النادي الجراري أصدقاء ورفقاء وإخوانا وخلانا...

نلتقي في هذه الأمسية المباركة -رغم أنّ الرزء ما زال حديثا- فإن الله تعالى أفادنا بقوله: ﴿وبَشّرِ الصّابِرينَ الّذِين إذا أَصَابَتهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إنّا لله وإنّا إلَيهِ رَاجِعُون﴾.

نجتمع بمشيئة الله لنعرب عن امتداد وفائنا وخالص عرفاننا وصدق اعترافنا لرجل رحل عنّا منذ أيام قليلة، إنّه أستاذنا عباس الجراري، جدّد الله عليه رحماته الواسعة. وهو المعروف بقامته المعرفية السامقة، فهو العالم المشارك، والمفكر الإسلامي، الأديب والباحث والكاتب والشاعر المبدع، والفقيه المفتي، والخطيب المجدد، والمحاضر المقنع، والأستاذ الجامعي المبرز، والمربي النزيه، والوطني المناضل، بل هو رجل الدولة الأمين، والسياسي الحكيم، والدبلوماسي المحنك، والجمعوي المتطوع، والإنسان الخدوم، والمؤلف الغزير، عرف بمشروعه الفكري والعلمي والإنساني المتألق، عميد الأدب المغربي.

لذلك ليس غريباً عندي لمن يرغب في استقراء كل هذه المعالم الملخصة لشخصيته وفكره ومساره الحافل أن يبحث عنها في مكونات النادي الجراري باعتباره المدخل الأساس لمنجزاته وعلاقاته وعطائه وآثاره وإنسانيته.

فالنادي الجراري الذي أسّسه -كما تعلمون- العلامة الأديب عبد الله الجراري سنة 1930، حيث ارتبط ميلاده بحدث تاريخي هو حدث الظهير البربري الذي كان خطيبه بمساجد الرباط، ومبدع شعار «اللطيف» الذي عمّ باقي مدن المملكة، كلّفه دخول السجن، إذ صار النادي فضاء بل خلية لتدارس القضايا الوطنية، إلى جانب القضايا الفكرية والأدبية والثقافية بموازاة مع أجواء الحركة الوطنية، والحركة الثقافية التي ساهمت في تحريك الوعي الثقافي وتعميق أبعاده ومضامينه الوطنية والهوياتية والإنسانية.

ويعتبر النادي الجراري سواء خلال تأسيسه أو امتداده من الأندية المغربية النادرة في إيقاظ الشعور الوطني، والشعور الثقافي في التزام ملموس، وامتداد مدروس يعكس جوانب من التوجهات الثقافية المتجددة منذ بواكيرها الأولى وهي تتطور وتتجدد عبر تسعة عقود ونيف، وفي استثمار محكم لحلقات اللقاء والمجالسة، وفي تتبع ذكي للحوار والتواصل الثقافي عبر محطات متعددة.

ولعل أبرز ما يميز النادي الجراري على تعدد خصوصياته الثقافية والاجتماعية والتربوية والإنسانية، منها خاصية الوفاء لمدرسة مؤسسه سيدي عبد الله الجراري، ومدرسة رئيسه ومجدده أستاذنا العميد سيدي العباس، بل والوفاء لمريدي النادي من علماء وأدباء وشعراء وفنانين وباحثين وطلبة وضيوف وزوار عرضيين... وعامة الأعضاء ممن حافظوا على الحضور المتواصل، وفيهم من انتقل إلى دار البقاء رحمهم الله، وفيهم من يحضر معنا هذا اللقاء متعهم الله بتمام الصحة وكمال العافية، وأكرمهم بنعمة الوفاء.

والأستاذ عباس الجراري الذي رأى النور في مدينة الأنوار سنة 1937، تقلّد مهام كثيرة من بينها باختصار شديد:

- عضو أكاديمية المملكة المغربية
- رئيس المجلس العلمي لولاية الرباط والأقاليم المجاورة
- عضو الديوان الملكي
- مستشار صاحب الجلالة الملك محمد السادس
- أستاذ كرسي بجامعة محمد الخامس/كلية الآداب
- أستاذ بالمعهد المولوي
- عضو مؤسس، وشرفي، ومشارك في عدة هيآت ومنظمات واتحادات وجمعيات محلية ووطنية ودولية

أما في النادي الجراري الذي ترأسه منذ سنة 1983، فقد تعهده:

بالتجديد والانفتاح والتفاعل والتواصل وحرية الرأي، وبتنويع أعضائه وخاصة من الشباب والطلبة والباحثين ممن راموا استكمال التكوين الذاتي واكتساب الخبرة الثقافية، بل لا أتردد في اعتبار النادي الجراري مؤسسة ثقافية ساهمت في تكوين وصناعة رجال المستقبل الثقافي تؤكده إصرار أعضائه على الحضور الدائم وعياً منهم بأهمية العطاء الثقافي المتبادل والتوجيه المحكم للأستاذ العميد رحمه الله.

كما أضاف إلى النادي محطات جديدة، ألخص بعضها في:

- ندوات عبد الله الجراري (خمسة ندوات).
- جائزة عبد الله الجراري في الفكر والأدب.
- العناية بالنشر والتدوين والتوثيق (أكثر من 120 إصداراً).
- النادي صوت الإبداع الشعري.
- النادي فضاء للإبداع الفني حلقات للموسيقى الأندلسية، وللمديح والسماع، والموسيقى الطربية، والملحون...

بل إنّه رحمه الله، إلى جانب العطاء الثقافي والفني، جعل من النادي فضاء للثقافة المنتظمة وفضاء للتدين والمتعة الروحية، إذ شكّل النادي في عهده نموذجاً متميزاً في الثقافة الجماعية في واجهاتها المتعددة والتواصل الحميمي، وتوزيع الإصدارات الجديدة -إصدارات النادي وإصدارات الأعضاء- وفي صيانة فضاء النادي الذي يشكل متحفا تراثياً خاصّا، وفي عنايته بالمكتبة العظيمة (المكتبة العباسية)، وفي استقبال المريدين والضيوف، وشركاء النادي من الجمعيات الوطنية وغيرها كثر...

وهكذا يصبح يوم الجمعة الذي تلتئم فيه جلسات وحلقات النادي الجراري يوما استثنائياً بالنسبة لفقيدنا رحمه الله، يوم له أكثر من دلالة باعتباره يجدد من خلاله نشاطه الفكري والثقافي والروحي بدءاً بالإمامة والخطبة والفتوى بالمسجد (للا سكينة)، بعدها تأتي جلسة النادي بكل فوائدها وعلاماتها ومجالستها المحكمة المتوهجة، ولا تفوتني الإشارة لمحطة مهمة في تاريخ النادي تعتبر من علاماته البارزة في العطاء والوفاء وأقصد بها الاحتفال بالذكرى التسعين لتأسيس النادي الجراري، وهي محطة حرص رحمه الله على تتبعها وتأطيرها رغم إكراهات توقف حلقات النادي بسبب إكراهات المرض العالمي المعروف بالكوفيد، معتنياً وملّحا على امتداد تعميم الثقافة من خلال الكتاب.

حضرات السيدات والسادة،

ونحن في هذه الأمسية الثقافية التي نقيمها إحياءً لذكرى رحيل المفكر والأديب المرحوم الدكتور عباس الجراري، عميد الأدب المغربي، وهي أمسية أطلقنا عليها «**أمسية العرفان والاعتراف**»، سعداء باستقبال صفوة من رجال الثقافة والإبداع ممن شكلوا إلى جانب إخوانهم في النادي الجراري حواراً ثقافيا ثرياً، فضلا عن معرفتهم القريبة وخبرتهم الذاتية بمكونات شخصيته وموسوعية إنجازاته، فضلا عن ذكرياتهم معه على امتداد حياته رحمه الله.

فباسمي الخاص، وباسم أسرته الكريمة أتوجّه إليهم بالشكر الجزيل على تلبيتهم دعوة الاعتراف والعرفان.

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذة لطيفة مفتقر مديرة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالنيابة على حسن تعاونها، وجميل تنسيقها، وعلى ضوابط الشراكة الثنائية بين النادي والمكتبة، والشكر موصول لكل من شرفنا بالحضور، كل باسمه وصفته.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

آيات من الذكر الحكيم

رثلها المقرئ الطالب

عبد اللطيف الوزكاني

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

لطيفة مفتقر
مديرة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
بالنيابة

حضرات السيدات والسادة الكرام،

بتقدير وتأثير كبيرين، أَتشرَّف بالمشاركة في هذا اللقاء الذي ينظم بمناسبة ذكرى رحيل المفكر والأديب المغربي الدكتور عباس الجراري. وأودّ الإشادة بجهود النادي الجراري الذي نعتزّ في المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالتعاون معه للاحتفاء بعَلَم بارز من أعلام الثقافة والفكر المغربي.

وبسعادة واعتزاز بالغين، أرحب بكم جميعا في موعد الوفاء هذا لنستحضر جميعاً شخصية وأثر قطب من أقطاب الأدب المغربي، وما أحوجنا إلى مثل هذه الوقفات التي نأمل أن تجعل إبراز وتكريم أقطاب الفكر المغربي يحظيان بما يستحقان من عناية. لقد أبدع المفكرون والأدباء المغاربة في مختلف مناحي الفكر والثقافة، ويحتاج التعريف بهذا الأثر لدى الأجيال المتعاقبة إلى برامج متكاملة لتعزيز الحركة النقدية وأعمال التوثيق والنشر، فضلاً عن إشاعة قيم العرفان وتكريم المفكرين الأحياء منهم والراحلين.

إنّنا في المكتبة الوطنية للمملكة المغربية ندرك تمام الإدراك هذا الوضع ونَشْتَغِل عليه سواء في ما يتعلق بأعمال التوثيق المنفتح على الرقمنة والتكنولوجيات الحديثة التي تضمن الانتشار الواسع، أو من خلال مختلف الأنشطة والتظاهرات التي تنظم حول روّاد الفكر المغربي. لقد تحقق الشيء الكثير في هذا المجال، غير أن بلوغ الدرجات التي تليق بقيمة نساء ورجال الفكر المغربي يتطلب مزيداً من الجهود والخطط الناجحة والانخراط الواسع من طرف المختصين والمهتمين، أملاً في جعل الثقافة انشغالاً جماهيرياً يوميا.

حضرات السيدات والسادة،

إنّ هذه المبادرة النَّيِّرة التي تحيط عَلَما بارزاً من أعلام الفكر المغربي بهذا الاحتفاء، تعدّ تعبيرا عن هذا المسار الذي نأمل أن يتسع مداه. لقد سَخَّر الراحل عباس الجراري حياته للبحث في حقول ومجالات مختلفة، فضلاً عن عمله الجامعي وإشرافه على أبحاث وأطروحات ذات الكم والنوع الجديرين بكلّ تنويه. كما أغنى الخزانة الوطنية بمُؤلَّفات وأبحاث قاربت مختلف الحقول المعرفية، وهَمَّت الدراسات المغربية والتراث الشعبي والأدب العربي الإسلامي والدراسات الأندلسية وقضايا الفكر والثقافة والفكر الإسلامي.

إنّ الراحل قد اعتلى قيد حياته مِنَصَّات التكريم أكثر من مرة ومن مختلف الهيئات، ووفاء لروحه، فإنّ أثره جدير بإعادة الاكتشاف بمثل هذه المناسبات.

أشكركم جميعاً، مع تجديد الرحمات على روح الدكتور عباس الجراري ولعائلته وأصدقائه، وكافة المثقفين المغاربة، أطيب عبارات التقدير والوفاء، وللجمع الحاضر موفور ودّنا.

والسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه

عبد الحق المريني
مؤرخ المملكة
الناطق الرسمي باسم القصر الملكي

الأساتذة الأجلاء،

السادة الحاضرون الكرام،

أسرة المرحوم الدكتور عباس الجراري.

أتقدّم بادئ ذي بدء، بالشكر الجزيل للمشرفين على هذا الحفل التكريمي، لروح الفقيد العزيز الدكتور عباس الجراري، الذين دعوني للمساهمة في هذا الحفل التأبيني.

وبهذه المناسبة، أتقدمُ أمامكم بعرض مقتضب عن الشخصية العلمية لأستاذنا المرحوم الدكتور عباس الجراري.

فأقول:

إن الدكتور عباس الجراري رحمه الله، كان هرَما شامخاً من بين أهرام الثقافة في بلادنا

وهو كما في علمكم، كان شخصية موسوعية، متعددة الأبعاد والاختصاصات. وإن الإشادة بأعماله الأدبية من قبل المفكرين الأجلاء في عدة مناسبات، تعدّ أصدق تعبير للتذكير بعطاءاته الفياضة في مجالات الأدب المغربي، والبحث العلمي، والدراسات الإسلامية، والفنون الشعبية المغربية.

ولا يخفى عليكم أنّ أستاذنا رحمه الله، ألف ما يناهز مئة مؤلف، في مختلف فنون المعرفة، نظراً لإمكاناته الفكرية، وقدراته الإبداعية. كما أشرف على إعداد الرسائل الجامعية التي بلغ عددها ما يزيد على أربعين رسالة للدكتوراه، وعلى إنجاز ثمانين دبلوما للدراسات العليا، وقد رعى الأستاذ المشرف المرحوم عباس الجراري الباحثين فيها، ووجه العاكفين عليها، فأصبحوا بعد فوزهم بشهاداتهم العليا من رواد الأدب والثقافة المغربية.

وهكذا أدّى الدكتور عباس الجراري، رحمة الله عليه، الرسالة الثقافية الجامعة القيمة والغنية، لوطنه ولطلابه ولكافة المثقفين الذين جنوا ثمراتها، وأصبحوا دعائم راسخة للنهضة الثقافية في بلادنا وللتطورات الفكرية في مجتمعنا.

أيها السادة والسيدات،

نكتفي بهذا القدر اليسير، وندعو لأستاذنا بالرحمة والمغفرة والرضوان، وأن يخلّد الله ذكره في مجال منجزاته الثقافية النيرة.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

كلمة من القلب
في حقّ أستاذنا عباس الجراري رحمه الله

سعد الدين العثماني
طبيب مختص
رئيس الحكومة سابقا

بِسمِ اللهِ الحَيِّ الّذِي لا يَمُوت، القَائل: ﴿كُلُّ نَفسٍ ذَائِقةُ المَوتِ، وإنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُم يَومَ القِيامَة﴾.

ما مات من زرع الفضائل في الورى * بل عاش عمراً ثانيا تحت الثرى
فالذكر يُحيي ميتا ولربما * مات الذي ما زال يسمع أو يرى

أسرة الفقيد الأستاذ عباس الجراري، ومحبّيه، وتلامذته،

أيها الحضور الكريم.

في هذا المجمع الكريم، أبث هذه الكلمات من القلب في حق أستاذنا الدكتور عباس الجراري، الذي ندب حياته للعلم والأدب وبثهما في الناس.

لقد فقدنا قامة علمية فذة، ورمزاً من رموز الأدب والثقافة المغربيين. كان رجلا لمع نجمُه في العديد من ميادين العطاء النافع ؛ فهو العالم الفقيه، وهو المثقف الحصيف، وهو الداعية المخلص، وهو الخطيب الموفق، وهو الأكاديميُّ الرصين، وهو المعلِّم المربِّي، وهو الأديب المبدع، وهو المؤرخ المدقق، وهو المؤلف المكثر ... وباختصار إنه العلم الذي اجتمع فيه ما تفرق في غيره.

لكن النقاد أطلقوا عليه لقب «عميد الأدب المغربي» وهو لقب يستحقّه فعلا. فاهتماماته وبحوثه وكتاباته غزيرة ومركزة ومتنوعة في خدمة وإحياء الأدب المغربي.

منذ البداية الأولى سنة 1970 بأطروحته: «الزجل في المغرب: القصيدة» إلى العناوين التي تلت مركزة على فن من الأدب المغربي، كان الاهتمام والتأليف فيه محدوداً. وهذه العناوين هي: «معجم مصطلحات الملحون الفنية»، و «موشحات مغربية: دراسة ونصوص»، و «أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع»، و «في الإبداع الشعبي»، و «معالم مغربية»، و «موشحات مغربية»، و «عاشوراء عند المغاربة»، و «النغم المطرب بين الأندلس والمغرب»، و «موسوعة الملحون»، التي أشرف عليها ونشرتها أكاديمية المملكة المغربية. وهكذا، كان أستاذنا سبّاقاً ورياديا في الاهتمام بالأدب الشعبي المغربي وبالتراث الموسيقي المغربي والأندلسي.

ومن اهتماماته بالثقافة المغربية، أنه كان أوّل من فتح في الجامعة المغربية منذ سبعينيات القرن الماضي باب تسجيل البحوث والأطروحات الجامعية أمام الطلبة الراغبين في البحث في حقل الأدب والشعر الأمازيغيين.

واهتم بفنون أخرى من الأدب والثقافة المغربينن بنفس الزخم، ليصل عدد عناوينه في هذا المجال إلى حوالي خمسين عنواناً. وأذكر منها واحدا، هو كتابه العمدة: «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه». ويمكن أن نعتبره صنوا لكتاب النبوغ المغربي للعلامة عبد الله گنون، في إبراز غنى الحضارة المغربية. وللأستاذ -كما تعرفون- مثل العدد المذكور من المؤلفات في قضايا الثقافة والإصلاح، والفكر الإسلامي، والتاريخ، وغيرها...

الشاهد عندنا أن إطلاق لقب «عميد الأدب المغربي» على عباس الجراري، كان عن جدارة واستحقاق. ولو بحث الباحثون ونقبوا لوجدوا أكثر من عشرين وجها وسبباً لهذا الاستحقاق.

أما صلتي شخصيا بالأستاذ عباس الجراري، فهي قديمة، بسبب الاهتمام الذي أولاه والده العلامة عبد الله الجراري لشعر عمّي محمد العثماني الذي توفي سنة 1996. فقد اهتم ببعض قصائد العم، وخصوصا قصيدة عنوانها: «أين اللواء؟»، نظمها العم في فترة الحماية الفرنسية. فعقب عليها الشيخ عبد الله الجراري في كتابه: «شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون»، قائلاً: (فمن أمثال هذا الشعر ومنهله الفياض، ونوع قوافيه الوثابة ما يجب على شبابنا الاهتمام به، ودراسته والتكيف بمدلوله ومعناه، لقوة ما تحمله أشطاره من بطولة ورجولة).

ثم كان أن أشرف أستاذنا على أطروحة في موضوع: «شعر محمد العثماني: جمع ودراسة»، للطالب إبراهيم إيد منصور، الذي قام بدور مهم في جمع شعر العم وتوثيقه قبل وفاته بأسابيع قليلة. وهنا أمر بالغ الأهمية، وهو أن حوالي خمسين بالمئة من الشعر المنشور في الديوان/الأطروحة، انتشل انتشالا من خطر الضياع، فهو لم ينشر في أي مكان، وقيض الله صاحب الأطروحة لجمعه ونشره. وهذه خدمة أخرى أسداها أستاذنا من خلال عمله الأكاديمي للأدب المغربي بإشرافه على جمعه وتوثيقه وتدوينه من خلال مئات الرسائل والأطروحات التي أشرف عليها وأطّرها. وهي منقبة تضاف إلى المناقب التي أوردناها سابقا

وبعد مناقشة الأطروحة «شعر محمد العثماني» سنة 1999، قمتُ شخصيا بطباعتها. وأهديت أستاذنا نسخة منها في إحدى جلسات النادي الجراري، وسرّ بها كثيراً.

وقد يسّر الله لي حضور النادي الجراري عدة مرات في بيته العامر، وفي إحداها، ألقيت عرضاً حول كتابي: «جهود المالكية في تصنيف التصرفات النبوية»، لقي استحسان أستاذنا. لقد كان النادي الجراري محفلا علميا متنوعا، وقد يكون «أقدم نادٍ ثقافي» بالمغرب، استمر منذ حوالي خمس وتسعين سنة. وكان من وفاء أستاذنا لوالده العلامة عبد الله الجراري أن عمل على استكمال مشروعه العلمي والثقافي. فكان منارة ثقافية في عالم اتجه فيه الناس أكثر إلى إيثار الماديات والتنافس فيها، والعزوف عن المعنويات، والعلم والثقافة على رأسها

ثم يسّر الله لي أن أحضر مع الأستاذ عباس الجراري لسنوات أمسيات رمضانية منتظمة في بيت أخينا المرحوم رشيد رينكة، بمدينة سلا، وهو من الذين يداومون حضور النادي الجراري. وفي تلك الأمسيات، كان أستاذنا عباس يلقي كلمة توجيهية غنية تحث على الخير وعلى الصالحات.

وفي كلّ هذه المناسبات وغيرها، وقفتُ ولمست -كما وقف غيري ولمس غيري- أخلاق الأستاذ الجراري الرفيعة. لقد كان باستمرار جمّ التواضع، سهل المعشر، هادئ الطبع، سمح المعاملة.

فإذا كان التبسّم في وجه المؤمن صدقة كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أستاذنا كان أكثر الناس صدقة لملازمة الابتسامة محياه على الدوام، فلا تكاد تراه إلا مبتسماً.

وإذا كانت «الكلمة الطيبة صدقة»، كما في الحديث الصحيح، فإنك لا تسمع من أستاذنا إلا الكلمة الطيبة، فهو من أسعد الناس بهذا الحديث.

ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن صفة أخرى حثّ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قول الخير والسكوت عن غيره، ففي الحديث الصحيح: «من كان يومن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت». ولقد كان أستاذنا دائما يقول الخير إذا تحدث، وإن لم يفعل يظل ساكتاً معبرا بابتسامته العريضة الجميلة عن حسن سلوكه وصفاء طويّته.

وقد تكون تلك الخصال من أسباب محبة الناس له، الأقربين منهم والأبعدين.

وإذا أحـبّ الله يومـا عبـده * ألقـى عليـه محبـة للنـاس

وقد تكون تلك الخصال أيضا من أسباب تقلّبه في عدد من المسؤوليات المتنوعة، والتي تحتاج فعلا إلى خلق التفاهم، وإلى الحكمة وروح المسؤولية والحسّ الوطني.

وواضح للجميع أنه استمد مكانته الفريدة في قلوب تلامذته ومحبّيه، من جوانب إنسانية وإيمانية عميقة، تنبعث من المنبت والجذور، وترتكز على القيم والخصال والمواقف.

ومهما كتبنا من كلمات رثاء، وذكرنا من مناقب، فلن نوفّي أستاذنا عباس الجراري حقه لما قدمه من عطاء ووقت وجهد وتفانٍ في خدمة الدين والعلم والأدب والوطن، لأن شخصا من هذا الحجم لا يمكن أن يُختزل الحديث عنه في هذا الوقت الضيق، ولكنَّها خواطر سريعة من القلب.

لكنّي لن أفوت الفرصة لأقول: إن ذكر أستاذنا ومثله من القامات السامقة في بلدنا، ليس من باب الوفاء للشخص والوطن فقط، ولكنه أيضا درس للأجيال الصاعدة، وشحذ

للهمم في زمن طغت فيه المقاييس المادية في تقييم الأشخاص، بدل القيم والدين والعلم والوطنية والأدب، وهي التي كان فيها أستاذنا الجراري قامة سامقة.

رحم الله أستاذنا عباس الجراري، وتغمده بواسع مغفرته وأسكنه فسيح جناته، ورزق زوجته وذويه وجميع محبيه جميل الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه

عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام لمنظمة الإيسيسكو سابقا
عضو النادي الجراري

حضرات السّيدات الفضليات، والسّادة الأفاضل،

السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد،

فيشرّفُني الحضور معكم في أمسية العرفان والاعتراف، التي يُنظّمها النّادي الجراري بالتعاون مع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وفاءً لفقيدنا الكبير العلّامة الدكتور عبّاس الجراري عميد الأدب المغربي، رحمه الله، الذي كانت تربطُني به علاقاتٌ أخويّة متينةٌ خلال ما يزيد عن ثلاثة عقود.

والذي كانت له، رحمه الله، مشاركات مفيدة في عدد كبير من أنشطة الإيسيسكو وبرامجها الحضاريّة عندما كنتُ مديراً عامّاً لتلك المنظمة طيلة 27 سنة، كما شرّفني بكتابة تقديم كريم لديوان الشّعر الذي أصدرتُ قبل سنوات بعنوان «نبض الفؤاد».

وقد جَرت بيني وبينه معارضاتٌ وإخوانياتٌ شعريّة في مناسبات كثيرة، كانت لنا ترويحاً عن النّفوس، وتنفيساً عن الهُموم.

لقد فقدتُ بموته أخاً عزيزاً وصديقاً صدوقاً، غمرني بفضله وكريم خُلُقه وصادِق مودّته

ويسرّني أن أشارك في هذه المناسبة الكريمة بهذه القصيدة التي تعبّر عن بعض ما أكنّه لهذا العلم الكبير من تقدير وإجلال ومودّة.

أسأل الله تعالى أن يتغمّده بواسع رحمته ومغفرته ورضوانه، وأن يجزيه خير الجزاء وأوفاه على ما قدّم من عملٍ صالحٍ وعلمٍ نافعٍ، وأن يجبُر مُصابنا الجلَلَ فيه.

يـا أيّهـا الجـمعُ الكـريمُ تحـيّةً
مِنّـي تُـزَفُّ لكُـم بِبَعـضِ رِثائِـي

إنّـي لأشـرُفُ بالحُضـورِ مُشـارِكاً
بقصيـدةٍ جـاءَت على اسـتحياءِ

جُهـدُ المُقِـلِّ بِحـقِّ طَـودٍ شـامخٍ
مِـن مُخلِـصٍ يَرعـى قَديـمَ إخـاءِ

أنعـي العَميـدَ ومَـن تألّـقَ نَجمُـهُ
عَـبَّـاسَ نَجـمَ الفِكـرِ والأُدبَـاءِ

قـد كَانَ لي نِعـمَ الصَّديـقِ أُجِلُّـهُ
وأفـيدُ مِـن عِلـمٍ لـهُ مِعـطـاءِ

فهـوَ النّبيـلُ ومَـن نمـاهُ أماجِـدٌ
ورِثـوا المـكارِمَ مِـن كريـمِ إنـاءِ

ولسَـوفَ أذكُـرُهُ وأشـكُرُ فضلَـهُ
وأُبَجِّـلُ الذِّكـرى بِـكُلِّ وفـاءِ

أدعُـو لـه الرّحمـنَ يُعـلي قَـدرَهُ
حتّـى يـنالَ مَراتِــبَ الـشُّهــدَاءِ

في جَـنَّــةٍ يَحيَـا بِهـا متـنَـعِّــماً
يَلقـى بِهـا الحُـسـنى وخَيـرَ جَـزاءِ

ولأُختِنـا بِنـتِ الـكِــرامِ حَميـدَةٍ
ولآلِـهِ الفُـضَلاءِ حَسـنُ عَـزاءِ

إن مـاتَ عَبّـاسٌ فليـسَ بِغائِـبٍ
فَـتُـراثُــهُ بَــاقٍ مَـعَ الأحـيَـــاءِ

سـيظلُّ عَــبّاسٌ عَــميداً خــالِداً
في مَغـربٍ يُعطـي كَريـمَ عَطـاءِ

هُـوَ كَوكَـبٌ في العِلـمِ قَـلَّ مَثيلُـهُ
ولِفاضِـلِ الأخلاقِ خَيـرُ وِعَـاءِ

قَـد حَـازَ سَـبقاً فِي المَعـارِفِ مُبْهِـراً
وتواضُـعاً هُـوَ مَسلَـكُ الفُــضَلاءِ

وبِمجلِـسٍ فيـهِ الثّقافـةُ تُجتَنـى
نـادِي الجِـراري قِبلَـةِ العُلمـاءِ

قَد ألَّف العَشَراتِ مِن كُتُبٍ غَدَت
أصفَـى المَناهِـلِ في مَسـيرِ بنـاءِ

أنعِيـهِ في حُـزنٍ يَطـولُ وخافِقـي
مِـن ذاكَ بيـنَ تـألُّــمٍ وعَـنــــاءِ

وأراكُـمُ مـثلي حــزانـــى كُلُّكُـم
مِـن فَقـدِ عبّـاسٍ بِلا اسـتثناءِ

وبِـذا تبيّـنَ مـن بَكَـى مُتألِّمــاً
مِمّـن تبَاكَـى في مَحَـلِّ بُـكاءِ

واليـومَ نُحيـي ذِكـرَهُ وعطَـاءَهُ
ونُعيـدُ بالذّكـرى بهـيَّ ضِيـاءِ

كَـم كَانَ بَينـي في القَصيـدِ وبينَـهُ
مِـن بيـتِ شِعــرٍ مُبـدَعٍ وغِنـــاءِ

ومَواقِـفٍ فيهـا الوَفـاءُ مُوشَّـحٌ
بالنُّبـلِ مِـن شَهــمٍ نَقِــيِّ رِداءِ

حَفِـظَ المَـودّةَ صادِقـاً في وِدِّهِ
في حِيـنِ ضيَّعهـا رَبيـبُّ رِيـاءِ

ولَقـد فقَـدتُ بموتِـهِ مَـن كانَ لي
صِنـوَ الفُـؤادِ وأطيَـبَ الخُلَصـاءِ

يـا رَبِّ أدخِلـهُ الجِنـــانَ برحـمَــةٍ
تمحُـو الذُّنـوبَ فأنـتَ كُلُّ رَجائِـي

واربِـط على قَلـبِ الكريمَـةِ أختِنـا
بنـتِ الكِـــرامِ وأهلِـها الكُـــرَمَاءِ

وبَنيـهِ مَـن رَبّـــى بِـكُلِّ عِنايـةٍ
وارزُقهُـمُ صَبـراً عَلى الأرزَاءِ

وارزُق مُحِبِّيـهِ النّبـاتَ فإنَّهُـم
فَقَـدوا عَميــداً نَـادِرَ المُـثَلاءِ

ولَعَـلَّ نادِيـهِ الّـذي قَـد زَانَـهُ
يبقـى نَدِيّـاً دائِــمَ الإعطـاءِ

وأدِم بِلُطفِـكَ يـا إلَـهــي ذِكـرَهُ
بيـنَ الأحبَّـةِ واسِـعَ الأصـدَاءِ

واحفَـظ بِحِفظِـكَ مَغرِبـاً مُتَـأصّلاً
في المَجــدِ رَغـمَ تَآمُـرِ الأعـدَاءِ

مهـدِ الحضـارةِ والمفاخِـرِ والـعُلا
مَـن عِـشــتُ فيـهِ ببَهجـةٍ وهنَـاءِ

وعرفـتُ فيـهِ أفـاضِلاً وأكـارِماً
هُـم صفـوةُ العُـقلاءِ والحُكمـاءِ

هـوَ مَغـرِبٌ لكِـن بِفِكـرٍ مُشـرِقٍ
يَزهــو بِـهِ في سـاحَةِ الفُرَقـاءِ

فَلَـهُ عليَّ مِـنَ الوفـاءِ أمانَـةٌ
ثَقُلَـت وأرجـو حَملَهـا بِكِفـاءِ

وصَلاةُ ربِّـي والـسّلامُ على الّـذي
بالحَـقِّ جَـاءَ يُنيـرُ كُلَّ فَضـاءِ

رحيل عباس الجراري
بُنيان قومٍ تَهدّم

محمد احميدة
أستاذ التعليم العالي-جامعة ابن طفيل
كاتب عام النادي الجراري

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بهذه العبارة، كان أستاذي أميرُ البيان، يفتتح أحاديثه، حينما يعتلي صهوة الكلام، في اللقاءات الثقافية، والندوات العلمية.

واليوم يكون بها مُفتتح كلامي، وأنا أحكي عن علاقتي بأستاذي، عبر فترة زمنية نيَّفت على نصف قرن من الزمن، منذ أن كنتُ طالباً، أختلف إلى محاضراته خلال الموسم الدراسي، سنة سبعين وتسعمائة وألف، من القرن الماضي، والتي امتدّت واستمرت إلى يوم الواحد والعشرين من شهر يناير من هذا العام (2024)، حين طبعتُ على جبينه قُبلة الوداع وهو مسجَّى، بلَّلَتْهَا دموعٌ ما كان لمنْع تَذْرافِها سبيلا، وأنا الذي كنتُ أظنّ أنّني بُنيتُ على صبر، دَعَوْتُه، «أجاب البُكا طوعاً ولم يُجِبِ الصَّبْرُ»[5].

5 من بيت للعباس بن الأحنف.

تَماسكتُ، واتخذتُ من الآي الكريم سندي، فحلَّ الصبر الجميل، مرتِّلاً يقول: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾[6].

أستاذي الجليل، اليوم -وأنتَ الذي كنتَ لي ظِلّاً وشمساً- إن رثيتُك، فإنّي أرثي أحدَ نواصي القوم، وصاحبَ نسب في الأكرمين عريق، أرثي عفَّ الشمائل، ومن كان ميزان مبرّاته راجحاً ومَشورتُه عريَّةً عن الارتياب، نديَّ الكفين، وخِوانُه ربيع، مُشْرعَ باب السماحة، وفواضلُ كفِّه على النّاس، عددَ الحصى.

ولما كان فِناء عطاء العميد فسيحاً، تعذرتِ الإحاطة، فسيَّجتُ كلامي في بعض ما رُويَ عنه.

حدّثنا أبو الربيع سليمان الموحّدي قال: «أزورَّ عنّي العبّاس بداية، يبغي قصيداً ملحوناً، ثم تأنَّى، فولَّى وجهَه قِبَل المشرق، يُعلي صوت بلادي في أرض الكنانة، باسطاً شموخَ المغرب الإمبراطوري لأهل المشرق، مذكِّراً بتاريخ عريق، ودولةٍ موحّدية تحكي شهامةً وروحَ نجْدة، وهي فضيلةٌ دوَّنها الزمن، وصدح بها الشعراء، وشَدَا بها العميد «صُبابة أندلسية»[7].

أصاخ أشياخ الملحون لما رواه أبو الربيع، ثم نطقوا بعد أن نسجوا «سرَّابةً»، مُلئت فخاراً، وأنشدوا:

ما كان شعرك يا أمير، سوى لحظة عبور العبّاس، إلى ما كان يُمنِّي به النفسَ الأمَّارة بالأصيل الأثيل، قصيداً ملحوناً، يراهُ هُويةً ومَكْمنَ عبقرية المغاربة في باب جمالية القول.

تحدث أستاذي عن الملحون، ليُظهرهُ على القول كله، ولو كره المعاندون !

فرسَّخ له نسباً شريفاً، وغدا كتاب «القصيدة» نصّاً مرجوعاً إليه، وأمسى كل حديث عن «ديوان المغاربة»، لا يُجبَر إذا أُغفل الحديث عن «القصيدة العباسية»، والفرعُ لا ينبُت إلّا على أصل، والثَّمَرُ لا يُجنى على غير غِراس.

واليوم تختال «قصيدة الملحون» في أطول ذيل، وتميس، فقد زفَّها العميد في بهاء، بعد أن مشى إليها والزّمنُ فتًى، والعرفانُ قليلٌ، فاحتضنها «اليونسكو» في إهاب إنسانيّ أصيل

6 سورة المعارج، الآية 5

7 عنوان كتاب للأستاذ عباس الجراري.

عباش البسَّامُ، يا موئل الشمائل «الحميدة»، كنتَ دوماً «ألوفا» للمكارم، راغباً فيما «حُمِّد» من آلاء، وذِكْرُ أفضل الخلق، على لسانك جارياً، شادياً بـ «عُلا» وطنك وفضائلك «تريم» على ما بيد الغير، سعياً لتحقيق ما يُرضي الباري تعالى ؛ لكل ذا، كان فقدُك عنيفاً...!

تخطّ يميني بعضَ ما تُجنُّ عليك جوانحي ألماً، وكنتُ أبغي، وأنا أخاطبُ روح سلطان البلاغة، وصاحب «البيان المُعرب»، أن أكون بالمقصود وافيا، وللغليل شافيا، لكن، قَصُرت العبارة !

وكيف لا أصابُ بالعيِّ وحُبسةِ اللسان، في موقف اضطرب فيه إيقاع القلب، وانزاح الكلمُ عن الكامل الوافر، إلى مجزوء بعِلّل ؟!

فغدا التلميح ينوب عن واسع العبارة.

عميدنا الراحل:

لَئِـن حَسُـنت فيـكَ المراثـي وذكرُهـا * فقد حَسُنت من قبلُ فيكَ المدائحُ[8]

قالوا: رحلتَ !

أكذِّبُ فيكَ سمعي !

فأنتَ المقيم بين شَغاف القلب، بفتحها لا بكسرها كما انكسر خاطري، وسُقيا لمثواك الذي ضمّ صدراً مليء آيا حكيما...

ما كان رحيل العباس رحيلَ واحد، «ولكنَّهُ بنيانُ قومٍ تهدَّما»[9]

عزاءً يا وطني.

8 بيت لأشجع السُّلمي، شاعر عباسي.

9 من بيت لعبَدة بن الطبيب، شاعر من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خير المرسلين

عبد الكريم بناني
رئيس جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة

أصحاب السعادة والفضيلة،
حضرات السيدات الفضليات، حضرات السادة الأفاضل.

يصعب عليّ الحديث في هذا المجلس الموّقر بعدما استمعنا إلى كل هؤلاء الرجال والنساء الكرماء، وقبل أن نستمع إلى رجال ونساء آخرين في حقّ فقيدنا الأستاذ سيدي عباس الجراري. يصعب الحديث عن رجل من طينة فقيدنا وفقيد المغرب، وفقيد الثقافة العربية والإسلامية سيدي عباس الجراري لما كان للرّجل من مكانة مُتفرّدة في عالم الفكر والأدب والثقافة، وسأتحدث فقط عن جانبين من الجوانب التي عشتها إلى جانبه، وهما: الاهتمام باللغة العربية، ثم الاهتمام بالنادي الجرّاري.

فالأستاذ عباس الجراري من الرجال المشاركين، ومن أولئك العلماء الذين بصموا الثقافة المغربية والعربية والإسلامية ببصماته العميقة والمتفردة، اهتماماته مترابطة ومتجانسة في إطار مشروع فكري حداثي متكامل، وأُسّ هذا المشروع الفكريّ: اللغة العربية، إذ كان والده، رحمه الله، قد سهر وألحّ على تعليم أبنائه اللغة العربية إلى جانب من لقّنوهم هذه اللغة والثقافة والعلم بصفة عامة من طرف أساتذة، أثابهم الله. فإن حبّي شخصيا وشغفي وتعلّقي واهتمامي باللغة العربية تقوّى وتعمق من خلال مجالساتي للفقيد الأعز

سيدي عباس، رحمة الله عليه، ومن خلال كذلك قراءاتي لكتاباته المتعددة، وصل هذا الحب حدّ العشق للغة العربية. وأذكر أنه كان، رحمه الله، يُصحّحُ العديد من الأخطاء الواردة في بعض الكتابات والإلقاءات الشفهية، خاصة الواردة على لسان بعض الصّحافيين وليْس الصُّحُفيين، كما كان يصحّح دائماً أو يشعر بالاشمئزاز من كلمات مشوّهة مثل العِلَاقَات بدل العَلَاقَات، التي أصبحت دخيلة على اللغة العربيّة من قبيل الصِّحافة وليْس الصَّحافة، والعَلَاقَات وليْس العِلَاقَات، مع كامل الأسف، والاقتناع في موضعه بدل القناعة، فأصبحنا اليوم نَسْمع القَنَاعة أكثَر من الاقْتِناع وكأنّنا نقْنع بما نقول أو بما نستمع إليه وبما نُفكّر فيه بيْنما هُوَ اقتناع، ورَغْمَ بَدَلَ رُغْمَ ولَوْ أنها صحيحة لم تكن مستعملة في المغرب، وما إلى ذلك من الأخطاء الشائعة في أيّامنا هذه.

وأذكُرُ أنّه أستاذ، وأنا كنتُ دائما أناديه بالأستاذ علما منّي بأنّه أُستاذي تلقيتُ منه العديد من المعارف، وخاصة الأدبية واللغوية، فكانت لي مُساجلات كثيرة معه رحمه الله، صحّحتُ بها الكثير من المفاهيم اللغوية، ولكن الشيء الكبير الذي استفدتُ منه هو هذا العشق، عشقي للغة العربية لغة القرآن، وعشقي لما كان ينتجه رحمه الله، من أفكار جديدة وحديثة، ولكن مركبة على الموروث الحضاري والثقافي الصّرْف، بعيداً عن الانحرافات التي نشهدها اليوم في أوساطنا الشبابية على وجه الخصوص، وهنا تحضرني قصة وقعت بيني وبيْنه، سأكون مختصراً جِدًّا لأنّ الحياة التي عشتها مع الأستاذ عباس، رحمه الله، غنيّة وشيقة، وجميلة، لكن سأُفْرِدُ بعض المسائل التي أثّرت في وهي أنّنا لما أسّسنا الجمعية «جمعية رباط الفتح»، كنّا نسمّيها طبعاً «جمعية رباط الفتح للتنمية الثقافية والاجتماعية والبيئية والاقتصادية»، ولكن سنة 2003، غيّرنا النهج وأصبحت الجمعية «جمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة». وهنا ستقوم القيامة على كلمة «المستديمة»، فكانت هناك احتجاجات، توصّلنا بالعديد من المكاتبات يقول أصحابها هناك خطأ في التعبير «التنمية المستديمة»، ويجب أن نُسمّيها «المستدامة»، لكن الأستاذ الجرّاري كتب مقالاً من صفحتين يَصعُب عليّ الآن أن أُورِدَ ما جاء في هذه الوثيقة التي أحتفظ بها، لكنّني سأُعرّفكم بها إن شاء الله مستقبلاً بالندوة التي ستُنظمها جمعية رباط الفتح، إن شاء الله، بعد رمضان في إطار «أمسية العرفان والاعتراف للأُستاذ سيدي عباس الجراري»، ولهذا توالت اتصالاتي بأولئك الشخصيات المهمة ومنهم شخصية علمية كبيرة في البلد وشخصية من الدولة لمّا بعثتُ إليه بهذه الوثيقة كلّمني بعد ذلك وقال لي: إذا كان الأستاذ عباس هو من نطَق بها فلا رجْعة فيما قيل قبل ذلك ونبيُّنا عليه السلام.

قضية الأمازيغية من القضايا التي أثارتني فبعضهم كان يعتقد أنها قضية «طابو» بينما الأمر غير ذلك، وبرز ذلك في اهتمامات الأستاذ عباس الجراري سواء باقتراحاته وتأطيره أو بإشرافه على الأطروحات الجامعية كما جاء في إحدى مداخلات الأستاذ عمر أمرير. لكن الأستاذ الجراري لم يكن موافقا على كتابة الأمازيغية بما يُسمّى بحرف «تيفناغ»، وطالب غير ما مرّة، وحضرتُ له محاضرتين كرّر مراراً أنه كان من الواجب أن نكتب الأمازيغية بالحرف العربي وهو الذي كان سائراً في جميع رسوم الثقافة المغربية. والأستاذ العثماني شاهدٌ على هذا، وكتابات كثيرة أمازيغية، وبالخصوص بإقليم سوس كانت تُكتب بالحرف العربي، إلّا أنه مع كامل الأسف... بقيت هذه القضية في ضمير أستاذنا رحمه الله.

وكان يقول: كان من الأفضل أن نكتب الأمازيغية بالحرف العربي حتي يسهُل على الجميع أن يتكلم ويقرأ الأمازيغية، ولو أنها قد تكون لغة مِعْيَارِيّة، وكان من الأفضل أن تُكتب بالعربية حتى يَسْهُل كذلك تعليمها للطفل المغربي، كما كان ممكنا أن نختصر الكثير من الوقت والجهد. لو كتبت اللغة الأمازيغية بالحرف العربي لكنّا قد ربحنا سنوات طوال مما أضعناه الآن، وكنّا نقول دائماً بأن المشكل هو هيكلي أو سياسي أكثر منه تقني، المشكل هو تقني فقط، لأن جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، أرسى دَعَائِمَ هذه الثقافة الأمازيغية وجعلها من مكونات الهوية المغربية. وذلك ما كان يدافع عنه باستماتة أستاذنا سيدي عباس رحمة الله عليه.

الآن أعود إلى النادي الجرّاري في الشّق الثاني من هذه الكلمة، وكنتُ أحضر في بعض الأحيان بعض حلقاته، لكن فوجئت يوماً بأن الموضوع كان حول كتاب للأستاذ الفاضل عُمر أمرير، وهو: «التعريف الأمازيغي لجذور الديمقراطية في المغرب»، طبعا كان حديثه كله باللغة العربية، مع علمي باهتماماته المتعددة، وكون الثقافة الأمازيغية مكوّن أساسي من الهوية المغربية.

كان رحمه الله يدافع عن ذلك ويقوم بإِقْحَامِ هذه المواضيع في جلسات النادي الجراري، ناهيك عن دراسته المعمّقة لقضية الهُويّة، تكلّمنا عن الهوية بالنسبة للأمازيغية وعلاقة اللغة العربية بها، ولازلنا نتحدث عن اهتمامه باللغة العربية وعلاقتها بهذه الهُويّة، والرؤية التي أوضح مَعَالِمَها بعد أن برزت للوجود مظاهر العولمة، ويشارك كذلك بموضوع العولمة وتأثيره على هوية المجتمع المغربي، ونحن الآن «هَادْشِي راه بداية التسعينيات ونهاية الثمانينيات من القرن الماضي» ونعيش اليوم هذه الأزمة، أزْمة المجتمعات من خلال ما ترتب عن العولمة.

هذه العولمة التي أبرز في العديد من مؤلفاته ما ترتَّب عنها من طمس في المكونات، وفي مقدمتها اللغة العربية.

بعد سنوات قليلة من الآن سيكتمل قرن لهذا النادي العريق من الحضور، والوجود، والإبداع وتوثيق الفكر والثقافة المغربية، وقد يتبادر للذهن، خصوصا لمن لم يحضر ولم يشارك ولو في حصّة واحدة، أن النادي كان له توجّه واحد وهو التوجّه الأدَبي والشعري واللغوي، وما إلى ذلك ... وهو شيء صحيح، لكن الأستاذ رحمه الله انفتح على مواضيع الساعة والعلوم العصرية والمستجدات الاقتصادية والتكنولوجية، ويَحْضُرني هنا أنّني حضرتُ ذات يوم، وكان الموضوع ماليا صِرْفاً ودار حول القروض البنكية، هل هي حرام أو هَل هي حلال ؟ ولكن كانت هناك مناقشة حبلى بالعمق والتحليل والمستجدات من خلال الإضاءات التي كنّا نجهلها، استفدنا منها الكثير. نفس الشيء حدث في حلقة الطب، وخاصة طب الدماغ، لم أحضر هذه الندوة، لكن المحاضر وهو أستاذ طب مغربي قدّم عرضه باللغة العربية الفصيحة، وبكامل الوضوح استفاد الجميع من أن اللغة العربية في مقدورها أن تكون لغة العلم والبحث والتكنولوجيا.

كما أن حلقات كثيرة نظمت حول الاقتصاد الإسلامي، وهو ما نَتجَ عنه في السنوات الماضية القريبة ما يُسمّى اليوم بالاقتصاد التشاركي والأبناك التشاركية. في هذا الباب، أتمنى من صميم قلبي أن يستمر النادي الجرّاري بالحضور وبالوجود، واستمراره سيكون استمراراً لروح الفقيدين المؤسّس عبد الله الجرّاري ومَن حمل المشعل بعده الإبن البار سيدي عباس، سيكون صعبا على مريديه وأصدقائه وتلاميذه، الالتقاء والاجتماع ومكان رئيسه فارغ. لكن في استمراره تعبير على حبّنا وتقديرنا وتمسّكنا بسلوك سيدي عباس الجراري، وعلمه، ومواقفه الرائدة رحمه الله، وليس ذلك بعزيز على رفيقة دربه الأستاذة الفاضلة حميدة الصائغ، أطال الله في عمرها، فأعتقد أنها يمكن أن تعتمد على تلاميذه وأصدقائه وعلى مَن كانوا ينشطون هذا النادي العتيد، وكَمْ هُمْ كثيرون والحمد لله.

أيها السيدات والسادة،

افتقدناك يا عبّاس يا زهرة الآس، رحيلُك آلمنا وأجّجَ أوجاعنا، كنتَ نسيجاً رفيعا وعجيباً، كنتَ نسيجاً رفيعاً وعجيباً (ماشي من الأُعجوبة ولكن من الإعْجَاب) من حرير وقطن وصوف. أبدعَ لنا روائع الفكر المغربي الحديث، نقول نحن المغاربة، ونحن مؤمنون

بالله تعالى، مؤمنون و»قابطين في دينّا وفي نبينا صلّى الله عليه وسلم: الموت علينا حقّ والفراق صعيب)».

أثاب الله فقيدنا العزيز على كلّ ما أسدى للعلم والفكر والثقافة المغربية والإنسانية من خدمات جُلّى. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يليق بجلال ربوبيته،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين

كلمة الأستاذ نور الدين اشماعو
رئيس جمعية أبي رقراق
ألقاها بالنيابة عبد المجيد فنيش
الكاتب العام

حضرات السيدات والسادة، كل فرد بإسمه وصفته،

إن جمعية أبي رقراق، باعتبارها الصوت المدنيّ الجامع منذ أربعة عقود لفسيفساء نخب سلا، لتجدّد التأكيد على أنّ برحيل الفقيد الغالي الحبيب «سيدي عباس الجراري»، قد فقدنا دعامة باذخة من دعامات هُوية جمعية أبي رقراق، التي ستظل تعتزّ بالموقع الخاص الذي تبوّأته في وجدان عزيزنا سيدي عباس، الذي وفقه الله في أن يجمع في هواه بين الشقيقتين التّوأم جمعيتي رباط الفتح وأبي رقراق.

إننا اللحظة في سعي المقل غير المقتدر، نستجمع درر قواميس الوفاء، لعلّنا نبلغ مبنى ومعنى قد يقف عند عتبة ولوج عالم صرح هذا الرجل، الذي حظاه الوهّاب سبحانه، فأودع فيه أبهى وأطيب وأزكى ما تفرّق في الغير.

حضرات السيدات والسادة،

إن حديثي الآن، إليكم، ما هو إلّا من مسعانا في أن نجد موضع قدمٍ في رحاب شهادات وفاءٍ، من نساء ورجال من القامات السامقة، في ذكرى أربعينية معلَمة الثقافة المغربية

العربية، وكيف لنا أن نرقى إلى مصافّ هاتة الثلّة من الأعلام، مهما أجهدنا الأنفُس ؟

لهذا، ولتحقيق المزيد من فرص التعبير عن مشاعر سلا في الخَطب الجلل، فإننا شرعنا، بإذن الله وتوفيق منه، في الإعداد لمساهمات متنوعة في اللقاء الذي ستنظمه الشقيقة جمعية رباط الفتح، في بداية ماي المقبل، كما قرّرنا إطلاق إسم فقيدنا الأعزّ على الدورة 14 لمهرجان مقامات بمدينة سلا، في الأسبوع الأخير من ماي كذلك.

هذا، ومعلومٌ لديكم أن مهرجان مقامات قد تميّزت جلّ دوراته بالحضور الفعال المؤثر لحبيبنا العباس.

فشكراً جزيلاً للعزيزات والأعزاء أعضاء النادي الجراري على هاته اللحظة الإنسانية البليغة، جزاكم الله جميعاً خير الجزاء، مع تجديد التعبير عن افتخارنا بأننا في جمعية أبي رقراق كنّا قد افتتحنا الدورة 12 لمهرجان مقامات، بحفل أدبي فنّي كبير، احتفاءً بالذكرى التسعين لتأسيس هذا النادي الشامخ، كهدية من سلا إلى الرباط، عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي، والثقافة الإفريقية آنذاك.

نلتقي بإذن الله في ماي، في محطات وفاء أخرى، لروح هذا الذي يزداد حضوره بهاءً رغم الغياب.

نسأل الله الكريم أن ينعم على روح فقيدنا بواسع المغفرة، ويشمل نزله بالرحمة والرضوان في جنات الفردوس الأعلى، ويلهم كل أفراد الأسرة الصغيرة والأسرة الكبيرة جميل الصّبر، وعميم السّلوان.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

عبد الواحد بنمسعود
المحامي بهيئة الرباط
سفير صاحب الجلالة سابقا

خير ما يفتتح به، قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَبشّرِ الصّابِرينَ الّذِينَ إذَا أصَابَتهُم مصِيبَةٌ قَالُوا إنَّا لله وإنَّا إلَيهِ رَاجِعُون﴾.

سيدتي أرملة الفقيد الغالي، عميد الأدب المغربي، الخطيب المفوّه، مربّي الأجيال، المستشار، العلامة ومن ورثة الأنبياء، الدكتور عباس الجراري، تغمّده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّاته.

وفي مناسبة تأبينه، أجدّد لأرملته الموقرة ولأنجال الفقيد البررة، ولجميع أفراد أسرته الكريمة، أحرّ التعازي وأصدق عبارات المواساة، مبتهلاً للحقّ سبحانه أن يلهمنا جميل الصبر والسلوان، ويجعل من اختارهُ لجواره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبجانب الأنبياء والصالحين والشهداء، وحسُن أولئك رفيقا.

السيدات والسادة،

الحضور الكريم،

بقلب مكلوم وألم الفراق، أشارك بمداخلة في تأبين أعزّ صديق وأوفى وأكرم رفيق، ونعم الصحبة خلال مسيرة دراسية جامعية في بلاد الغربة.

محور مداخلتي، شهادة عن أحداث عشناها معاً، بسرّائها وضرائها، شهادة ستبرز ما كان يتحلى به المرحوم، وهو في مرحلة التكوين الجامعي، من خصال حميدة ووفاء لروح الصداقة المتينة، وتشبث بالقيم والثوابت والاعتزاز بالانتماء لوطنه.

ولكن، ما عساني أقول في هذه الشهادة، بالنسبة لما كان يتحلى به المرحوم، مع ما جاء في رسالة التعزية التي بعثها صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله وأدام عزه، لأسرة الفقيد، وفي تلك الرسالة الملكية أشاد العاهل الكريم، ونوّه بخصال وكفاءة الراحل، وما كان يحظى به من احترام وتقدير كبيرين من لدن المثقفين والأكاديميين في المغرب، وفي العالم العربي والإسلامي، إلى ختام ما جاء في الرسالة الملكية.

سيداتي، سادتي،

لقد أسعدني الله تعالى وأكرمني بمعرفة وصداقة المرحوم، منذ سنة 1956، وكان اللقاء في القاهرة لمتابعة الدراسة الجامعية، وعشنا في منزل واحد، وتحت سقف واحد، لمدة خمس سنوات.

شهادة بقوة شخصيته وهو في ريعان شبابه، وصلابة مبادئه، وغيرته على سلامة الأوطان العربية والإسلامية، تلك المبادئ أكّدها المرحوم في كتابين: الأول، كتاب يحمل عنوان: «رحيق العمر»، والكتاب الثاني، بعنوان: «طفولة قلم».

وقد شرّفني المرحوم بأن قدم لي نسخة من الكتابين، ومما ورد في كلمة الإهداء: «**مع أخلص عبارات الاعتزاز أيام زمان**»، الرباط في رجب 1442هـ الموافق 8 مارس 2021م.

فما هو المقصود بقوله، يا ترى، **بعبارة الاعتزاز بذكرى أيام زمان ؟**

المقصود أولاً: الموقف المشرف للطالب المغربي عباس الجراري من العدوان الثلاثي الإسرائيلي والفرنسي والإنجليزي على مصر.

ألتمس منكم، سيداتي سادتي، أن تطلعوا على تفاصيل ذلك الموقف الذي يشرف شباب المغرب، في الصفحة 135 وما بعدها من كتابه «طفولة قلم»، حيث تطوع فقيدنا العزيز في

جيش التحرير المصري مع مجموعة من الطلبة المغاربة، وفي ذلك الكتاب، ألقى على نفسه السؤال التالي: **لماذا تطوّعنا في جيش التحرير المصري ؟**

أجاب المرحوم عن سؤاله، بما كتبه لوالده في رسالة أرسلها لوالده الفقيه العالم السيد عبد الله الجراري، وتلك الرسالة نشرتها جريدة «العلم»، العدد 2706 بتاريخ 2 نونبر سنة 1957. ومن تلك الرسالة، أذكر فقرة جاء فيها: نتطوع في جيش التحرير، فنكون كتيبة مراكشية تقف إلى جانب كتائب الدول العربية الأخرى، نشرف بها وطننا، ونظهر شجاعة أبنائه النادرة، ونبيّن بها استياءه من العدوان الغاشم، وتضامنه مع شقيقته مصر، فيبرز تكتل العرب في أبهى مظاهره. وختم الرسالة بقوله: هل نخوص المعركة ؟ نعم، لأننا قوم شرفاء، نشرف أنفسنا ووطننا، أمناء نردّ ما علينا من سلف ودين، وبهذه الروح خضنا المعركة.

فعلاً، كانت مشاركة الطلبة المغاربة في القاهرة في جيش التحرير، وهم في عنفوان الشباب، عبارة عن أول تجريدة مغربية تشارك في صدّ العدوان عن مصر الشقيقة، ولما وضعت الحرب أوزارها، واعترافاً بذلك التضامن، صدر قرار جمهوري بقبول جميع الطلبة المغاربة في المدارس والمعاهد والجامعات المصرية، كل طالب حسب رغبته وميوله وتطلعات تخصصه.

المقصود ثانياً بذكرى زمان: ورد تفصيله في كتاب «رحيق العمر»، الصفحة 95 وما بعدها، ثم الصفحة 137 وما بعدها، وعنوانها «مع أسرتي الصغيرة: زوجتي والأولاد».

نعم، مع الزوجة الصالحة المخلصة، التي وفرت لزوجها الظروف المناسبة ليتفرغ لمهامه، وتربية الأجيال، الزوجة المثقفة، الخبيرة في العلوم القانونية، والمحامية اللامعة وهي تمارس تلك المهنة.

المرحلة الثانية كانت مرحلة حرجة:

ذلك أن المرحوم ألمّت به وعكة صحية، خلال السنة الدراسية الأخيرة، في ثانوية مدرسة التحقنا بها تسمى «المدرسة الحسينية» تقع بحيّ العباسية بالقاهرة.

ونصحه الأطباء بالدخول إلى مستشفى يقع بمدينة الإسكندرية، لتلقّي العلاج. ولما شعرت أن صديقي وجاري وأن مدة العلاج قد تطول، ويكون لها تأثير سلبي على دراسته ونجاحه، جمعت كتبه ومقررات الدراسة وسافرت إلى الإسكندرية، وقمت ببحث لمعرفة

عنوان المستشفى، وكانت المفاجأة لما دخلت عليه في غرفة العلاج، فاستبشر بهذه الزيارة، وقدمت له الكتب ومقررات سنة الحصول على شهادة الثانوية العامة، وهي مفتاح الالتحاق بالجامعات في مصر، وغمره شعور الارتياح، وشكر المبادرة، وبعد الاطمئنان على وضعيته الصحية ودّعته ورجعت من حيث أتيت.

النجاح برتبة عالية:

انكبّ فقيدنا العزيز، رغم ظروفه الصحية، على دراسة المقرر، ولما منّ الله عليه بالشفاء، شارك في امتحان الشهادة الثانوية العامة -الباكلوريا- ونجح نجاحا باهراً، وكانت رتبة نجاحه الرتبة الرابعة، وكان عدد المرشحين سبعين ألف طالب وطالبة.

التكريم:

لقد تبوّأ الفقيد المقعد العلمي العالي، وأهّله للتكريم على الصعيد الوطني والإسلامي، حيث حصل على الأوسمة والجوائز التكريمية بمساهماته العلمية والأدبية، من أبرزها وسام الاستحقاق في مصر، وأوسمة العرش الملكي من مختلف الدرجات، ووسام من جمهورية تونس، ووسام منظمة الإيسيسكو، ثم وسام الكوكب الأردني.

سيداتي، سادتي،

لربط الحاضر بالماضي، والغصن اليانع بالشجرة الباسقة، أذكر، قبل الختام، بفقرة من كلمة التأبين التي ألقيت في الذكرى الأربعينية لوفاة والد الفقيد الفقيه العالم الهمام المرحوم عبد الله الجراري، وجاء في تلك الفقرة: «يعزّ عليّ أن أقف اليوم مؤبناً أخا عزيزاً، وزميلا كريماً، عرفه المغرب منذ نحو أربعين سنة، مجاهداً بالكلمة المؤمنة والسيرة الحسنة والقدوة الطيبة والسلوك المترفع، لا يتردد في نشر العلم والعرفان، والدفاع عن الإسلام والإيمان، وتنشئة الأجيال على أقوم ما تكون التنشئة الصالحة ديناً وتربيةً وتكوينا وتعليما. ذلكم هو الأب الذي سلّم المشعل للإبن، فحمله بأمان وإخلاص، وزاد بمواهبه في وهج شعلته وإشعاعه».

وختاماً، نكرّر الدعاء لفقيدنا بالمغفرة والرضوان، والسكنى في خير الجنان، وبارك الله في الأنجال ليكونوا من حماة المغرب أعز الأوطان.

صورة تذكارية
للأستاذ المرحوم مع بعض رفاقه في القاهرة
قدمها ذ. عبد الواحد بنمسعود إلى أرملة المرحوم

بسم الله الرحمن الرحيم

أربعينية عباس الجراري

المختار النواري
شاعر
مؤسس منتدى الأدب لمبدعي الجنوب - تارودانت
عضو النادي الجراري

الحمد لله الذي جعل الخلق تحت طائلة الفوت، وصير الأرواح في قبضة مَلَك الموت، وكان حكمه من غير مراجعة: «كلُّ مَن عليها فانٍ»، ولم ينج منه مخلوق قاص أو دان، وسير الهدم إلى كل ما بناه بانٍ، سبحانه هو الحيّ، يطوي العالمين طيّ، قرن بين الحياة والموت، وجعل ذلك سرّاً أودعه في أسمائه وصفاته، فتسمى -جلّت أسماؤه- بالمحيي المميت، المبدئ المعيد، المقدّم المؤخر، الأوّل الآخر -تعالى وعلا علّواً كبيرا- ثم الحمد لله الذي لم يزل لأرضه ومن عليها وارثا، ووعدنا ووعده الحقّ أنّه ضامن للقيانا يوما باعثا، وقرر لوجودنا بعد الحياة والموت وجودا ثالثا.

والصلاة والسلام على شفيع الورى والأنام، فقيد الأمّة، ومزيل الغمّة، وجامع اللّمة، وشاحذ الهمّة، الذي واجه وفاته مواجهة مؤمن مصطبر، وبيقين محتسب معتبر، فقد رُوي أنّه صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال: لا تبك يا بنتاه، قولي إذا مت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، فإن لكل إنسان مصيبة معوَّضة، وعن أم سلمة -رضي الله تعالى

عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أُصيب بمصيبة، فقال كما أمر الله: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واعقبني خيراً منها»، إلّا فعل الله به ذلك.

إنه المنهاج النبوي كما رُسم، وبلغه كما أمر، صلى الله عليه وسلم تسليما، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الخيرين الميامين، وعلى صحابته الكرام الأبرار، السادة الأخيار، الشرفاء الأطهار. ومنهم ابن عباس -رضي الله عنهما- الذي قال عن مثل موقفنا: «أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ: إنني أنا لا إله إلّا أنا، محمد عبدي ورسولي، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبتُه صديقا، وبعثتُه مع الصديقين». اللهم صلّ على صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة تامّة، وارحمهم رحمة عامة.

السادة الحضور الأكارم،

أسرة أخينا وحبيبنا وندينا وفقيدنا وموادنا الصغيرة والكبيرة. الصغيرة التي لا تصغر معه، والكبيرة التي لا تكبر عنه،

أصدقاء وأحبة وأوداء ومعارف وطلبة سيدي عباس، عشر الله الخطوات حسنات، وبوركته، وبورك بكم، وجازاكم من لا ينقصكم، يعطيكم ويوفيكم.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عباس الجراري والجرّاري -بالتخفيف والتثقيل- والضغطُ أليق في هذه المناسبة، لما يعتصر الصدور، ويذيب القلوب، ويضغط النفوس...

عباس الجرَّاري...

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا حبيب النّاس...

فما الذي أحدثكم به عنه، وكلّكم عرفتموه، فقد كان قلبا مفتوحا، وكتابا مصفوحا.

وفي الأمور المتعارفة، والشخصيات العامة، لا يكون هناك فرق كثير في الحديث عنها، ولكن سأحدثكم عن إحساسي بالرجل، لأنّه، فيما يتعارفه كل الناس، لن يكون هناك مجال للفرق، إلّا في ما أحسته القلوب، وتآلفت به الأرواح، وكمن في الصدور، وكان خاصا مخصوصا

أفتح هذا المقصد، وأستعين بالله وحبّي للرجل، ولقاءاتي به، وإن كانت معدودة، إلّا أنها كانت غنية بهذا الذي يميز العلاقات الشخصية، إنه الإحساس بها، والتقدير النابع منها

سأطلق العنان لقلبي، وليترجم لساني، واصبروا عليّ، واعذروني، وشفيعي هذا الحب الذي تقاسمته مع الرجل، فلم تسنح الفرصة له بالحديث عنه، ولكنها الآن ألزمتني، وها مسؤوليتي تضاعفت بأن أحدثكم عنه وعنّي، والذي جمع بيننا.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا جامع النّاس...

عباس يا عباس... الذي يطلق عبوس وارده، ويشفي علة عائده، ويغني حاجة وافده.

عباس يا عباس... الذي يقلب مرتاده إلى رائده، وتابعه إلى سائده، ويحوّل ناقص طالبه إلى زائده.

عباس يا عباس... الكَنَف العفيف، والظل الوريف، والقصد الشريف، والروح الخفيف.

عباس يا عباس... الجليس الطريف، والمضيف الحفيف، والمعتني الصفيف، والودّ اللفيف.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا مرهق الكراس، ومهرق النبراس...

لقد رفعت رأس العلوم، وأرغمت أنف الفهوم، وتعاليت عن كل ما يحوم، فكنتَ قاصدا مقتصدا، مجددا متجددا، راعيا متعهدا، حريصا متفقدا.

إنّ روحك تجلل المجالس، وتزيّن المآنِس، وتصنّف أبحاثك ضمن النفائس، ويشهد لك ما زرعته من غرائس.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا مرصّع الماس...

ستبكيكَ الجُمع وأعصارها، وليالي الأنس وأقمارها، والنوادي ومنتادوها، والندوات ومعتادوها، والعقولُ ومرتاعوها، والآداب وماتعوها، والكراسيُّ العلمية وطلابها، والغوائرُ الفكرية ورُغابها.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا زهرة الآس...

لقد كنتَ للشرق بالخير مبعوثا، وللمغرب عِلما مبثوثا، وكنتَ للرباط مرابطها، ولحيّ الرياض رياضه، ولجامعة محمد الخامس تخميسها، وللأكاديمية كادَمها، وللعربية عرابيها، وللأمازيغية ممزغها، وللملاحين لحانها، وللأزجال مزجلها، ولثقافة العَوَام عوَّامَها.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا رافع الراس، ومترع الكاس...

كنتَ للنخوة معتمِدها، وللجلالة موحدها، وللمهابة تاشفينها، ولوهدتنا زَهْرها، ولمرقانا رودانيها، وللثقافة المغربية إدريسها، وللثقافة المشرقية طارقها، ولمعارك الفكر ذهبيها، وللسفارة بطوطها، ولعلوم القرآن عطيها، وللسنة عياضها، وللتراجم خاقانها، وللأمازيغية سوسيها، وللأزجال ششتريها، وللأشعار جراويها، وللمصنفات لسانها، وللدورس عجيبها.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا شديد المراس، ومُنْهِج الأنفاس...

ستشدوكَ العفة في كل سلوك، وفي أخلاق كل مالك ومملوك، فلا تجد من يقاربك، وأحرى يقربك.

وستطلبك السماحة في مجلس كل صدر، وسماء كل بدر، فلا تعثر على من يدانيك، وأحرى يساويك.

وستنشدكَ الرجاحة في رأي كل ذي عقل، ومشورة كل ذي لبّ، ولا تقف على من يشبهك، وأحرى يعدلك.

وستقلب عنكَ الملاحة في تلطف كل لطيف، وخفة روح كل خفيف، وإشراقة وجه كل صبيح، ولا ذكر لمن يماثلك، وأحرى يطابقك.

صباحةُ الأسياد في تهلّل أساريريهم في وجه القادم عليهم، وبشرهم بطارقهم، وإقبالهم على جليسهم، وإكرامهم لضيفهم، وخدمتهم لمخدومهم، وإجارتهم للمستجير بحميتهم، وتلبية رجاء المستغيث بنجدتهم، وإسعاف المحتمي بجوارهم، وقد كنتَ سيدي عباس على ذلك، وفوق كل ذلك، وذكركَ يبقى بعد كل ذلك، يذكره الشاهدون، ويرويه عنهم الغائبون، ويحمله منهم الراكبون، ويُعْمِر به جلساتِهم المتنادمون.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا سائس النّاس...

ستطلبكَ الدواوين بعدها فلا تجد لكَ مثيلا، وتخطبكَ الكراسي فلا تصيب لك عديلا، وستبكيكَ الاستشارة حينها وبعدها ولا من يكفكف دمعها، ولا من يبرد سمعها، ولا من يهنئ جمعها، فقد كنتَ نعم المشير، وخير ما به يُشير، متعفف مستشار، وحكيم مستتار، أبيض الصفيحة، سليم الدخيلة، نقيّ الجيب، عديم العيب، مأمون الغيب، متين العهد، وفيّ الوعد، صادق الودّ، مصافي الند، طلق الشد، ليّن الرد، رخيّ السد، مجهد الكد، إن دُعي أجاب، وإن استنهض أهاب، وإن بُعث أناب، وإن أحمي أذاب، فلا يُريب ولا يستراب.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا عالي المقاس...

سيوزن الرجال بعدكَ ولن يوازونك، وسيقوَّم اللطاف في غيابكَ ولن يدانوك، وسيكال المتواضعون إثركَ بكل المكاييل ولن يقاربوك.

وسيوزن العلماء بكل الموازين ولن يساووك، وسيعير الأساتذة بمختلف المعايير ولن يماثلوك، وسيقاس الباحثون بمتفارق المقاييس ولن يعدلوك، وسيشمر الخطباء عن أدرع البلاغة فما يبلغوك.

وسيُجْهَد المصنفون باقتفاء خطاكَ من غير أن يلحقوك، وسيُتعب المؤلفون في نهجكَ حتى يُنهجوا دون أن يصلوك.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا متعِب النبراس...

إذا كانت رزية الناس فيكَ واحدة، فرزيتي فيك متعددة، أهي لشخصي ؟ أم لابني الشاعر محمد الأمين النواري، وكنتَ ترعاه ابناً، ويراك والداً، وتسأل عنه غائباً، وتحتفي

به حاضراً ؟ أم لمنتدى الأدب لمبدعي الجنوب، وبه جيش من الأدباء، الشعراء والناثرون، وكنتَ دوم الاعـتزاز به، وهو شديد الارتبـاط بك ؟ أم لرودانـة ورجالها ؟ أم لطـلاب العلم منها ؟ منهم من تأستذ، ومنهم من سلك مسالك الحياة الأخرى، ولكن فضلكَ عليهم ظليل، وفعلكَ فيهم جليل، وإسداؤك إليهم عميم. أم لرجال الملحون والزجل، وأصناف الثقافة الشعبية، المحلية والوطنية ؟ أم لتاريخ تارودانت ؟ أم لسوس على امتداد بلادها ؟ أم للأمازيغية لساناً وثقافة وتراثاً ؟

وإذا بدا لغيري أنّ طريق الناس للصبر عليكَ يسير، فإنّي أقول له إن طريقي إلى الصبر عليكَ طويل ومتعب، وشاق ومرعب، ومتفرق ومشعب.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا ترصيع الماس...

لقد كنتَ قريبا منّا، ونحن في حاجة إليك، وها أنتَ بعيد منّا، ونحن في شوق إليك.

والله ما حقّنا أن نتأسف على فقدانك، ولكن الحق أن نتأسف على أنفسنا التي فقدتكَ، ونجزع على صحبتنا التي افتقدتك، ونرثي لحال نوادينا التي خلت منك، ونقلق على مجالسنا التي اكتأبت لغيابك، ونشفق على أنسنا الذي استضام بصمتك، ونراع على فكرنا الذي غاب عنه راعيه، ونخشى على أدبنا المغربي الذي انهدت عمادته، ونأسى على دنيانا التي خلت منكَ، ونغتمّ على سمائنا التي تغممت لأفولكَ، ونحزن على أرضنا التي أجدبت لغورك، ونبكي على بلادنا التي أقفرت برحيلك.

عباس يا عباس...

عباس أيا عباس...

عباس إيه يا عباس...

عباس... عباس يا فقيد النّاس...

ماذا أقول فيكَ ؟ والقول فيك لم يبدأ، فكيف ينفذ ؟!

والنّفس لم تستوعب غـيابك، ولم تصدق بعد رحـيلك، فكيف تقـوى على الحديث عنه ؟ ماذا أقول والثقافة المغربية والعربية والمشرقية والإسلامية والإنسانية لا زالت تتفقد مواقع فقدك ؟

ماذا أبدي وماذا أعيد ؟ وسلواني في الذي وقع، أنّ الذي اختارك إلى جواره صاحب وديعة استرجعها، ومرخية استردها، ومطلقة شدها، وأنّه مقبَل عليه كريم، خيره على عباده بما سألوه عميم، وسعت رحمته كلّ شيء، فهو الرحيم، مشفِق مفرّج لا يضيم.

وسلواني أنّكَ آثرت جواراً أحسن من جوارنا، ولجأت إلى كنفٍ أفضل من كنفنا، واستجرت بحمى لا تقيك بمثله إجارتنا، ولحقتَ بجيرة خُلصت من عيوبنا، وحُفظت من ذنوبنا.

أقول ومهما أقل، فإنّني أتعزى بالبَشرى التي لا تكذب، والوعد الذي لا يخيب، بالبشرى الربانية، وأنا أمتثل قول الحقّ -سبحانه- «وبشّرِ الصّابرِين».

أقولُ قولي هذا وأستغفر الله العظيم، ولترحم اللهم حبيبنا عباس، بما رحمت به سيّد الناس، ولتمْطر عليه شآبيب الرحمة والرضوان، ولتكْسُه أردية المغفرة والغفران، ولتجعلنا بعده صابرين محتسبين، بقضائك راضين مكتسبين، ولتثقل بذلك ميزان حسناته، ولتلحقنا به ونحن على هذا العهد، لا تغيير ولا تبديل، ولا تحوير ولا تعديل.

ورحم الله عبداً قال آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الحمد لله
والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه

الدكتور عباس الجراري:
- الرجل المدرّس
- الرجل الأخلاق

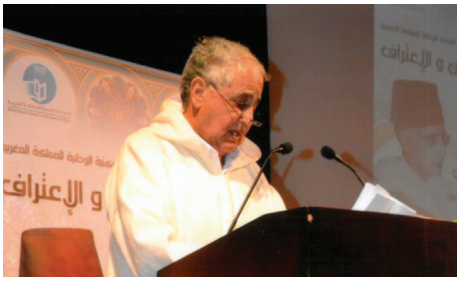

أحمد شوقي بنبين
مدير الخزانة الملكية
عضو النادي الجراري

الدكتور عباس الجرّاري، رحمه الله، علمٌ من أعلام الثقافة في المغرب وركنٌ من أركانها، صميمٌ في وطنيته، صُلبُ العقيدة، عالي الهمّة في خدمة بلده، عُرف بصراحته في القول والصدق والإرشاد، والإخلاص في الصداقة، والوفاء بالعهد.

كان ذا قلم سيّال، وبيان عربي مشرق، متضلّعاً من العربية، لغويّا متمكّنا من أوابد اللغة وشواردها، عُرف بميله إلى السهولة وسلامة الذوق، والدعوة إلى تيسير اللغة وتبسيطها في حدود مراعاة الأصول.

كان مربّيا إنسانيا، خطيبا عُرف بطلاقة اللّسان، وبلاغة البيان، وإشراقة الملمح، وهي صفات افتقر إليها كثير من معاصريه.

حمل كلمة المغرب إلى مهرجانات الثقافة الشرقية، انتصب على إثرها في مجموعة من مجامع الشرق.

زوّد المكتبة العربية عموما والمكتبة المغربية خصوصا بعدد وافر من الكتب والمؤلفات

بعد هذا المدخل، ارتأيتُ أن أتحدث عن الرجل من خلال عنصرين:

أولاهما: الرجل المدرّس

ثانيها: الرجل الأخلاق

الرجل المدرّس:

في نهاية السّتينات، كان الأستاذ عبّاس يأتي إلى كلية الآداب بفاس ليدرسنا الأدب العربي في المغرب، والسبب الذي دعاني إلى إثارة هذا الموضوع هو منهجيته التعليميّة، يلقي درسه الأكاديمي بطريقة ارتجالية، لا عن طريق الإملاء كما يصنع غيره من المدرّسين. وكان يعلم أن هذه الطريقة أكثر نفوذاً في عقول الطلبة، وأنّ زمن الأمالي ولّى منذ ظهور الوجادة في القرن الرابع من الهجرة. وأكاد أجزم أن الرجل يكاد ينفرد بهذه الطريقة في كلية الآداب آنذاك، وقد تأكّد عندي أهميّة هذا المنهج التربوي العلمي الرصين لمّا بدأتُ أحضرُ دروس عدد من المستشرقين في الجامعة الفرنسية منذ بداية سبعينات القرن الماضي.

إضافة إلى ذلك، فعندما يحدثنا عن علم من أعلام التراث العربي في المغرب، شاعراً أو ناثراً أو مؤرخا، بطريقة مرتجلة يتبعها بذكر المصادر التي ترجمت الرّجل، ويحثّنا على الذهاب إلى خزانة الكتب لتثبيت وتأكيد ما قاله في الدرس.

وهذه الطريقة التي تعدّ أقصى ما وصل إليه المنهج التربوي في الجامعات الغربية، هي الوسيلة المُثلى لتكوين الطالب المبدع الذي يستطيع مواصلة البحث العلمي لوحده بعد الحصول على الدرجات الجامعية المعروفة.

كما كان يعلم أن إملاء الملخصات لا يساعد على تكوين الطالب المبدع، بل الطالب المقلّد الذي قد يعجز عن الإبداع بعد الخروج من الجامعة.

كان الأستاذ مقتنعاً بأن وظيفة الأستاذ الجامعي ليست إملاء الملخّصات، بل التوجيه والإرشاد إلى المكتبة ليتعلّم كيف وأين يجد المعلومات التي هو بحاجة إليها في بحوثه العلمية، هذا هو المنهج المطبّق في الجامعة الغربية، يقولA. Maurois (1967): «ليس التعليم سوى مفتاح يفتح به أبواب المكتبات»[10].

- الرجل الأخلاق:

الأستاذ الجراري نادرة زمانه ونسيج وحده في الجامعة المغربيّة:

1- **الإشراف:** لا يرد طالباً يطلب الإشراف، فتكون عنده عشرات، وربما مئات الطلبة ومعظم هذه الأعمال الجامعية قد تمّ طبعها اليوم.

2- **التقديم:** لا يرد باحثاً طلب تقديم كتابه من قبل الأستاذ منهم كاتب هذه السطور (ديوان شاعر الحمراء).

وقد جمعت هذه التقديمات المهمّة بعناية رفيقة دربه الأستاذة الفاضلة حميدة الصائغ.

3- **غضّ الطرف عما يصله من تنقيص واضطهاد وجور** من قبل بعض معاصريه من تجار الثقافة الذين لا همّ لهم إلا الإساءة والتنقيص. فقد تحمّل الأستاذ هذا الاضطهاد بطريقة المذهب الرواقي الذي يرى أنّ الفضيلة هي الخير الوحيد، وأنّ الحلم هو الخاصية التي ينبغي أن يتميّز بها لمواجهة القوم تطبيقاً للمثل: «كن حليما تسد».

كان الأستاذ حليما، وكان عظيماً، وأكثر ميزة تحلّى بها الأستاذ هي عدم مؤاخذته لهؤلاء الناس، وكلما مرض أحدهم استصحب رفيقة دربه لزيارته، وربما لتقديم العزاء في حالة وفاته. تقول الحكمة: «لا تغضب كن حليما تكن عظيما»، كان أستاذنا حليماً فعاش عظيماً رحمه الله، وأثابه في الدارين، إنه سميع مجيب الدعوات.

والسلام عليكم.

10 Des livres et des bibliothèques، منشورات اليونسكو –ماي 1961

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادات زمانية ومكانية في حق
أستاذنا الدكتور عباس الجراري رحمة الله عليه

قاسم الحسيني
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس –الرباط
عضو النادي الجراري

حضرات السيدات والسادة،

أسرة الفقيد،

أيها الحضور.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

لهذه الشهادة التي أقدّمها أمامكم فضاءات زمانية ومكانية، انطلقت منها وتكوّنت فيها:

1- **الفضاء الأول:** مكانه النادي الجراري، ببيت المشمول برحمة الله تعالى عباس الجراري، أما زمانه فمساء كل جمعة من الأسبوع.

2- **الفضاء الثاني:** الأكاديمي والتأطير العلمي والتربوي بالجامعة في المغرب وخارجه.

3- **الفضاء الثالث:** التواصل الاجتماعي...

أعود لتفصيل شهادتي في كل فضاء من الفضاءات السابقة، وأبدأ بلقاءات النادي.

المحور الأول للشهادة:

كانت اللقاءات تعقد بمقرّ النادي الجراري بالبيت العامر للمرحوم كل مساء يوم الجمعة من كل أسبوع، وتستمر جلساته إلى ما بعد صلاة المغرب، وأحياناً إلى وقت صلاة العشاء. كانت هذه الجلسات تجمع بين مختلف فئات الناس، بين الأكاديميين وغير الأكاديميين، من طلبة المرحوم وأصدقائه ومحبّيه، وكانت تناقش بها مواضيع مختلفة، علمية وفكرية، وأخرى آنية كانت تفرضها ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية على امتداد الوطن العربي والإسلامي، والغربي أحياناً...

وكنّا نلاحظ خلال جميع تلك الجلسات، الحضور الفاعل للمرحوم، إذ لم يكن يترك صغيرة ولا كبيرة تمرّ دون أن يزينها بتعليق فيه كثير من الدقة واللطف، ويبدي رأيه بحنكة واقتداء بأسلوب علمي أنيق، خالٍ من المجاملة والمحاباة، ترافقه في مواقفه تلك الابتسامة العريضة تشعرك بالاطمئنان في المواقف، وتجعلك تنقاد لرأيه حتى وإن كنت تحمل شكّاً في ذلك من قبل... كان رحمه الله واسع المعرفة، عميق الفكر والإدراك مع تواضع شديد، كثير الاهتمام والعناية بأعضاء النادي، شديد الترحاب بكل وافد جديد، يتوسط المجلس في وقار لافت، كان يسير في النادي على خطى والده عبد الله الجراري، رحمه الله.

كنت من رواد النادي أيام كان والده رئيساً له، بزنقة القاضي عياض ديور الجامع بالرباط. ولا أريد أن أدخل في عملية التأريخ للنادي، فهذا موضوع آخر)، ما أركز عليه الآن في هذه الشهادة هو ما كان يتميز به المشمول برحمته تعالى وعفوه، من خصال رفيعة تقوم على التواضع، ونكران الذات، وحبّ الناس...

أذكر أنه كان لجلسات النادي مساء كل جمعة موسمان: موسم كان يطول حين تتمدد ساعات النهار، وموسم كانت تضيق ساعاته كما هو الحال في زمن فصلي الخريف والشتاء. وبالرغم من ذلك، كانت جلسات النادي تحقق الغاية وكان يأتيها الرواد من كل فجّ عميق، من الرباط، وفاس، والدار البيضاء، وشفشاون، وأگادير، وتطوان، ومراكش، وغيرها... الكلّ كان يأتي حاملاً زاداً علميا وذخيرة معرفية، يتشوق لعرضها ومعرفة صداها بين خلّانه وأساتذته الحاضرين...

كان يوم الجمعة من كل أسبوع بالنسبة لنا، نحن أعضاء النادي، يحمل معنى عيدين: عيد العروبة المعروف عند المسلمين جميعا، وعيد لا يحسّ بحلاوته إلا من ظل ستة أيام ينتظر التئام الصفوة داخل جلسات النادي، يتوسّطهم لؤلؤة العصر وزهرة روض الآس، ينظم حديثهم ويرتب حوارهم ويعلق حين يدعو داعٍ لذلك، أو يطرأ في القضية ما يستوجب من ظهور خلافات...

وخلف ستار قاعة التئام أعضاء النادي، كانت حركة نشطة تقودها السيدة الفضلى حميدة الصائغ، رفيقة درب عميد النادي، متعها الله بالصحة والعافية وأطال عمرها، كانت تسهر على تهييء كؤوس القهوة والشاي ومختلف أنواع الحلويات، وتتابع في نفس الآن الأنشطة العلمية والثقافية للنادي.

المحور الثاني للشهادة:

يقوم هذا المحور على أساس العلاقة العلمية والأكاديمية التي ظلت تحكمها أزيد من ثلاثة عقود، منها ما كان متصلاً، ومنها ما كان مرتبطاً بالمناسبات والمقامات العلمية من ندوات ومناقشة الأطاريح وتكريمات شخصية...

فقد حظيتُ بحضور حلقاته العلمية في سلك المعمقة بكلية الآداب بالرباط، في تخصّص الأدب المغربي والأندلسي. أتذكر أنه كان حريصا أكثر من طلابه على الحضور قبل الموعد، متأبطا ملفه العلمي، أنيقاً في مظهره بهندامه المرتب الذي يعكس ترتيب أفكاره ونظام حياته دون شك.

كان يجلس على الكرسي في قاعة المحاضرات، ويطول مكوثه أزيد من أربع ساعات، متحدثا إلينا حديثا دقيقاً وعميقا عن مختلف جوانب القضايا ذات الصلة بالمقرر، لم يكن يحبّ أن يقاطعه أحد، لكن كان يرجئ أسئلة الطلبة واستفساراتهم إلى نهاية المحاضرة. هكذا كان ديدنه كما كانت تعجبه مشاركة الطلبة في المناقشة وطرح الأسئلة، بعد انتهائه من إلقاء محاضرته. وكان ينزعج أحيانا من قلة مشاركة الطلبة في النقاش ظانّاً منه أنهم لم يستوعبوا ما طرحه، والحال أنهم كانوا مستوعبين ومقتنعين منهجا وموضوعاً... كان رحمه الله في محاضراته جادّا ومخلصاً، وفي نفس الآن ينثر دررا يعز وجودها عند غيره...

حين تنتهي المحاضرة، كنّا ننصرف ونلاحقه حتى يصل إلى سيارته المركونة خارج باب الكلية، ويودعنا بابتسامته العريضة غير عابئ بالتعب الذي أصابه أثناء المحاضرة... رحم الله شيخنا... حين ناقشني في دبلوم الدراسات العليا بفاس باعتباره عضوا إلى جانب المشرف المرحوم عبد السلام الهراس والمرحوم عبد الله الطيب، فقد استفرغ وقته وخصّني بعناية فائقة حين تحمل مشاق السفر من الرباط إلى فاس، في شهر رمضان، ومباشرة بعد المناقشة، احتضنني بسلك الدكتوراه مشرفا ومؤطراً لمدة أربع سنوات، حصلتُ في نهايتها على شهادة دكتوراه الدولة من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط...

ولا أترك الفرصة تمر دون أن ألخص مرحلة إشرافه على أطروحتي، فقد كنتُ سعيدا ومستمتعا بالجلسات العلمية والتوجيهية معه، إذ فتح لي باب بيته ومكتبه، وخصني باهتمامه ووقته الثمين المتقطع من زحم برامجه وأشغاله العلمية والوطنية، داخل المغرب وخارجه. لقد سعدت غاية السعادة بإشرافه إذ أصبحت قريبا منه، أستفيد من علمه وفكره وأخلاقه، حتى أن بعضاً من أصدقائي كان يلقبني بالطالب المحظوظ. وفعلا، أحسستُ أني محظوظ، كل شيء متاح في مشرف مميز بعلمه وأخلاقه، غير مستبد برأيه بحيث كان يحملني مسؤولية بعض الأفكار التي كنت أتبنّاها، وكان هو رحمه الله يتحفظ منها، وناقشت أطروحتي وسررت بموافقته العلمية الداعمة لمحتوى عملي حين كان يقدم تقريراً أمام لجنة المناقشة باعتباره مشرفاً...

وتوالت المراحل التي تقوّت فيها الوشائج العلمية بينه، رحمه الله، وبين طلبته ممن أصبح يشاركه تأطير الطلبة ويناقش معه بعض الأطاريح التي كانت تنجز تحت إشرافه. أذكر يوما حين اقترحني في لجنة فحص أطروحة ثم في مناقشتها، وكم كنت سعيدا وقت تكليفي بهذه المهمة العلمية، وخجولا ومحرجاً في نفس الآن، لأنني سأجلس مع أستاذي وشيخي في منصة واحدة...

المحور الثالث من الشهادة:

وتتأسّس الشهادة في هذا المحور على الجانب الاجتماعي الغني بالقيم النبيلة والمثل العليا، وليس هذا بالأمر الغريب. فقد ولد ونشأ وترعرع، رحمه الله، في بيئة العلم والأخلاق، مشبعة بحبّ الدين والوطن، بيئة عبد الله الجراري والده رحمة الله عليه. تلك البيئة التي تقوم على تقديس الثوابت الدينية والوطنية، تلكم هي البيئة التي نشأ وتربّى فيها، ولذلك كنتَ تجده شديد الغيرة على الدين واللغة والوطن، حريصاً على صون سمعة كل تلك الثوابت

أما علاقته بمن حوله، فقد كان رحمه الله أكثر الناس إلحاحاً على السؤال عليهم والاطمئنان لحالهم... يسأل عن طلابه وأهله وخلانه، ولم يكن رحمه الله يترك مريضا لا يعوده أو متألما لا يواسيه. كسب قلوب الكثيرين ممن كانوا يتوافدون على صلاة الجمعة بمسجد للا سكينة، فقد تولّى الإمامة بأمر ملكي من جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله. كل الناس كانت تحبه وتجلّه، لأنه عرف كيف يطرق أبواب قلوبهم حين كان يتناول مواضيع قريبة منهم، في حياتهم في الصحة والمرض والتعليم، وغيرها من المناسبات، داعياً للجميع بالصحة ولأبنائهم بالنجاح، مباركا لهم مناسباتهم.

هكذا كان رحمه الله في حياته، محبوبا في الوسط الاجتماعي المغربي، بمختلف طبقاته الجامعية والمثقفة وغير المثقفة، بما كان يمتلكه من علم وفكر وخلق رفيع، ومن ثم لم تنقطع أعماله بموته، بل بقيت ثابتة دالّة عليه.

رحمك الله يا عباس وأسكنك فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون.

شكرا على حسن إنصاتكم والسلام عليكم.

محطات جرارية مضيئة لا تنسى في حياتي

مصطفى الزباخ
رئيس منظمة المجتمع المدني الدولية
عضو النادي الجراري

الأستاذة حميدة المحترمة، زوجة أستاذ الأجيال المرحوم عباس الجراري،

وأولاده وإخوانه،

وأعضاء النادي الجراري،

وكلُّ المفجوعين بهذا المصاب الجلل الذي تلقيناه بعيون دامعة، ونفوس مفجوعة وراضين بقضاء الله وقدره، الذي لا يحمد على مكروه سواه.

أعزيكم جميعا في أعزّ من فقدناه، في زمن نحن أحوج إلى من كان قدوتنا بشرف الكلمة وكرامة النفس وقيم العقيدة والمواطنة والتراث، فأسأل الله أن يعطر مثواه بمسك الرحمة، ويحله مع الصديقين والشهداء والصالحين، وأن يهب الجميع أجر الصابرين الذين قال فيهم تعالى: ﴿إِنَّما يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسَاب﴾.

أستاذي المرحوم عباس، لا أقول بأنك مت... لأنك من أهل العلم الذين يبقون أحياء... ولا أقول بأنك رحلت... لأن أثركم لم ولن ينقطع لأنك تركت أهرامات علمية ينتفع بها وصدقة جارية من مكارم السنن التي لكم أجرها وأجر العاملين بها، وتركت أولاداً صالحين وأجيالا يدعون لكم وكنت كما قال أحمد شوقي في رثاء حافظ إبراهيم:

قد كنتُ أوثِرُ أن تقول رثائي * يا منصفَ الموتى من الأحياء

وهنا أقول:

يبقى الكرام بمهوى القلب إن رحلو * وأغلب الناس تنسى إن هم مكثوا

وأقول أيضا:

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى صاحبي المحبوبَ في الحفر

أعترف أستاذي هنا أن موتكم بالنسبة لي ترك في نفسي مرارتين حارقتين: مرارة فراق من عشت معه في محطات علمية مضيئة لأكثر من عقد، ومرارة غيابكم عن لقاءاتنا الشعرية الخاصة التي توقفت بجائحة فيروس كورونا.

وهنا أقول:

آت جريحاً وقد أدمى الردى قدمي * أجر جريحاً بداء الموت يرتطم

عباس جئت إليكم سائلا حزنا * هل يبقى بعدكم في تيهنا علم

تسقي الغريب كؤوس العلم والأدب * سعياً من كل فجّ هدّه السّأم

أصابع الحزن في حلقي تدمرني * فلا يجف لنا دمع ولا قلم

إذا البحار بموجها علت صخبا * كانت رفيقتكم في الموج تبتسم

ومع هذا الوجع الذي سكنني بهذا المصاب الأليم، **أيها الحاضر الغائب**، أقول بأن هناك محطات جمعتني بك ستظل مشعة في حياتي بعلمكم وقيمكم أعدها نعمة إلهية أحمد الله عليها، وأختصرها في **أربع محطات** رئيسة ستظل لافتات مضيئة في حياتي وثقافتي:

المحطة الأولى: محطة النادي الجراري:

لست مبالغا إذا قلت بأن شوقنا كان يسبقنا إلى يوم الجمعة، لأنه كان يومين: كان يوما للعبادة الروحية في المساجد، وآخر للعبادة الفكرية في النادي... ولم يكن هذا النادي فصلا من فصول المعرفة الجامعية التقليدية التي يقف فيها الشيخ محاضراً والمريدون مستمعين، بل كان منظومة من القيم التي ستبقى راسخة وهادية في حياتنا.

قيمة الإنصات: كان المرحوم يستمع أكثر مما يتكلم، لأنه يعرف أن شهوة الكلام تستبد بنا في كثير من الأحيان ... ويعي حكمة الخالق التي جعلت لنا فماً واحدا وأذنين، لنستمع أكثر مما نتكلم، فكان إنصاته لغة وصمته رسالة تقول:

وقـد تنطـق الأشـياء وهـي صوامـت * ومـا كل نطـق المخبريـن كلام

بهذه الأخلاق التي آثر بها الاستماع للآخرين، سيظل حيّا أبداً، فقد سئل حكيم من تعزّ من الناس ؟ فقال: من أخلاقه كريمة، ومجالسته غنيمة، ومفارقته أليمة، فهو كالمسك، كلما مر عليه الزمان ازداد قيمة.

قيمة أدب الاختلاف: كان النادي منتدى للحوار بامتياز، ورباطا لحرية الرأي، واحترام التنوع والاختلاف، وملتقى للتوجهات والانتماءات المختلفة، فلم يكن مقاطعا أحداً أو مستهجنا رأياً. بل كان يمنح حق إبداء الرأي للجميع، موجها رسالة بأن يكون المثقف صاحب رأي لا صاحب الرأي بالتعريف، فكان بذلك مربيا على قيمة الثقة في النفس والشجاعة في الرأي، مؤيداً لغنى الاختلاف وناقدا لفساد الخلاف، فكان في هذا مع رأي الشافعي الذي قال لتلميذه يونس: «لا تحاول الانتصار في كل الاختلافات، فكسب القلوب أولى من كسب المواقف».

أقول، لقد جمعنا المرحوم عباس الجراري في الوقت الذي لم تستطع أن تجمعنا الأحزاب والمؤسسات الأخرى، لأن توجّهه القيمي كان يقول يجب أن نقضي على المرض لا على المرضى، وهنا أقول:

فكـم معـاق بفكـر في ضلالتـه * شـفاه مجلسـكم مـن هـده الـورم

وبهذه القيم المثلى، كان يحترم في مجلسه الغني والفقير فكريا، ولم يكن مع رأي العقاد عندما سئل كيف تتعامل مع الناس ؟ فقال: «علمتني الحياة أن أعامل الناس مثل قواعد الإعراب، فمنهم من يستحق الرّفع، ومنهم من يستحق الجرّ، ومنهم من ليس لهم محلّ من الإعراب عندي».

قيمة البذل والعطاء: علّمنا الجراري أن الذي لا ينفق من وقته وماله لا يمكن أن ينفق من علمه، فكان بيته بيت العلم والكرم، وزاوية لكرم الضيافة، يلقاك مع زوجته حميدة فرحين بكرم مائدتهما، فيصدق عليهما ما قال الشاعر:

تـراه إذا مـا جئتـه متهـللا * كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله

بل بلغ جوده منزلة فتحت شهية للمطالب المختلفة التي يصدق فيها قول الشاعر:

ولـو لم يكـن في كفّـه غيـر روحـه * لجـاد بهـا فليتـق الله سـائله

قيم التحرر من آفات الانغلاق: لقد ربّانا الجراري في ناديه على قاعدتين قيمتين راسختين، ظلتا منجماً تمتح منهما ثقافتنا: قاعدة الولاء لتراثنا ووطننا وعقيدتنا في غير تعصب أو انغلاق، وقاعدة الانفتاح الحضاري في غير استلاب أو ذوبان.

المحطة الثانية: محطة منظمة الإيسيسكو:

لقد كان من بناة المرجعيات الفكرية والحضارية الكبرى بها، خدمة لوحدة العالم الإسلامي وتطوره، فوضع لنا مع علماء المذاهب الأخرى «استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وكتبا حول المقدس والحوار، ولا أنسى رحلتي معه إلى اليمن، كيف شعت معارفه أمام علماء اليمن في ندوة «المنهج التربوي الإسلامي»، ورحلتي معه لمصر، التي قدم لي فيها قراءة جديدة لبناة النهضة الثقافية في مصر كطه حسين، والعقاد ومحمود شاكر، من كنت أعتقد أنني قلت فيهم الكثير في كتابي «الرائد»، وكيف ترك آثارا علمية لا تنسى في نداوتنا بمدينة شفشاون.

المحطة الثالثة: محطة أكاديمية المملكة المغربية:

لقد كان من حظي أن أعايش عطاءات قمم مغربية شامخة، تركت بصماتها في الحياة الثقافية والحضارة المغربية، ك: عبد العزيز بنعبد الله، وأبي بكر القادري، وعبد الكريم غلاب، وعبد الهادي التازي، والدكتور عباس الجراري الذي أسهم في إخصاب الثروة الفكرية للأكاديمية من خلال، أولاً: تقديم مقاربات داعية إلى تجديد الفكر الديني وتصحيح الافتراءات المغرضة ومعالجة المشكلات والقضايا المتحدية كالبيئة، والتطرف، والاستلاب ؛ وظلت انشغالاته بالهوية الوطنية بمكوناتها وروافدها مركز اهتماماته الكبرى. وفي هذا المنحى حمل الريادة والعمادة في الأدب المغربي وتراثه، وخاصة تراث فن الملحون الذي أشرف فيه على «موسوعة الملحون»، التي أصدرت أكاديمية المملكة المغربية دواوينها بتقديمه ودراسته وتحقيقاته، والتي توجت باعتماده تراثاً إنسانيا لامادياً لدى منظمة الإيسيسكو.

المحطة الرابعة: محطة الجلسات الشعرية الخاصة،

التي كنّا نلتقي فيها على موائد المساجلات الشعرية الإخوانية حول قضايا وطنية واجتماعية معه، ومع الدكتور عبد العزيز التويجري، والأستاذ أحمد العمارتي.

ومن بين هذه المحطات التي تركت أثرا خالدا في حياتي وفكري: **محطة قراءاتي لمنتجه الثقافي:** وهنا أقول بأنني كنت محظوظا مع جيلي... لأننا فتحنا عيوننا على نضال الحركة الوطنية التي حررت أعمالنا من الغايات التكسبية والأجندات الأجنبية، وربطتنا بقضايا وطننا، ولأننا تعلّمنا على رواد زرعوا بذور التطور الفكري والنهوض الثقافي في المغرب، ولست مدعيا إذا قلنا بأن هناك من علّمنا وغذى مخزون عقولنا بمعارف فكرية ظلت قوالب خشبية، وهناك من ربّانا على القيم استوطن بها أرواحنا وقلوبنا، وظل ساكنا في أرواحنا في طليعتهم: المرحوم عباس الجراري، وهذا ما دعاني إلى أن أكتب حوله كتابا بعنوان: «التربية على القيم الثقافية عند عباس الجراري»، وما حرضنا على تجلية دور هذه القيم الجرارية في النهوض الحضاري للعالم الإسلامي في الندوة التي أقمناها، بالتعاون مع جمعية رباط الفتح، تحت عنوان: «قيم النهوض الحضاري للعالم الإسلامي من خلال آثار الدكتور الجراري»، والتي استخلصنا فيها منظومة من القيم البانية المتمثلة باختصار فيما يلي:

أولاً: تربيته للوعي على قيم العقيدة والمواطنة والتنمية والتراث ؛

ثانياً: انشغاله بثقافة التحرر والتغيير والكرامة والمسؤولية والإصلاح والثقة في الذات الثقافية والحضارية ؛

ثالثاً: ثقافة التكامل بين أصالة منفتحة وحداثة غير مستلبة ؛

رابعاً: ثقافة مناهضة لنظريات حتمية الصراع الحضاري، والبعد الواحد للإنسان وللميكافيلية والعتبية والدروينية القائلة بالبقاء للأقوى لا للأصلح.

أقف هنا احتراماً للوقت الممنوح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

جهود الراحل الدكتور عباس الجراري في مجال الملحون

منير البصكري الفيلالي
أستاذ جامعي -الكلية المتعددة الاختصاصات –أسفي
عضو النادي الجراري

مما لا شكّ فيه أن رحيل أستاذنا الجليل، رحمه الله، يعدّ رزءا عظيما، ومصابا جللا، إذ كان له وقع الصدمة على نفوس المغاربة قاطبة إلى غيرهم من سائر البلدان العربية والإسلامية. وشهادتي عنه اليوم قد لا توفيه حقه، فهو العالم الأجل والأستاذ المؤطر والمربي والإنسان المتواضع، صاحب مبدأ، ذو أخلاق إسلامية رفيعة وعالية المستوى، صاحب حوار هادئ ومتزن، يكشف عن تمكن قوي من العلم والثقافة، صادق مع ذاته، عفيف النفس واليد، حنون عطوف، وإذ أنسى لا أنسى زيارته مع رفيقة دربه الأستاذة الفاضلة للا حميدة إلى بيتي بأسفي يوم فجعت في وفاة ابني حمزة، يقدمان لي ولأسرتي العزاء، فكانت هذه المواساة بلسما وتخفيفا من معاناة الإحساس بفقد فلذة كبدي...

بهذه الالتفاتة الإنسانية، زادت محبتي وتقديري لأستاذي سيدي عباس الجراري رجل القيم النبيلة والمواقف الرزينة والعلم الغزير، والبذل والعطاء... فأدركت بذلك فضله ونبله

هكذا عرفته منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، يفيدنا ونحن طلبة في مدرجات وقاعات الدرس بكلية الآداب بالرباط، يؤطر أبحاثنا الجامعية، ويكشف لنا عن الكثير من زوايا أدبنا المغربي بشقيه المدرسي والشعبي... حبانا كطلبته، جهده وخبرته وتجربته وحبه وزاده تواضعه احتراما وتقديرا ومحبة في نفوسنا، فكان دائما بالنسبة لنا قدوة حسنة ونموذجا يحتذى في البساطة والوداعة والرقة وطهارة النفس والروح ونقاء القلب والعفوية والتسامح. فكنّا نمتح من ثقافته الواسعة وفكره العميق ومنهجه الدقيق... وهو ما جعلني أتوجه إليه -رحمه الله- بطلب الإشراف على رسالة دبلوم الدراسات العليا وكانت بعنوان: «الشعر الملحون في أسفي». فكان أن أحاطني بكامل الرعاية والعناية، مما لا يمكن صدوره إلا من والد لولده أو أستاذ لتلميذه. وكم كانت سعادتي غامرة حين أشرف مرة أخرى على أطروحتي لنيل الدكتوراه عن الاتجاه الصوفي في الشعر الملحون. وفي هذه وتلك، كان دائما -رحمه الله- يحثني ويدعوني إلى مواصلة الاهتمام بفن الملحون والكشف عن جوانبه الدفينة.

ولعل التتويج أو الاستحقاق الذي حظي به فن الملحون كتراث إنساني عالمي من قبل اليونيسكو، جاء نتيجة مشروع علمي متكامل كان يحمله أستاذنا أكرم الله مثواه كما هو نتيجة جهود جبارة بذلها أستاذنا سيدي عباس في مجال الملحون. فإليه يعود الفضل في سبر أغوار هذا النمط من التعبير، مبرزا خصوصياته ومثابرا على إحيائه والمحافظة عليه بكل إخلاص وتفان، أي تعريف الناس بماهية الملحون الذي يتناول كل القضايا التي ينبغي أن تعرف عنه، بدءا من اللغة إلى الأغراض والأشكال والأساليب الفنية، ثم إلى طرق الإنشاد والأداء... حيث أعطى للملحون المكانة التي يستحقها. فهو إلى جانب كتاباته الغنية حول الملحون وتأطيره الرصين وإشرافه المتميز لغير قليل من البحوث الجامعية، هو أيضا رئيس لجنة الملحون التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، أنفق الكثير من الوقت والجهد في سبيل أن يشهد فن الملحون نهضة كبيرة، وهي نهضة تقارب اليوم خمسين عاما، وذلك من خلال أعماله الرصينة ودعمه المتواصل للباحثين وتشجيعه الدائم للشعراء والمنشدين والمبدعين والجمعيات المهتمة بفن الملحون.

ومن ثمة، انبرت جهوده إلى البحث في الملحون وفق منهج ورؤية علميين ودقيقين، ودراسة جادة تناولت هذا التراث بالجمع والتدوين والوصف والتصنيف والتحليل. فبفضل اهتمامه وعنايته بشعر الملحون، تم إدخال هذا الشعر إلى رحاب البحث العلمي الجامعي تقديرا منه واعتزازا بتراث بلده وثقافته وفكره.

ولولا هذه الجهود الحثيثة، وهذه العناية التي بذلها أستاذنا، لكان هذا التراث مهددا بالضياع والمسخ والتزييف والتشويه... وهي جهود تنضاف إليها طبعا جهود أخرى سابقة على يد المرحومين، الأستاذ محمد الفاسي والشاعر الباحث الحاج أحمد سهوم.

لقد ظهرت لدى أستاذنا الجليل علامات الاهتمام بالملحون منذ فترة مبكرة، حيث أبدى استعدادات فطرية في الكشف عن جمالية قصيدة الملحون من خلال كتابه: «الزجل في المغرب: القصيدة،» والذي قدمه في فترة مبكرة من تاريخ الجامعة المغربية والتي طبعتها توجهات لم تكن تنظر بعين الرضا لمثل هذا الموضوع... ومن المؤكد أن كتاب «القصيدة» سيبقى ذخيرة علمية وأدبية تعتز بها مكتباتنا الخاصة والعامة، إذ لا مجال للاستغناء عنه. فقد حقق هذا الكتاب رسوخ وسمو وأصالة الشعر الملحون من خلال وصف ظواهره وتعليلها، والبحث عن بواعثها الخفية والظاهرة القريبة والبعيدة. ونحمد الله تعالى أن تولى أستاذنا -رحمه الله- عميد الأدب المغربي، حفظ هذا التراث بهمة عالية، حيث أدرك ما لا يدركه غيره بقيمة هذا الفن الرصين، إيمانا منه بعمق الاعتزاز بالانتماء القوي لهذا الوطن وبصيانة الذاكرة الوطنية وترسيخ مقومات هوية الشخصية المغربية من أجل إبرازها والدعوة إليها وتربية الأجيال على التشبث بها...

هناك خاصية متميزة كانت تطبع سلوك أستاذنا -رحمه الله- تتمثل فيما كان يكنه لرجال الملحون من صادق المحبة والوفاء والتقدير. فمثلا حين علم بوفاة شاعر أسفي مولاي اسماعيل العلوي، اتصل بي طالبا إلي إبلاغ التعازي لأسرة الشاعر. وبعد مدة يسألني عن أحوال هذه الأسرة إن كانت في حاجة إلى مساعدة بل كان -رحمه الله- في كل مرة يستفسرني عن الملحون وأهله في أسفي .

كذلك، لا ننسى دعوته إلى توحيد جمعيات الملحون، وذلك بإحداث رابطة وطنية تجمع كل الجمعيات التي تعنى بفن الملحون مؤكدا على ضرورة جمع شتات هذه الجمعيات بمختلف المدن المغربية.

إضافة إلى ما سبق، دعا أستاذنا -رحمه الله- إلى تعميق البحث العلمي الجامعي في فن الملحون من أجل تجديده وتطويره، فاقترح فتح أبواب الجامعات بشكل أكبر أمام الباحثين والطلبة والشيوخ، لتعميق البحث في هذا الفن الأصيل الذي وصفه -رحمه الله- بأنه بحر لا ساحل له... يكاد يضاهي الأدب والشعر المعرب. (فقد برع المغاربة في نظم الشعر الملحون أكثر من الشعر الفصيح، ويعود الأمر إلى أن نسق الثقافة الشعبية الذي كان يسمح بهامش

من الحرية، لا يتيحها نسق الثقافة العالمة، وهو ما أتاح هذا التوجه والتألق الإبداعي، يقول أستاذنا طيب الله ثراه، مضيفا إلى أن الشعراء العوام الذين نظموا شعر الملحون كان هناك شعراء نظموا الملحون وهم علماء وأدباء في الفصيح، وبرزوا في الملحون أكثر من الفصيح... ومن بينهم الحاج ادريس بن علي الحنش، العالم الكبير والشاعر الغزير الذي برز في شعر الملحون، حيث كان نظمه فيه يتفوق على نظم شعراء الفصيح. وينطبق الشيء نفسه على السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي بقدر ما كان عالما وأديبا وشاعرا في مجال المعرب، كان له ديوان في شعر الملحون يفوق الفصيح، طبعته أكاديمية المملكة المغربية. وفي العصور المتأخرة، نجد الشيخ التهامي المدغري الذي يعتبر شاعر الغزل والمرأة على الإطلاق في الأدب المغربي، وكان ينظم في النمطين (الفصيح والملحون) وتفوق في العديد من قصائده وسراباته على شعراء المعرب الفصيح).

إلى جانب ما سبق، كان أستاذنا -رحمه الله- يتوقع دائما أن يصبح فن الملحون ملحقا بالتراث العالمي لليونسكو. وهو ما حدث فعلا، حيث علم يوم الأربعاء السادس من دجنبر 2023 عن إدراج فن الملحون في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية. وهو ما كان يسعى إليه أستاذنا والمغاربة قاطبة.

لذلك، لا نخفي سرا إن كان تسجيل الملحون تراثا إنسانيا عالميا من طرف منظمة اليونسكو، أن نقر بأن هذا التصنيف للملحون كتراث ثقافي للإنسانية، هو اعتراف بجهود أطراف متعددة في طليعتها الرؤية الملكية السامية في مجال صيانة وحفظ التراث الثقافي المغربي إضافة إلى جهود أكاديمية المملكة المغربية ثم وزارة الشباب والثقافة والتواصل. وهو مكسب وطني وإنساني، يضع فن الملحون في دائرة الآداب العالمية. ولولا تلك الجهود التي بذلها الراحل ما كان للملحون أن يعرف طريقه إلى العالمية. ذلك، أن إشرافه على هذا الفن مكّن أكاديمية المملكة المغربية من جمع نحو ستة آلاف من قصائد فن الملحون لشعراء مغاربة كبار. وتطلب الاشتغال على هذا المتن الشعري الضخم، تشكيل لجنة موسعة تتكون من نحو خمسين باحثا في مجال الملحون من أجل القيام بعمل علمي لتجميع وتوثيق وتحقيق نصوص شعرية لرواد كبار طبعوا بإسهاماتهم الجليلة هذا الفن الأصيل. فكان لا بد من لفت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بهذا التراث المغربي الأثيل، وصونه بهدف توسيع الاهتمام به، تحقيقا للأهداف التي خططتها أكاديمية المملكة المغربية للنهوض بالملحون. وهي اليوم تعنى بموسوعة الملحون، غير مقتصرة على إصدار دواوين الملحون التي ستظل شاهدة على شخصية أستاذنا رحمه الله... كل ذلك، بفضل توجيهه

وتأطيره وإشرافه. فهو أول من فكر في إصدار هذه الدواوين، فكانت البداية بكبار الشعراء من قبيل: الشيخ المغراوي، ثم تلاه الشيخ المدغري وسيدي عبد القادر العلمي... إلى أن تم إصدار ديوان الشيخ الحاج محمد المسفيوي، لتصل الإصدارات فيما بعد إلى مرحلة شعراء الملحون المعاصرين وذلك بإصدار ديوان الحاج أحمد سهوم. ومما زاد هذه الدواوين بهاء علميا متقدا وزادها قيمة، وسهل الاستمتاع بها، تلكم المقدمات التي كان ينحتها رحمه الله من قلبه، مما يبرز بجلاء مدى سعة اطلاع أستاذنا ومدى فهمه العميق لقصائد الملحون. ذلك أنه أوقف جزء كبيرا من جهوده على دراسة الملحون والتعريف به على حد ما أسلفنا مبرزا من خلال ذلك، العمق الحضاري والفكري والثقافي للمغاربة. وقصيدة الملحون ليست بالأمر الهين أو بالبساطة التي يعتقدها البعض... إنها لا تسلم نفسها إلا لمن أعمل فكره وأجهد عقله، وغاص في معانيها ودلالاتها ليقف على درر وجواهر فن الملحون ببلادنا. ومن ثمة، كان لأستاذنا الجليل دور كبير ومهم في التعريف بفن الملحون، وهو عمل جليل وجدير بالتقدير، نهض به رحمه الله.

إن هذه الجهود التي قام به أستاذنا الجليل، جعلتنا ننظر إلى الملحون لا كماض غاب وانقضى، بل هو حاضر دوما وحي ومحفز لنا في الاندماج بفعالية في الحاضر والإطلالة بثقة على المستقبل... ومن هذا المنطلق، جاء تصنيف الملحون من طرف اليونيسكو، كثمرة جهود مضنية ساهمت إلى جانبها جهود أخرى مشتركة، كل من موقعه... تعزيزا للبعد الحضاري لهذا التراث الوطني. فلا عجب إذن أن يشكل الملحون بشعره وشعرائه ومنشديه وفرقه، إرثا حضاريا يفتخر به المغاربة، بل ويساهم في ربط أواصر ووشائج العلاقات الاجتماعية وترسيخ التلاحم الاجتماعي، مما يجعله فنّا يستجيب كليا لتعريف التراث الثقافي اللامادي، على حد ما ورد في اتفاقية اليونسكو لسنة 2003 المتعلقة بصون التراث الثقافي اللامادي التي صادق عليها المغرب منذ عام 2006.

لذلك، نسجل أن الملحون ظل دائما ديوان المغاربة، ليكون خير تعبير عما يخالجهم في أعماقهم، نظرا لما يميزه عن سائر الأنواع الأدبية، مدرسية كانت أو شعبية، بمداه الرحب وإنسانيته وقدرته على تصوير بواعث الفعل البشري وردود الفعل وجذور الإرادة الإنسانية، في سعيه إلى فتح آفاق جديدة واستشراف معالم المستقبل. وهذا أمر علينا ألا نغفله، لأنه يمثل الأرضية الحقيقية الفعلية في وجدان الناس، ومنه يمكننا الولوج إلى فن الملحون بغية استجلاء مضامينه الغنية وتذوق معانيه المعبرة، والكشف عن مظاهره الفنية والجمالية.

كل هذه الجهود تستحق الإشادة والتنويه والتقدير، وتدل على مدى التشبث بأصالتنا واعتزازنا بهويتنا، كما تدل على مستوى الوعي والرقي الثقافي والنضوج الفكري والفائدة العلمية والقيمة الفنية لتراث الملحون المغربي الذي يشكل مادة خصبة للبحث العلمي في جامعاتنا. كل ذلك وغيره بفضل عميد الأدب المغربي -رحمه الله- الذي يعتبر في وطننا بل في كل الأقطار العربية والإسلامية وغيرها، قمة في السمو الخلقي والشموخ العلمي.

فسلام عليك أيها الأستاذ الجليل، العالم الجهبذ الأريب، حملت الأمانة وبلغت الرسالة، ولقنت أجيالا كثيرة من وفر علومك وثر معارفك... فأنت لم تمت وإن ضمك اللحد، فما مات من أكرمه الحق سبحانه وتعالى بالثناء والحمد وأبقى العز والمجد... وما نملك اليوم إلا أن ندعو بالصبر للأستاذة الفاضلة السيدة حميدة، حرم المغفور له، التي كانت دائما وراءه في مسيرته العلمية والعائلية، وكذا لجميع أفراد الأسرة الكريمة، ولكل المغاربة بجميل الصبر والسلوان، وتغمد الله أستاذنا برحمته الواسعة وأجزل له المغفرة والرضوان، فلا عزاء في فقد الأعزة إلا بالصبر إذ به يكتب الأجر.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على محمد أشرف المرسلين، وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين

رحل النّهار الجميل

جمال بنسليمان
أستاذ باحث
عضو النادي الجراري

أستاذتي الفاضلة، حميدة الصائغ الجراري، سيدة الأصول، والمنبع الزّلال النّقي الطّهور.

السيدات والسادة الحضور الذين عبروا عن أرج وفائهم لعميد دولة الأدب المغربي، معربه وملحونه، أستاذ الأجيال، وصانع النساء والرجال.

أستاذي الجليل استعجلت الرّحيل، ورحل نهارك الجميل، وتركتنا في ليل أليل، لا رياح تهبّ على مراكبنا، ولا شمس ولا قمر. استعجلت الرّحيل في هذه المرحلة المفصلية من تاريخنا التي فقدنا فيها البوصلة والزمام، وضعنا في الرّحام، وتناثرت وتشتت أوطاننا ودولنا من كثرة حقول الألغام، وأصبحنا كالأيتام، حفاة عراة في مأدبة اللّئام.

كنتَ أستاذي الجليل من ستينيات القرن الماضي إلى أسبوع الرّحيل، تحث في كتاباتك ومؤلفاتك ولقاءاتك ورحلاتك... على آصرة الوحدة: وحدة الوطن الأم، وبلاد العروبة والإسلام، ومعانقة الوئام والأمن والسلام، والتكتل والالتحام، ونبذ الفرقة والضغائن والتشرذم والانفصام، وتصحيح أعطاب الذات وتطهيرها من الجراثيم والفيروسات والميكروبات والأوهام، حتى تجد الذات ذاتها، وتقوي عودها وجهاز مناعتها، وتصبح قادرة على الرفع، ومواجهة الآخر المتغطرس الذي يتربّص بها تربصاً، من موقع الند للند، بقوة وشهامة وكبرياء، ونخوة وغيرة علياء، وبدل أن نأخذ بجلال فكركَ الراشد والرشيد المؤثث على الحكمة والعقلنة والاقتدار المعرفي والبعد الرؤيوي، أصبحت المواجهة بين أبناء الدار، تتصارع صراع الديكة، وتتكلم وتمتاح من قاموس الحيوان. دخلنا حروبا أهلية طاحنة كُتبت بلغة الدّم والخناجر، حتى أصبح وطننا العربي والإسلامي معرضاً للصورة، للتناحرات الإثنية والطائفية، انهيارات بالتقسيط وبالجملة، من عقر الدار إلى تداعي الأغيار، وضاعت قضيتنا العادلة المركزية: قضية فلسطين، التي ما زالت ساخنة، والتي قبلناها بمصيبة الصمت المريب، والتواطؤات والخيانة الصّماء، واغتيال الشّرفاء، حتى جفّ ريق الصراخ، وناح المساء، وتعطّلت الأضواء.

رأيتَ أستاذي الجليل في الثقافة: ثقافة الإصلاح، الثقافة الخارقة والمخترقة خشبة إنقاذ، وتطهير الذات المريضة من مخالب الفساد، في طبعاته السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية... ومحاربة أنصاف المثقفين والمندسّين والمكشوفين والمقنّعين والمتعجرفين، الذين يتقززون من ثقافة الإصلاح، ويسعون إلى إخراس الصوت الذهبي الصائت، ومحو البياض الفضي النابض بالتغييب والإبعاد، الذين تهتاجهم طلقات الرصاص المحموم، فكلما غنّى عصفور أخضر فوق الغصن، بدل أن ينصتوا ويتلذذوا بهذه النّغمة، تحسسوا بنادقهم، دون أن يرفعوا نظرهم عنه، وأطلقوا النار عليه، تحقيقاً لمكاسب وطموحات مجتمعية فانية، بنيران صديقة، أحياناً بأسلحة كاتمة للصوت، أو رشّاش قاتل متعدد الفتحات، لسحق أكبر عدد ممكن من الأحرار الشرفاء، حتى يستحوذوا على الغنائم وحدهم دون غيرهم. إنها حروب دَمَوِية شرسة بطعم السّعار والدمار، شبيهة بحروب الإغارة على القوافل، تنتفي في ساحاتها ونقع غبارها أدبيات وأخلاقيات المعركة بمفهومها البطولي، ينتمي طقسها إلى جنس حروب الجاهلية الجهلاء، إلى داحس والغبراء.

الشمس الزاهية، أيها العزيز، لم تعد نائمة على أكتافنا، رحلت عنّا وهجرتنا وتركتنا نعض أناملنا، أدارت ظهرها لنا وولّت الأدبار، والقمر المنير انحسر لألاؤُه لم يعد من السفار، الكتب غدت أشجاراً من رماد، والثقافة لوحة بئيسة كالحة الجبين معروضة أمام الجميع بلا نعش ولا دفن، والقلم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، في النفق السفلي المظلم خارج الزمن والتاريخ. جثم الخريف فوق رؤوسنا برغوة أوراقه الصُّفر، وغدا الطريق إلى ربيع المعنى سرداباً مظلما ضعنا في دهاليزه حتى هرمنا، نتجرّع كمدات اليتم والغربة والاغتراب، في غياب وازع الضمير، وانعدام الحسّ ببهاء الانتماء والاعتزاز بالجذور وقامات الوطن الشمّاء.

كنتَ أستاذي الجليل دائماً في الموعد العلمي والأخلاقي والتربوي، تصحح أعطاب السيرة والمسيرة، واختلالات الثقافة التي تتغيّا كتم أنفاس نعمتي البصيرة والإبصار بلون ناصع البياض، مفعم بالنضارة والبشارة والحضارة والفتوحات الربانية: ببصرك الحادّ الذي يلتقط الضوء في الطريق الذي تنعدم فيه الإشارات، وضعتَ توقيعك المشاء الفذ في الأراضي البحثية قديمها وحديثها، قريئاً حصيفا لتربتها وتضاريسها، مستمعاً جيدا لخفقات نبضها، بإحساس الرائي وبصيرة العالم، تلقط الطريق الواضح لقطاً كأنه لون خدّ مورد، زرعه الله في شغاف قلبكَ ومصباح عقلكَ، في كتبك ومقالاتك ومحاضراتك ... وطن الخلائق المتفردة التي تنفر من سلطة الأنماط والأصفاد والمتاريس، التي تحد من تدفقات الحرية والانطلاق، وتقف سدّاً منيعا أمام شعلات الضياء.

كنتَ دائماً قنديلاً متوهّجا في عالمكَ البراني والجواني، مصدر نور مضيء لا يعرف كسوفا ولا خسوفا، ببصمة عباسية تهبل بالفرادة والتميّز، لها علاقة حميمة بالأدب المغربي والهوية واللغة والتراث والمنهج والقيم الثقافية، والفكر الإسلامي والمذاهب والفلسفة والتاريخ والأديان، والدولة والحرية والتنمية الديمقراطية، والحوار والتعايش والإسلام والإرهاب، واللائكية والعلمانية والعولمة، والتربية والتعليم والاستنسال والبيئة، والأصالة والحداثة.

بهذه الفسيفساء الأخاذة وبين أحضانها الدافئة ولد أدب الثقافة، ولادة طبيعية ازدان بها فراش عبّاس الجراري، الذي غمره البهج والإشراق. خرج من صلبه وأعطاه الشرعية الأكاديمية، الأدبية والعلمية، المدرسية والشعبية، الشعرية والنثرية، بغية الإنصات لدقات قلب الأدب المغربي، لخصوصيته، باعتباره منظومة معرفية متجانسة، يلتقي في أفيائها الوارفة، الأدبي بالتاريخي، ويتجاور العلمي مع الفني، ويتعانق الديني بالسياسي والوطني

.... في انصهار واندماج وانفتاح، قائم على العلاقة التأثرية المتبادلة بين الذات والموضوع، حتى نعي وندرك أن الوطن الأم، وبلاد العروبة والإسلام، وقضايا الإنسان: هوية وعرفان، مقدس وانتماء، وشفوف ورونق ماء وإبداع خلّاق، وأصل وأسماء، وأعلام ورموز عظام، ومشاعر جياشة وأحلام، وعقل جريء منطلِق، وتطلعات وأفعال جميلة القوام، وحركة دائبة تتجه إلى الأمام.

أيها الحضور الماجد،

وأنا منشغل بصاعقة الرّحيل، رسمتُ أمام شاشة عقلي خمس محطات رئيسة، وحدت بيننا أجمل توحيد، بميثاق بهيّ غليظ:

في أواخر السبعينيات من القرن الماضي، عندما كنت طالباً بشعبة الأدب العربي، أبحث عن الولادة والقلادة والرسالة والقضية.

وفي أواخر الثمانينيات، عندما انغمرت انغماراً في الدراسات المعمقة التي أثمرت وأزهرت شهادة العبور إلى جنة الدراسات العليا.

وفي خمس وتسعين وتسعمائة وألف، عندما حظيت بشرف الإشراق الزاهي من عميد الأدب المغربي لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع «المدينة في الشعر العربي بالمغرب على عهد الحماية».

وفي ثلاثة وألفين، عندما حصلت على شهادة الدكتوراه، في موضوع تبأر حول موسوعية السيد العميد، ونهره العلمي الرقراق، بإشراف جميل دقيق، وقّعه الدكتور الفاضل محمد الظريف، وهو العمل الذي خرج إلى حقل التلقي تحت عنوان:

«موسوعية البحث العلمي عند أعلام المغرب في القرن العشرين:

د. عباس الجراري نموذجا»

وكان مسك الرباط وشهد الاغتباط، الانضمام إلى النادي الجراري عندما أكرمني أستاذي بشرف العضوية، والإمساك بمقابض مزهرية السلالة، والانتساب إلى المدرسة الجرارية بجدارة.

في كلّ هذه المحطات، كنتُ قريبا من أستاذ الأجيال، أحسست بطعم لذيذ، بزهرة زكية فوق ضفاف من نخيل وأعناب، تزهو بأنوار وشموس الأرض، بصحبة خضراء في كل الفصول، داخل حديقة غنّاء مطرزة بالبهاء، في زحمة هذا العالم الموحش الذي نسكنه، والمثقل برائحة الغبار والانحسار والانكسار والذبول والأنين.

في قلب النادي الجراري، زهرة الآس، تحسستُ دفء الجلد وطعم البشرة، بنكهة آسرة نشّطت عروقي، وأيقظت الخلايا النائمة في جسدي، زكّاها تواضع أستاذي وانتصاره لأعمالي وللعروض التي أقدمها، وإشادته بها، أمام خيرة العلماء والأعلام والأساتذة الباحثين الأجلاء

وأنا مشدود إلى منبع رأس ماء الفكر الجميل، في حضن مكين، أتملّى مطلع الجبل الأشم، الضارب في العمق الإنساني والوجداني، الاجتماعي والثقافي... الذي يتغيا سدّ الثقوب والفجوات، وموجات الانحباسات، وتقوية عود الرباطات، وتجسير العلاقات، وتثبيت الأوتاد والفواصل والمفاصل.

إنه، **أيها الحضور الكريم،** أستاذي عباس الجراري، الذي له معمار خاصّ: في أعماله وآثاره ومشاركاته وأخلاقه، صناعة نفسه، يرعى لطائف الثلج ببصره الثاقب، وهي متوارية عن الأنظار، يصهرها في أفق المحبة والبناء، يشعل فانوسها ليعمّ ضياؤها مختلف الأمكنة والزوايا، يزرع الأمل في أرجائها، ويعطر ستائرها لتزهر الورود، ويشكل أريجها نداء كونياً للتوالد والتواشج والتذوق، تتعالى عن دنس الذات والشهوات بمختلف صنوفها، بالكلمة الصافية الماسية، والحرف الأخضر الزمردي، والصدق المثمر في جواني الوجدان، من أجل تأهيل الباحث الإنسان، ليربح الغد والرهان، ظلا ظليلاً، ورفيقا وأنيسا.

أستاذي الفاضل، ستبقى خالداً مخلّدا رغم الرحيل، كنتَ صادقا مع نفسك ومعنا، ترسم طريقنا، ناصرا ومنصورا، ملأتَ الصدور، ومتعت العقول، وآنست النفوس، حفرت عميقا في الوطن، أردته دائما حيّاً معافى، لأنه هو الشعلة واللؤلؤة والواحة والمنارة، موضع اللبنات، وكنز العظات، ومهبط الحكمة، وعيون الخلد، وشجرة العز التي تسكن الأفئدة وتوحد المشاعر.

كوّنتَ أستاذي الأجيال، وصنعت النساء والرجال، واتخذت من محراب ورحاب الجامعة سلّما للمجد، وساهمت في نشر لواء المعرفة وشموس العلم، وانتصرت للهوية الممتلئة ولغة القرآن التي تعرّضت للضربات تلو الضربات، للنكبات والنكسات، رأيتَ فيها لغة

الجمال والجلال، والعلم والحلم، والنضال والعبادة والطهارة، صادحاً على مئذنة الوطن، حارساً أمينا للأبواب والأسوار والقباب، ممسكاً بأريج الوفاء معتق بالبياض.

أستاذي وشيخي ومعلمي وصديقي وأبي،

لن يحجب الرحيل القاسي أسرار البوح، كنتَ معنا طاهر القلب وطاهر الثياب وطاهر الرسالة، ستظل أبداً راسخا في قلب القلب، مخضبا بالجوهر والجواهر، شلال عطاء وسخاء، راية وفاء ماسكا بها، قابضا عليها، ناثرا آيات البهاء، عزاؤنا أن ظلّكَ سيظل وارفا، وأن إطلالتكَ البهية، وابتسامتك الزاهية، ستبقى ساطعة، وأن فتوحاتكَ ستظل حاضرة موشومة، صامدة في وجه رياح التعرية وعقول الجفاء.

لن أقول وداعاً أستاذي الجليل، سأقول سلاماً سلاماً سلاماً.

الحمد لله، وصلّى الله وسلّم على رسولِ الله

رثَاءُ أسْتاذ الأجْيال الدّكْتور المُبرِّز عَبّاس الْجرَّاري

أبو محمّد عبْد الرّحيم بنعبْد الله
كاتب - شاعر
عضو النادي الجراري

قرأ بعض أبيات القصيدة رئيس الجلسة.

انْتقل إلى جِوار ربّه تعالى، المرْحوم بكرم الله، أستاذُ الأجْيال الْجليل الدُّكْتور المبرِّز السّيِّد عبَّاس الْجَرَّاري، محبِّر رسالة الدُّكتوراهْ حوْل أدبِ الملْحون، هذه الرّسالة الّتي ناقشَها بجامعة الْقاهِرة سنة 1961، أمام لجْنةٍ متميِّزةٍ ومُكوّنةٍ منْ كبار أساتذة الأَدب في بلاد الْكنانة، تلْك اللَّجنة الّتي صرَّحت بنَجاحِه بتفوُّقٍ وبِميْزة «حسن جدّاً».

ثمَّ حينَ قرَّر بعْد رجُوعهِ إلى وطنِه الْعمل فيه، في الْقطاع الْإداري الْمغْربي، وبالْخُصوص في وزارة الشّؤون الْخارجيّة، اخْتار أنْ ينْخرطَ في السِّلكِ الدبْلوماسيّ المعْتمد في الْقاهرة، عاصمة مصْر الشَّقيقة، الّتي درسَ بها، وكانت له بها ذكْرياتٍ جميلة كذلك، وحيْث الْتقى مع زوْجِه الْأُستاذة الْجليلة السّيِّدة حميدة الصَّائغ الَّتي كانت تدْرس بها في نفْسِ الْوقْتِ أيضاً.

ثمَّ بعْدما رجعَ إلى أرْض الْوطنِ الْعزيز عليْهِ، الْتحقَ بفاس، الْعاصمة الْعلْميّة للْبلاد، حيْث تولَّى التَّدريسَ بجامعتِها إلى أنْ رجعَ إلى رباط الْفتح مسْقطَ رأْسه، حيْث مارسَ الْأُستاذية في جامعة الْأدبِ بها إلى أَنِ اصطفاه بعْد وقْتٍ يسيرٍ الْملِك الْحسن الثّاني مُدرِّساً في الْمعهدِ الِمولوِيّ حيْث درس وليُّ عهْدِه وخلَفه الموفَّق، الْعاهل المُفدَّى الْآن، مُحمَّد السَّادس نصرهُ الله وأيَّده ؛ ثمّ الْتحقَ بأكاديمية الْمملكة الْمغربيّة كعُضوٍ مقيمٍ وذلك بعْدما تولَّى رئاسة الْمجلِس الْعلميّ للرِّباط وإقْليمِه وقبْل تعْيينِه كأحد مسْتشاري الْملِك نصرهُ الله وأيَّده.

وتجدُر الْإشارة إلى أنَّ الدّكْتور عبَّاس كان من الْمؤلِّفين الْمُتمرِّسين في الْمغْرب، فلهُ مؤلَّفاتٍ عديدة وجيِّدةٍ في مُخْتلفِ الْعلُومِ والْمعارِفِ الْمُتداولة في بلادنا زمن حياتِه، منْها على سبيلِ الذِّكرِ لا الْحصرِ، كتابَه «مُوشّحات مغْربية». كما قدْ أشْرف إشرافاً مُباشراً وفعَّالاً، في إخْراجِ مجْموعةَ الْملْحون الْكُبرى، الّتي نشَرتْها أكاديمية الْمملْكة الْمغربيّة، هذه الْمجْموعة الّتي صدرتْ بعْد أنْ أضْفى عليْها كمْ بصماتٍ شخْصيَّة.

وقد عيّنهُ الْملِك الْحسن الثّاني أيْضاً أوَّل خطيبٍ في مسْجد للّا سْكيْنة، الْمُشيّد في حيّ الرِّياض بالرِّباط مِنْ طرفِه وحيْث عيَّن كإمام الرّاتب أُسْتاذي الْجليل الْفقيه سيدي محمَّد برْبيش رحِمهُمْ الله وطيَّب ثراهُم جميعاً.

ولا بدَّ من الْإشارةِ بِالذِّكْر كذلك إلى درْسه الْمُتميِّز الَّذي ألْقاهُ أمام عاهِل الْبلاد ضمْن الدُّروسِ الْحسنيّة الرَّمضانيّة، وإلى أيْضاً دُروس التَّوعية الْمُلْقاة باللُّغتيْن الْعربيّة والْفرنْسية عبْر الْأثير والتِّلْفاز. وإذْ أنْسى فلنْ أنْسى أنْ أُشير إلى عددٍ من حفلاتِ التَّكريم الَّتي أُقيمتْ له مِنْ طرف كمْ مؤَسَّسات وجامعات في الْبلاد مِنْ أمْثالِ جامعة ابْن طُفيْل في مدينة الْقُنيْطرة

وقدْ تولَّى رئاسة النَّادي الْجزَّاري بعْد والدِه الْعلَّامة سِيدي عبْد الله مؤسِّسه الْأوَّل طيَّب الله ثَراه. وحين اكْتملَ هذا النَّادي مدَّة تسْعين عاماً على تأْسيسِه احْتفل الدُّكْتور عبَّاس طيَّب الله ثراه بالْمُناسبة، ونظمتُ شخْصيّاً قصيدةً بعنْوان «ذكْرى النَّادي الْجزَّاري التِّسْعين»، نشرتُها في ديواني الثَّاني بعنْوان «حقْل وبقْل»، بالصَّفْحة 65 حيْث جاء في مطْلعِها:

هـذا أوانُ الذِّكْـرِ والْعرْفـانِ * هـذا زَمـانُ الشُّـكْر والْإحْسـان

وها أنا الْيوْم، أرْثيهِ بعْد رحيلِه عنِ الدُّنيْا، وأفول وجْهِه النَّيِّر عنَّا، رحمه الله تعالى بهذه الْقصيدة الدَّالية الَّتي نظمْتُها في الْبحْر الْخفيف بعروضٍ وضرْبٍ تاميْن حيْث قلْتُ فيها مُسجِّلاً حدثَ موْتِه الْمُحْزن والْمفْزع الَّذي حلَّ بنا أعْضاء النَّادي الْجزَّاري وبالرِّباطيّين كالصَّاعقة، سائلاً من الْمولى تعالى أنْ يشْملَه برحماتِه الْواسعة، وأنْ يرْزق الصَّبْر والسُّلوان إلى أهْلِه وذويه ؛ زوْجاً وأوْلاداً وأشقّاء، وإلى أهْل نادِينا وفي مُقدّمتِهمْ الْأستاذان محمَّد احْميدة ومصْطفى الْجوْهري، مُساعِداه الْأقْربان في تسْيير هذا المنتدى الْعتيد، ولهُمْ منِّي أجْمل الْعزاء، والْأبْيات الْمعْنية هي:

قَبْلَ أمْسٍ، عـبَّـاسُ، فخْـرُ الْـبلادِ
في ربَـاط الْفـتْـحِ حِـمـاه، يبِيـدُ
قَبْلَ أمْسٍ، جَـــزَّاريُّ، كـمْ معـالِي
وعميـدُ الْأدبِ الْأصِـيلِ شهـيدُ
فجِـهادٌ في الدِّيـنِ منْـهُ سمى، كـمْ
كانَ في إنْفـاقِ الْعلُـومِ حـرودُ
ذاك فيْـضُ أوْفى الْعطـاءِ الْجَزيـلِ
حيـنَ كانَ قـيْد الْحـيـاةِ الْمجـيدُ
بكْـرُ عبْـد الله، رحـــى الْأُدبـــاءِ
حينها السُّـؤددَ ارْتقـى، ذا أكـيدُ
بَـعْـد دُكْـتـــوراهُ، أتـانـا بـها مِنْ
مِصْـرَ عـزٍّ، طـرّاً تخطَّـى الرَّشـيدُ
درجـاً بعْـد آخـــرَ هْـوَ اعْـتـلى، في
فـاسَ بـدْءً، ثـمَّ رجـوعٌ سعـيـــدُ
لِحِماه حيْثُ انْبـرى خـيْـرَ أسْـتـا
ذٍ، سـقى أجْـيالاً بها الْمحْـمـودُ
وأكـادِيمِـيـــةٌ بهـا حـلَّ بَعْـدَ الْـــ
معْـهدِ المـؤلوِي فطابـتْ عُهـودُ

مَنْصِـبَ الْمسْتشار جانِبَ سلْـطا
نِ بلادٍ، اعْـتلى النَّـبِـيهُ الْمَســودُ
فَهُناكَ النُّصْـحُ اسْتـوى، والْوفـاءُ،
حيْـث منْـهُ فــاضَ الْعـطاءُ الْجـديدُ
ثـمَّ طـابَ حُـسْـــنُ الرِّضــا، والْقـوْلُ
واسْتقَـامتْ للْمسْـتــشارِ الْجُهــودُ
بـعْـدَ كــلِّ ذاكَ الْجــد والْفـخــار
في الْحـياةِ زهِــد الْحليـمُ الْحــميدُ
فَلُحـوداً عَنْها اسْـتحـبَّ الْكـريـمُ،
فــاظ عبَّــاشــنا، وفي ذاك جــودُ
بَعْدَ مَـوْتِــه، الْحُــزْنُ حـلَّ بِقـوْمٍ
منْـتـــدانا الْعتـيـدِ، ذاكَ وعـيـدُ
جزَعِـي الْيـوْمَ على الْجـرَاري عظيـمُ
فـعـزَائِـي لِحـمـيـدةٍ مـمْــدودُ
ولأَوْلادِ والْأهـــــالـــي وحـــــبٍّ
ثـمَّ غـفْـرانُـــكَ لـه يا مَـجـيـــدُ
وصَـــلاةٌ علَى النَّبــيِّ مصْـطفـاك
وخـليلُكْ، والصَّبْــرُ لي يـا حَـميدُ

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أحمد السوسي التناني
شاعر وكاتب
عضو النادي الجراري

عمدة النادي الجراري

الـمـوتُ يخطف لا يكِـلُّ أحـبّتـي ... فـإذا مـضى خِـلٌّ تلـى خِـلٌّ آخـرُ

أغْـدو يـتِـيـمـاً بعدَ كـلِّ فـجيـعـةٍ ... واليُـتـمُ في زمـنِ المـشيـبِ مـرائِرُ

وتفيـضُ مِـن بحـرِ الرّثـاءِ قصائـدي ... فـإذا شـدوتُ فـما لَهُـنَّ نـظـائِـرُ

شِـعـرُ الرّثـا يجفُو ولسـتُ أُطِيقُـهُ ... فـأشـكُّ حـيـنـئـذٍ بـأَنّـيَ شـاعِـرُ

والشِّـعـرُ سـوطٌ للعـذابِ مُـؤَنِّـسٌ ... لمَـسـيـرَتي مـا إنْ خطـوتُ يسـايِرُ

يا عُـمـدةَ الـنّـادي الجـراري إنّـني ... إذْ جَـنَّ ليْلِـي طـولَ ليْـلِيَ سـاهِـرُ

لمّـا رحـلـتَ عـنِ الـدّيـارِ مُـغـادراً ... ومَـنِ الّـذي ليـسَ الدّيـارَ يُغـادِرُ

والـعـيـشُ لا يحـلُـو بـدُون أحـبّـةٍ ... لا صَبـرَ بعدَهُـمُ فمـا القـلبُ صابِـرُ

دَمِـثُ السّـجـايـا والمَـعـارفُ ثـرّةٌ ... ويَـدُ الـعـطـاءِ بما تَـجـودُ لَـوافـرُ

جازاكَ ربِّـي عَـن صَـنيـعِـكَ بيـننا ... وصَـنـيـعُـكَ للـنّـفـوسِ يُـحـاوِرُ

إنْ غـابَ طيفُـكَ عـن رمـوشِ عُيونِنـا ... فالذِّكـرُ بـاقٍ في النّفـوسِ وحاضِـرُ

أَكْـرِمْ أسـاتِـذةً نَـهـلْـتُ عُـلومَـهُـمْ ... يـا ربُّ عَـمّـا مـا تَـشـاءُهُ قـادِرُ

وأَثِـبْـهُـمْ عـمّـا بَلَوْا بِصَـنـيـعِـهِـمْ ... يا سَـعْـدَ مَـنْ بالـعُـلُـومِ يُـتـاجِـرُ

وصـلاةُ ربّـي والـسّـلامُ مُـؤَبَّـدٌ ... عـنْ أحـمـدٍ والآلِ حـزْبٌ طـاهِـرُ

مـا دَامَ مُـلـكُ اللهِ فـي مَـلَـكـوتِـه ... سُـبـحـانَـهُ جـلَّ الإلَاهُ الـبـاصِـرُ

رثاء العلّامة الدكتور عباس الجراري

تعذر عليه الحضور يوم الندوة فبعث بالقصيدة إلى رئيس الجلسة

محمد أبو الهدى اليعقوبي

العالم و الشاعر

رثاء العلامة الدكتور عباس الجراري

أَيُّ فَبْرٍ قَدْ جَلَّلُوهُ بِآسِ ... وَعَلَيْهِ بَكَى جَمِيعُ النَّاسِ

أَيُّ خَطْبٍ دَهَى وَطَوْدٍ تَهَاوَى ... وَمِدَادٍ قَدْ جَفَّ فِي الْقِرْطَاسِ

أَيُّ رَوْضٍ ذَوَى وَنَجْمٍ تَوَلَّى ... أَيُّ نَادٍ أَقْوَى مِنَ الْجُلَّاسِ

إِنَّهُ الدِّينُ وَالْفَضِيلَةُ تَنْعِي ... عَلَمًا طَاهِرًا مِنَ الْأَدْنَاسِ

إِنَّهُ الْعِلْمُ قَدْ أَرَنَّ حَزِينًا ... بَعْدَمَا انْهَدَّ مِنْهُ كُلُّ أَسَاسِ

إِنَّهُ الْمَغْرِبُ اسْتَفَاقَ كَئِيبًا ... بَاكِيًا مُعْوِلًا عَلَى الْعَبَّاسِ

عَالِمٌ حُجَّةٌ أَدِيبٌ أَرِيبٌ ... مُرْهَفُ الذِّهْنِ أَوْحَدُ الْأَكْيَاسِ

نَاثِرٌ نَاقِدٌ فَصِيحٌ بَلِيغٌ ... عَبْقَرِيٌّ لِلشِّعْرِ خَيْرُ نَطَاسِي

بَحْرُ عِلْمٍ مَا كَانَ فِيهِ كَمَنْ يَضْـ ... ـرِبُ بَعْضَ الْأَخْمَاسِ بِالْأَسْدَاسِ

حَمَلَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِيهِ قَدِيمًا ... آخِذًا مِنْهُ أَنْفَسَ الْأَقْبَاسِ

عَشِقَ الْمَغْرِبَ الشَّرِيفَ وَأَبْدَى ... فِي هَوَى الْعَرْشِ أَطْيَبَ الْأَنْفَاسِ

مُسْتَشَارًا وَخَادِمًا وَأَمِينًا ... نَصْحُهُ جَوْهَرٌ مِنَ الْأَلْمَاسِ

حَازَ بِالْبَحْثِ وَالْكِتَابَةِ كَنْزًا ... مِنْ عُلُومٍ تَحْتَاجُ أَيَّ مِرَاسِ

كَمْ كِتَابٍ قَدْ خَطَّهُ بِسَدَادٍ ... مُبْدِعًا فِيهِ صَارَ كَالتِّبْرَاسِ

وَلَئِنْ غَابَ جِسْمُهُ فَهُدَاهُ ... بَيْنَنَا خَالِدٌ بِغَيْرِ تَنَاسِي

فَعَلَيْهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ غَيْثٌ ... لِعُلَاهُ يَكُونُ خَيْرَ مُوَاسِي

محمد أبو الهدى اليعقوبي

كلمة الأسـرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

محمد الجراري
ابن الراحل عباس الجراري
وعضو النادي الجراري

حضرات السيدات والسادة،

أستسمحكم في أن أعرب عن شعور عميق يخامرني أودّ الإفضاء به إليكم في مستهل هذه الكلمة التي أتحتم لي أن ألقيها في ختام هذه الأمسية التأبينية، وهو شعور مزدوج، عامر من جهة بالحزن والألم، حزن كبير وألم جسيم للنبأ الذي نقل إليّ عبر الهاتف يخبرني بانتقال السيد الوالد إلى عفو الله ورحمته، وأنا ما زلت تحت التخدير من عملية جراحية لم تسمح لي بحضور مراسيم الجنازة.

وإنه لرزء فادح أن يفقد الإنسان عزيزاً عليه كيفما كان، فكيف حين يكون هذا العزيز والده الذي نشّأه ورعاه وعلمه، وذلك أن فقد الوالد يُشعر الولد بيُتم ما أخال مصدره أنه كان من صغره يربّيه وينشئه ويعلمه فحسب، ولكن كذلك أنه في كبره كان ينصحه ويوجّهه ويرفق به ويمدّ له يد العون، من غير ما حاجة أو مسألة، فإذا مات لم تجد له مثيلاً أو بديلا في الناس كافة.

وتلك مصيبة كبرى، مصيبة الموت. مصيبة جلل لا تغلّب عليها إلا بالصبر. فالجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا. وصدق الله تعالى في قوله: ﴿وبشّرِ الصّابِرِين الَّذِين إذَا أَصَابَتهُم مُصِيبةٌ قَالوا إنَّا لله وإنّا إلَيهِ رَاجِعُون﴾.

ويتمثل الجانب الثاني لشعوري المزدوج في أنَّ عَلَيَّ واجب الشكر أصالة عن نفسي، ونيابة عن والدتي الحبيبة التي شهد لها الوالد، رحمه الله، بالدور الكبير والمجهود المتواصل طوال 63 سنة بقوله لي: «كن مكانتش أمكم، كن ما وصلتش للذي وصلت ليه، لأنها هازَّة عليَّ كلَّ شيء باش نكون أنا متفرغ لشغالي».

أقول أصالة عن نفسي، ونيابة عن والدتي، وأختي ألوف التي لم تتمكن من الحضور بيننا اليوم، وصغيرتنا ريم التي كانت أقربنا إلى الوالدين مسافة في مدينة الرباط.

شكر وامتنان لمولانا صاحب الجلالة المؤيَّد بالله سيدي محمد السادس، الذي كان دائما الذُّخر والملاذ وحِصن الأمة المتين، والذي نعترف بأفضاله العميمة وأياديه البيضاء، وكبير عنايته وعظيم رعايته للوالد رحمة الله عليه، كلما أَلَمَّ به أو بأحد أفراد أسرته مكروه. جزاه الله بخير وأبعد عنه كل شر.

وشكر وامتنان للحضور الكريم الذي اجتمع في رحاب هذه القلعة العتيدة، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، التي تضم بين جدرانها من تراث أمتنا الكثير، مُعرَباً وملحونا وأمازيغيا، وبعضه مما ساهم فيه والدي عميد الأدب المغربي.

وأستأذنكم في أن أوجّه عبارات التقدير للسيد وزير الشباب والثقافة والتواصل، وللمديرة العامة للمكتبة الوطنية بالنيابة ولكل العاملين بها على الجهود التي بذلوها لإنجاح هذه الأمسية.

وعن الشعور نفسه، أُعرب لسائر أعضاء النادي الجراري، وخاصة الأستاذين الجليلين محمد احميدة ومصطفى الجوهري، وكل المتدخلين الذين قدموا شهادات في حق الوالد العزيز، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، ساعين لإضاءة بعض جوانب الصراع والكفاح والتضحية والتحدي التي لازمت المسير الجراري، منذ بداية النادي عام 1930 إلى اليوم.

ولا يفوتني، وقد عايشت نشاط النادي الجراري –وأنا طفل- في مراحله المتتالية، بزنقة القاضي عياض بديور الجامع، ثم بالهرهورة إثر انتقال مؤسّسه «با سيدي» عبد الله بن العباس إلى رحمة الله، وبعدها في حي الرياض إلى جانب الوالد «عميد الأدب المغربي» كلما صادف اجتماع النادي وجودي بالوطن الحبيب.

كما تجدر الإشارة إلى أن الوالد رحمه الله، كان ينتظر بفارغ الصبر حلول الجمع لأنها من أسعد الساعات في أسبوعه لدرجة أن أحفاده أطلقوا على النادي «Happy hours» أو ما يترجم إلى «الساعات السعيدة».

وعلى أمل استمرارية النادي في المستقبل، إكراما لروح مؤسسه وخلفه نجله البار عباس الجراري، رحمهما الله، ورزق الوالدة الصحة والعافية لإتمام مشروع الوالد كما كان يتصوره. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ملحـق الصور

مدارات الوفاء والاعتراف

شهادات في ذكرى رحيل المفكر والأديب

الدكتور عباس الجراري عميد الأدب المغربي

القسم الثالث

شهادات وعروض قدمت

بالمعرض الدولي للنشر والكتاب

في دورته 29 بالرباط 2024

المرحوم عباس الجراري وأثره في الثقافة المغربية

المكان: المعرض الدولي للكتاب بالرباط

الزمان: الجمعة 10 ماي 2024

تسيير: الأستاذ إبراهيم المزدلي

بمشاركة الأساتذة:

- حميدة الجراري
- مصطفى الجوهري
- فيصل الشرايبي
- عبد الحق عزوزي

موضوع اللقاء:

عباس الجراري
والجهد العلمي المكرّس لإرساء دعامات الأدب المغربي

إبراهيم المزدلي
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس-الرباط

حضرات السيدات والسادة،

أبدأ بسؤالٍ أعتبره مركزيًّا وهو: هل نحن في حاجة إلى أن نتساءل عن موقع الأستاذ الجراري وكفاحه المستميت، ليتبوّأ الأدب المغربي المكانة التي يستحقها في الجامعة المغربية، والدراسات الأكاديمية التي تهتم برصيد المغاربة الزاخر، في المجالات العلمية الكبرى، التي أدلى فيها العلماء والباحثون بمساهمات متميزة، وعند المنصفين، من جهابذة العلم والأدب، في العالم العربي بقيمتها الراسخة، ومكانتها القيّمة في مدارج الإبداع الراقي،

ومقامات الفكر السامية، والإسهام الرفيع، في ميادين الصنائع الفائقة، من شعر وخطابة وموسيقى، ونحت، وتصوير، وعمارة وفسيفساء، وزخرفة على الخشب والحجر، وإبداع أجمل الأشكال على وجه الزليج المغربي، الذي سارت بذكره هو والقفطان الركبان في العالم بأسره ؟

الأستاذ المرحوم عباس الجراري، ناضل باستماتة درب المؤمن بعدالة ما يحارب من أجله، عندما جعل قضية شعر الملحون قضيته الأولى، وأعطاها كل قدراته، وطاقته الكاملة، على الرغم من المدّ الساحق للذين حاولوا إغراق مركبه، وسط اللّجة العميقة، ولكنه ظل متشبثاً بما رآه حقا، وآمن به عدلاً.

إن الانتصار في مواجهة، لم تكن فيها الفرص متكافئة، لكن إصرار المقتنع بعدالة ما يدافع عنه، قاد المركب المترنح إلى شاطئ الأمان، وفاز الأستاذ عباس في المعركة، وهبها قدراته العقلية والوجدانية والبدنية، اعترف العالم بموقع شعر الملحون، ومركزه السامي في منظومة ما أقرّته منظمة اليونسكو، وهو نصرٌ مبين لكل شيوخ هذا الفن المغربي الراقي، على مدى القرون الطويلة، وقد رفع لواءه عالياً مرفرفاً الصديق المبجل الأستاذ عباس الجراري.

حقّق الحلم وعدة مشاريع معه، في الدرس الجامعي، والبحث العلمي في الأدب المغربي، وكانت تبدو للبعض مجرد أوهام، يفرح بها النائم، ما دام يبصرها وهو مغلق العينين، وإذا فتح بصره على الواقع، لم يجد إلا الراسخ الذي لا يتغير والذي لا يتحول.

... عباس الجراري: «مرمى الأحقاد»

إن عباس الجراري رجل المعاناة العنيفة، والمكابدة الشّاقة، تحدثتُ عن صنوف من هذه المواجهة القاتلة بينه، وبين أنواع من العذاب الماحق، الذي واجهه في مراحل متعددة من حياته، وظهر في بحث كامل، استغرق أربعا وخمسين سنة (54)11 حاولت أن أبين فيه أنواع العذاب، وصنوف الضنى، التي واجهها المرحوم، وحاول أصحابها صدّه عن سبيله الذي اختاره، عن رضى واقتناع وحقّ، وقرّر السير فيه إلى النهاية، على الرغم من صنوف الأذى، وأنواع المخاوف والمهلكات، التي حاول أعداؤه أن يرعبوه بها.

11 من كتاب «للرحيق شميم وشمم» مقاربات للسيرة الذاتية: «رحيق العمر» للأستاذ عباس الجراري، من الصفحة 57-108، تنسيق وتقديم: د. محمد احميدة.

وهذه إطلالة سريعة لا يسمح المقام بأكثر منها، وهي تعري جانباً من هذا الجانب المأساوي المر، في حياة المرحوم.

«أقول لكَ أيها الصديق العزيز، لا عليك من الشَّرر الذي هب من كل ناحية، ليحرق بعض أحلامك، فقد دُسْت بصبر وجلد معابر الجحيم، التي أجَّج لهيبها قوم يريدون امتطاء الأعناق، وسحق الذين يحبون أن يظهروا على السطح، وهم يحفرون بمعاول المعاناة والصبر في أرض الصخور المتحجّرة، وتزداد إرادتهم قدرة وإصرارا كلما هبّت رياح السموم، من مضارب الحاقدين والحاسدين، والذين يريدون وحدهم أن يُطلّوا على بقية الناس، من أبراج سردية، بناها خيالهم، وعجز جهدهم وعلمهم عن إدراكها بدون سحق الآخرين، ومحق المجتهدين، ومنع أصحاب الإرادة القوية، من الوصول إلى خط النهاية، في صراع الأبطال الحقيقيين، في سباق نزيه، ومباراة صادقة، لا يصل فيها إلى حظوة الفوز والظفر، إلا من اعتصم بإرادة قوية، وعزيمة صلبة ثابتة، وجعل لنفسه منهاجاً واضحا، ليبلغ الغاية الكبرى، التي ندر حياته كلها من أجلها، وجعل عون الله مرتكزه الأول، وعصاميته رغيفه وزاده الذي لا ينتهي، في مسيرة الإصرار، على بلوغ الهدف المأمول وعناق الغاية المرجوة».

عناية الله بلسم الجراح:

ولا أحبّ أن أختم هذه الصفحة الحزينة في حياتكَ، بالبحث عن بقايا دموع، أستنزلُها من سحابة آلام. لقد جنّبكَ الله تعالى، بجميل لطفه كثيرا من الشدائد، ومنحكَ القدرة الكافية لتجاوزها، وغادرتَ عدداً من المستشفيات والمصحات بالمغرب وخارجه، وقد امتلكتَ مزيداً من الصبر على المحن، والعودة إلى نشاطكَ العلمي الزاخر، الذي كان دائماً نافذة مكسوة بالزهور، منمقة بالآمال، ترى منها حياة مشرقة بكلّ جميل، مزخرفة بكل بهيّ، ولذلك لم يهزمكَ المرض، ولم تحطمكَ العمليات الجراحية المتتابعة، وغدوتَ في رأيي نموذجا للعالِم الواعي بدوره الجبّار، في مجتمعه وبين أهله وقومه، والذي لا تزيده الطعنات إلا دربة وتمكّناً من فن المواجهة، والصبر على الابتلاء، وطلب العون والرحمة من مالكهما الأوحد، خالق الوهب والعطاء، الرحمن الرحيم».

الحمد لله
والصلاة والسلام على رسول الله

حميدة الصائغ الجراري

أستاذة باحثة
أرملة المرحوم د. عباس الجراري

السيد وزير الثقافة والشباب والتواصل،
السيدة المديرة لطيفة مفتقر،
السادة أعضاء لجنة التنظيم للنشاط الثقافي بالمعرض،
السيدات والسادة الحضور الأفاضل، كل باسمه وحيثيته.

تلبية لدعوة كريمة توصلتُ بها من السيد وزير الشباب والثقافة والتواصل، أحضر معكم اليوم، عاشر ماي 2024، وقد مضت على وفاة المرحوم الدكتور عباس الجرَّاري ثلاثة أشهر وعشرون يوماً، عانيت خلالها الأمرين: الفراق أولاً، والوحدة ثانياً.

لم يبق شيءٌ من الدنيا أسرّ به ** إلا الدفاتر فيها الشعر والخبر
مات الذين لهم فضلٌ ومكرمة ** وفي الدفاتر من أخبارهم أثر

وإنه لصعب عليّ في هذه المناسبة، أن أتحدث عمن رزئت به كما رُزء الجميع.

غير أن العنوان الذي اختاره المنظمون لهذه الجلسة «عباس الجراري في الذاكرة»، يسعفني في الكلام عما أريد أن أقوله وأعرب عنه.

فقد شاءت الأقدار أن نلتقي صباح أول يوم وصلنا فيه القاهرة، أواخر شتنبر 1956، وهو اللقاء الذي وصفه رحمة الله عليه في كتابه «رحيق العمر» بأنه من «أجمل ما صادف هذا اليوم وهو عند مصعد بناية مكتب لجنة المغرب العربي بشارع عبد الخالق ثروت».

ولم يكن في الحسبان أن ذلك اللقاء ستتولد عنه علاقة نمت شيئا فشيئاً، وغذتها ظروف انتهت بها لارتباط وثيق باركه الأهل، ووثقه أعضاء سفارة المغرب بالقاهرة آنذاك، وعلى رأسهم السيد السفير المرحوم أحمد بلمليح.

وكان ذلك بمثابة إذن أو ترخيص بملازمته وتمريضه، والعناية به أربعة أشهر بعد التدخّلين الجراحيين الذين عانى منهما.

وتوالت السنون والأعوام بحلوها ومرها، وإن كانت كفة الثاني ترجح دائما.

غير أن العزيمة والإرادة والتحدي والتعاون، واستحضار الهدف المبتغى دائما، كلها كانت دافعاً للتغلب على سائر الصعاب أيا كان مصدرها لتحقيق المشروع الفكري الذي ارتآه الأستاذ الشاب في ذلك الوقت، والذي سَفَّهَه البعض وحاربوه. ولكن إصرارنا على إنجاحه مهما كلف، جعل التعتيم يرتفع عن الزجل في المغرب، وينشر أول مؤلف فيه كتاب «القصيدة»، الذي كان أطروحة نيل الدكتوراه.

في سياق هذا النمط من العيش، استمر عملنا طوال 63 سنة، لا نبغي سوى كشف الحجاب عن تراثنا الغزير والمتنوع، المادي واللامادي، المعرب والملحون، والأمازيغي والحساني، بدون تفريق أو استبعاد لجانب فكري أو أدبي أو ديني، مع انفتاح كبير تتحقق به الأصالة والمعاصرة. وكنا نجد دائما في المتربعين على العرش العلوي المجيد خير محفز ومشجع، ومواقف جلالة المغفور له الحسن الثاني من المشروع الجزَّاري لقيت كل ثناء ومواكبة، وكذا من صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره، فكان التعيين بالمدرسة المولوية، ثم التكليف بمهمة في الديوان الملكي، والمشاركة في الدروس الحسنية، والخطابة في مسجد للا سكينة، والتتويج بمنصب مستشار لجلالة الملك، والاستدعاء قبله لتمثيل المغرب في الحوار بين الأديان الثلاثة، ومحاولة التنسيق بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

وبناء الهوية الوطنية وما استلزمه كل ذلك من غياب أستاذنا لفترات عن البيت وتحملي العبء وحيدة، لولا المساعدة التي كنت ألقاها من العائلة، وخاصة أختي الكبرى الحاجة أم كلثوم، وخالي الطاهر الصايغ رحمهما الله، على ما بذلا وأسديا لأسرتي الصغيرة، دون أن أغفل ما كان يغمرنا به والدي المرحوم من جميل النصح وكثير العون المادي، أثابهم الله خير الجزاء.

وكما افتُتحت حياتنا المشتركة بالمرض، فبه انتهت في العشرين من يناير 2024.

فماذا عساني أقول في هذه المناسبة، وقد أَلجم لساني ألم الفراق ووقع الرزء الكبير، الذي لا رادّ له والذي فُجعت به، وضاعف من حدته عدم حضور ابننا محمد وارث سر أبيه والذي خضع لعملية جراحية كبيرة يومين قبل المصيبة، كما يصفها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

ولست أجد خيراً من الرجوع لما سبق أن قاله الفقيد العزيز في مناسبة مماثلة، متأملاً لحقيقة الموت، ونُشر نصّه في الجزء الثاني من كتاب «مع المعاصرين»، تحت عنوان: «ذكريات مكلوم من وقع الفراق المحتوم»:

«لقد خلق الله الموت وجعله حقّاً وحتَّمه مصيراً لكل حيّ. إنه عز وجل يخاطب رسوله العظيم فيقول: ﴿إنّك ميّتٌ وإنّهم ميّتُون﴾. ويقول: ﴿كلّ نفسٍ ذَائقةُ المَوت﴾. ويخبرنا تبارك وتعالى بأنه خلقنا ثم يتوفانا وبأن الموت ليس عدماً لأنه لا يخلق العدم: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ بدليل أن الإنسان في موته يكون مطالباً بالحساب وهو حساب يبدأ منذ اللحظة الأولى لوجوده في القبر. إذن، خلق الله الموت وجعله محطة من المحطات كما جعل الدنيا دار عبور، وجعل الموت كذلك طريقا وسبيلا للدار الآخرة، تلكم الدار التي هي الدار الحقيقية: ﴿وإنّ الدّار الآخرةَ لهِي الحَيوان، لَو كَانُوا يَعلمُون﴾، أي الحياة الحق.

ورسول الله (ص) يخبرنا بأن المرء يوم القيامة مع من أحبّ.

من أجل ذلك، نحن نصبر على المصيبة لقوله الكريم: ﴿وبشّرِ الصّابِرين﴾.

وانطلاقا من هذا التأمل، حلت عقدة لساني: لقد فارقنا الذي كان أستاذ الجميع بأخلاقه السمحة، وهدوئه اللافت، وجهوده الدائبة، وعمله الذي لم يفتر طوال حياته، مستصغراً ونافراً كلَّ ما يصرف عن الجد، عالما كبيرا وموسوعيا قلَّ له النظير، محباً لوطنه ومتفانيا لرفع ذكره بين الأمم، معترفا لمن يساعده ويقف إلى جانبه بوجه صبوح طلق، وابتسامة دائمة، وبحديث منغمة راؤه وفق تعبير الشيخ أحمد سهوم، وحُنوّ وحدب بالغين على إخوته وطلبته، لا يرد سائلاً ولا يخيب محتاجا، معتزا بنفسه وبنسبه، متسامحا في علاقاته، وبارا بوالديه، ومستندا على أسرته الصغيرة، لا يزحزحه عن حبها والتمسك بها أي عارض، وفيا لمبادئه، ومخلصا في ولائه للملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، فقد رعاه منذ الصغر وشجعه في الكبر، وكان بعده صادقا في الوفاء لجلالة الملك محمد السادس الذي أثبت أنه خير خلف لخير سلف.

وأختم بأن «عباسي» كما كان يحلو له مني النداء، سيظل في الذاكرة، لا أسلوه وهو رفيق دربي وشريك حياتي وأستاذي وأب أولادي، وصدق حين قال مشعراً:

كمـا هـي دنيانـا ولسـنا سـوى بهـا ** عبـوراً إلى الأخـرى نسـاق ونسـحب

سلام عليه من المولى، فما مات من ترك بعده واحداً من ثلاث: علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له، وأستاذنا قد جمعهم فطوبى له.

والشكر لكم على إنصاتكم مع الاعتذار إن كنت أطلت.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مصطفى الجوهري
أستاذ جامعي ومحافظ النادي الجراري

حضرات السيدات والسادة.

في البدء ليس غريبا أن يلتئم هذا الجمع المبارك حول شخصية نادرة المثال في منظومتها الذاتية والقيمية والثقافية، شخصية كان هاجسها الثقافة، شخصية بل علَم كان شغله الشاغل الكتابة والكتاب تؤكد سيرته وإنتاجاته الكثيرة ويعززه غرامه باقتناء الكتاب، كما تؤكده ذلك مكتبته العامرة ببيته (المكتبة العبّاسية). إنه أستاذنا الجليل عباس الجراري رحمة الله عليه، المعروف بقامته المعرفية السامقة، فهو العالم والمفكر الموسوعي الرائد، والمؤسس للمشهد الثقافي بتجلياته المختلفة، بل صاحب مشروع علمي ثقافي، ظل يتسع ويتجدد في مختلف المحطات وطنيا وعربيا وإسلاميا على امتداد حياته أهّله ليصبح عن جدارة عميد الأدب المغربي، بل ليحتل مساحة شاسعة في الذاكرة الثقافية المغربية والعربية والإسلامية يصعب استحضار معالمها في حلقة أو جلسة أو لقاء.

لذلك سأحاول الحديث عن بعض الومضات المختصرة من خلال محطات ذاتية وثقافية خبرتها فيه من خلال صحبة علمية وأسرية تجاوزت خمسة عقود، منها أربعة عقود بالنادي الجراري العتيد، وقبله بالجامعة، ثم في العمل الجمعوي. وهو في كل محطة كان متميزاً بنبله، وتواضعه وعطائه وكرمه وفضائله وتفاعله، فقد تعلمت منه الكثير، وأدين له بالكثير، ولا أخفيكم أنه ساهم في صقل شخصيتي، ورسم لي طريق الانغمار في البحث والدراسة والعطاء الهادف.

إن الباحث في كتابات عميد الأدب المغربي وعطائه الفكري والأدبي والإبداعي والثقافي سيلمس مدى جهوده المضنية في خدمة الثقافة المغربية بدءاً بالجامعة المغربية ومعاهدها العليا، والتي احتلت مدارات مهمة في فكره ومشروعه منخرطاً في إصلاحها وتطويرها، وتدبير

سلسلة التكوينات بها، بل وفي تأهيلها للتحديات الحداثية، أو الحديثة، وخاصة منظومة البحث العلمي والثقافي وهي منظومة صارت جزءاً من انشغالاته وهواجسه الذاتية، ظهرت بعض مكوناتها المرتبطة بالبحث العلمي الأكاديمي، خاصة في تأطير الرسائل والأطاريح الجامعية سواء التي أنجزت تحت إشرافه، أو عضوا مساهما في فحصها ومناقشتها، أفرزت خصوصيات إبداعية ذاتية ومعرفية وموضوعاتية... شكلت وجها جديداً في البحث العلمي في مختلف وحداته ومفردات مقرراته وبرامجه... ساعدته على ترسيخ وإدماج الأدب المغربي وأدب الغرب الإسلامي، والنهوض بموروثه الثقافي، ومكنته من تجديد المقاربة العلمية والفنية بإحياء (المنسي) منه و (المهمل) من تراثه الموروث، بل جددت بشكل عام خطاب الأدب المغربي تاريخيا ونظريا وثقافيا، وحوّله الأستاذ عباس الجراري من (النسيان) و (الإهمال) إلى الحياة والانفتاح. فكان له فضل تجديد رؤية الباحث والمثقف المغربي والعربي، واستثمار مداراته ووظائفه الإبداعية والثقافية في تطوير وتجديد مسالكه وقيمه ومقوماته، وإغناء مقارباته المشروعة. فالتفت إلى التراث الشعبي والثقافة الشعبية بجميع ألوانها وفنونها لا يسعفنا الوقت في عرضها. وما أثرناه حول الأدب المغربي يدفعنا إلى الحديث بإشارة مختصرة إلى الأدب الأندلسي الذي كان من الأُول الذين ساهموا في تجديد البحث فيه وجعله مدخلاً للدرس الأدبي الجامعي إلى جانب الأساتذة: محمد بنشريفة، عبد السلام الهراس، ومحمد ابن تاويت، ومحمد الكتاني وآخرين...

وأستسمحكم في العودة إلى الثقافة الشعبية بتوجيه وتأثير من والده العلامة المؤرخ عبد الله الجراري حيث اهتم بأدب الملحون فنهض به بوسائل ثقافية متباينة سواء في النادي الجراري أو بأكاديمية المملكة المغربية، أو في الجامعة أو في الأعمال الجمعوية أو المهرجانات... إلخ والكل يستحضر أطروحته الجامعية (الزجل في المغرب: القصيدة) التي تعتبر فتحاً ثقافيا وأدبيا وتوثيقياً جديدا، بل تعتبر مصدراً أساسيا للبحث في أدب الملحون، جددت آلياته الإبداعية والفنية والاجتماعية.

ولعل أبرز أعماله في هذا الباب السهر على جمع شتات هذا الأدب وتوسيع نشره وتعميمه، ويتجلى الأمر في إشرافه على إخراج موسوعة الملحون بأكاديمية المملكة المغربية، ضمت أحد عشر ديوانا زجليا ملحونيا، حلاها بمقدمات بل بدراسات تعتبر إضافة نوعية تغني مقارباته الأساسية للمتن الشعري وأعلامه.

وليس غريبا أن يتوج عمله المضني باعتراف منظمة «اليونسكو» بأدب الملحون تراثا عالميا، والمتتبع لهذا الحدث سيلمس مدى دور الأستاذ عباس الجراري البارز في هذا الاعتراف عبر الملف الوجيه الذي ساهم في تحرير مفرداته، عزز نضاله الطويل في هذا اللون الأدبي إلى جانب دوره الذي امتد إلى الثقافة واللغة العربية والأمازيغية وثقافة الصحراء والشعر الحساني وآداب محلية كثيرة وأغلبها كان يومئذ أدباً بكرا، شجع الطلبة والدارسين على البحث في مكوناته رغم إكراهات الإقبال عليه يومئذ.

وبالعودة إلى كتابات أستاذنا ومدى عنايته بقضايا الثقافة المغربية –وهو أحد روادها- وتفاعلاتها التنموية وتأثيراتها المستقبلية على الإنسان وعلى المجتمع وعلى الإصلاح المنشود وعلى بناء النهضة المنتظرة على اعتبار «أن الثقافة في النهاية تشكل عاملا آخر يهدف إلى صنع الإنسان وتكييف فكره وبلورة وجدانه»، وإلى جانب ذلك نجده وهو يطرح تحولاتها ومعطياتها ومقوماتها التحديثية وتحدياتها المستقبلية يربطها بالهوية باعتبارها مكوناً أساسيا يعتمد على منهج محكم يتأسس على أربعة مقومات خلاصتها:

أولاً: البيئة أي الوطن بمعناه الطبيعي وتعدده البشري.

ثانياً: اللغة كأداة للتواصل والخطاب بروافدها المحلية (لهجات ولغات محلية...).

ثالثاً: التراث في بعده الثقافي والحضاري.

رابعاً: الدين بتفاعله وتأثيره وتحكمه تنظيرا وتطبيقا وسلوكا...

وأخلص في النهاية أن الأستاذ عباس الجراري رحمه الله سيظل حاضرا في الذاكرة الثقافية المغربية والعربية والإسلامية، فقد عرفته مؤسسا ومنظرا ومحاربا فكريا متميزا في ترسيخ الوحدة الثقافية بأهدافها الوطنية، وبأبعادها الإنسانية، مما عشته في مواكبة دائمة لمنجزه الذاتي والثقافي والاجتماعي، ملتزما بتطوير مشروعه الفكري وإثراء رسالته الثقافية النبيلة...

وأستسمحكم في الإطالة. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عن المرحوم عباس الجراري...
(رِجَالٌ صَدقُوا مَا عَاهدُوا اللهَ عَلَيه)

عبد الحق عزوزي
رئيس كرسي تحالف الحضارات
عضو مؤسس وعضو مجلس إدارة الجامعة الأورومتوسطية بفاس

يعتبر العلامة الفقيه والأديب الكبير سيدي عباس الجراري، رحمه الله من بين أولئك الذين ناضلوا عن أصالة بلدهم ووطنهم ووحدة لواء العروبة والإسلام، وسهروا على إرهاف وعي الخاص والعام وإزاحة رواسب ليالي المحنة والمرهقة بصراع القوى ومعترك المذاهب وصدام التيارات، ويظلون في موقعهم من ميدان الجهاد، حتى إذا توفوا بقوا أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فمثله وإياه كما قال الرائي:

جلّت رزيئتُه فعمّ مصابُهُ
فالناس فيهِ كلّهُم مَأجورُ
والنّاسُ مأتمهم عَليهِ واحد
في كلِّ جار رنّة وزَفيرُ
ردت صنائِعُهُ عَليهِ حياتَه
فكأنّهُ مِن نشْرِها مَنشورُ
سيُثني عليكَ لِسانُ مَنْ لم تولّه
خيراً لأنّك بالثّناءِ جَديرُ

وعباس الجراري هو واحد من القلائل الذين مدادهم مروءة عربية، وبريقهم هي شمس العرب الحقيقية، التي تفهم الدين الإسلامي على حقيقته، وبناء الحضارة على حقيقتها؛ والجمال منهم فتان... وهو كان، رحمه الله، من حماة الضاد وسدنتها ورعاتها ومن أمراء العقل والسماحة والسلام وبناء الأسرة الإنسانية الواحدة والبيت المجتمعي المشترك، ومن فرسان ميادين قبول الآخر وقمة في التواضع... وكانت بيني وبين سيدي عباس وصلة الأخوة الصادقة، ووشيجة الوطنية الصافية، والكلمة الراقية، ومحتد الشهامة الأصيلة في قواسم العلم والانتماء الثقافي والتربية الأسرية...

وعباس الجراري هو عالم مغربي موسوعي تنوعت مجالات إنتاجه من النقد الأدبي، إلى أدب الرحلة، والسيرة الذاتية، والشعر، والتراجم، وتاريخ الفكر والأدب، وقضايا الفكر الإسلامي.. ولد عباس الجراري يوم 15 فبراير/شباط 1937 في الرباط، وهو من أسرة علمية، إذ يُعدُّ والده الأستاذ عبد الله الجراري من رواد الحركة الثقافية المغربية ومن كبار علمائها ومنذ صغري وأنا أسمع والدي العلامة الدكتور ادريس عزوزي، أطال الله في عمره، يتحدث عنه وعن علمه وشجرة العائلة المباركة، إلى أن شاءت الأقدار الربانية أن أصبحت علاقتي مع سيدي عباس علاقة الإبن تجاه والده الروحي، يزورني وأزوره في بيته، ونقضي الساعات والأيام نجول في الفقه والأدب والسياسة والتاريخ...

وقد تولّى عباس الجراري وظائف كثيرة ومناصب عديدة، حيث التحق بالسلك الدبلوماسي لسفارة المغرب في القاهرة عام 1962، وانضم إلى هيئة التدريس في جامعة محمد الخامس في فاس ثم في الرباط عام 1966.

وشغل عضوية أكاديمية المملكة المغربية، وعينه جلالة المغفور له الحسن الثاني في الديوان الملكي في يناير/كانون الثاني 1999، ورقاه جلالة الملك محمد السادس لمنصب مستشار ملكي في 29 مارس/آذار 2000.

ومن أراد أن يتوسع في ثبته، فيمكنه أن يطلع على كتابه «رحيق العمر، موجز سيرتي الذاتية ج. 1، النشأة والمشروع» تخليدا للذكرى التسعين لتأسيس النادي الجراري 1930-2020 فالقارئ له سيعرف كيف وصل سيدي عباس إلى ما وصل إليه والمشقات التي واجهها وهو يتمثل قول الشاعر:

تُريديـن إدراك المَعـالي رَخيصَـة * ولكـن لا بـدّ للشّـهدِ مـن إبَـر النّحـل

وإذا صح لي أن ألخص نجاحه، رحمه الله، في حياته المعطاءة، بناء على معرفتي بأخوته، فإنه يمكن تلخيص ذلك في ثلاثة أسرار: توفيق الله عز وجل، الصبر، ونشأته في بيت علم ودين ووطنية ؛ وفي هذا الصدد يقول في مقدمة كتابه الرائعة: «وإني لأود منذ البدء في هذا التقديم، أن أشير إلى أن نشأتي في بيت علم ودين ووطنية كان لها أكبر تأثير على مسيرة حياتي، وكان لي فيها الوالد رحمه الله هو القدوة والمثال. تضاف إليها حياتي الصحية التي جعلتني تلقائيا ومنذ طفولتي الأولى أصرف النظر عن كل ما يتعارض مع سلامتها، أو ما يبعدني عن اتباع القدوة وتحقيق المثال. وذلكم ما جعلني أعيش شبه سلوك صوفي، هو أقرب ما يكون إلى خمول ذهني لا أثر له في المظهر الخارجي إلا ما قد يكشفه الهم العلمي وما يتطلب بلوغ لذة المعرفة من جهود، قد تصادف ظروفا تفرض اتخاذ مواقف سياسية تبدو بعيدة عن الهدف العلمي والثقافي، وكنت أرى أن الزهد فيما سوى ما يدرك به هذا الهدف هو أحد مفاتيح إدراكه ؛ ومعه الصبر على تحمل المشاق (...) على ما كان فيها من تنقل والتي كان والدي، رحمه الله، يهونها علي وعلى نفسي، بمثل قول المتنبي يخاطب ممدوحه الذي كان دائم الترحل:

كل يـوم لـك ارتحـال جديـد * ومسـير للمجـد فيـه مقـام
وإذا كانـت النفـوس كبـار * تعبـت في مرادهـا الأجسـام»

عباس الجراري رحمه الله، كان نهرا من العلم المتدفق، ورمزا من رموز العطاء الفكري والأدبي، ومورداً عذباً لكل متعطش إلى المعرفة والثقافة بمختلف فروعها. وهو عالم شرف المغرب وحق أن يوضع اسمه ضمن جهابذة العلماء الكبار الذين سجلوا أسماءهم بحروف من نور في سجل التأليف والتنقيب والترحال ومكارم الأخلاق؛ وقد كان صاحب مشروع بأتم معنى الكلمة، وهو من شجرة طيبة، شجرة العلم والفكر، أصلها ثابت وفروعها في السماء جنت منه البشرية أكثر من 50 تأليفا، وقد كان حبيب الجميع، فذا عاشقا لتراث أمتنا، مثابرا على إحياء هذا التراث والمحافظة عليه بكل الإخلاص والتفاني.

وكان قد أسر إليّ المرحوم عبد الهادي التازي في حديثه عنه أنه عرفه أولا فتى يخدم والده المبجل العلامة عبد الله الذي عن طريقه عرفنا كيف نقرأ تاريخ المغرب بطريقة حداثية. وكان أساتذته يقولون عنه «إنه سيكون من أمره ما يكون»، وبالفعل فقد أمسى عباس يطل على معارج الكمال، وقد حضر الناس له مجالس علمية كان فيها شامخا متفوقا على

الذين كانوا يهابون اقترابه من موقعهم أو اقتحامه، وكان الرجل يخطو خطواته في تؤدة وثقة بالنفس عالية وبتواضع جم وأريحية منقطعة النظير. وكان بعض المعاصرين يتوجسون من فكر عباس الجراري، وزاد عباس الذي كان ينمو ويربو باستمرار، وفي توازن وتنوع، وعمق يغبط عليها... نقف على هذا التوازن وهذا العمق في تدخلاته الطارئة التي لم يسبقها تحضير، نقف على ذلك في تآليفه وفي محاضراته...

كان رحمه الله يقضي أياما عندي في البيت في العطل الصيفية هو وزوجته الأستاذة حميدة الصائغ، وبمعية زوجتي الدكتورة أسماء العلوي وأولادنا عثمان وجنّة ونهى حفظهم الله وحفظ الله كل أبناء المسلمين، وهذا تواضع من العلماء الكبار... وكنا نقضي معهما أياما هي أفضل أيام العمر نتحدث عن المذاهب والشعر والتاريخ والأدب والفقه والتفسير، فرأيته كما هو ذاك الجوهري الذي يزن الدر بالقيراط في سبيل صوغ حلى عربية عالمية تزين جيد الزمان، وذات مرة، بعد رجوعهما إلى الرباط، جاد المرحوم سيدي عباس علي وعلى عائلتي بهاته القصيدة:

فـــاسٌ لَعَمْـري عَلى البُلـــدانِ تَـزْدانُ
في طَيِّـــها كُلُّ مـا يَسـبي وســـلوانُ

إن قــالَ سَــاكِـــنها فيهَــا مَــرَاتِـعُـــهُ
وفي ثَـــراهـــا لَـهُ زَهْـــرٌ وَرِيـحَـــانُ

وفي السَّـــواقِي الـزُّلالُ العَـذبُ مَشـرَبُهُ
يَشـفي العَليـــل ويَـرْوَى مِنـهُ ظَمْـــآنُ

وَفــــي أَزِقَّــتِـهـا عِـطْـــرٌ يُـؤَرِّجُـــــهَا
وَفــي مَــنازِلِــهــا حُـــــورٌ وَوِلْــــدانُ

وَفي جَــوامِعِـــها عِـلْـــمٌ ومَــوعِـــظَةٌ
وَفي صَـــوامِعِها ذِكـــــرٌ وَإيـمَـــانُ

وَفي مَــدافِــنِـــها أَعْـــلامُ مَـعْـرِفَــــةٍ
وَفــــي مَتــاجِــرِهـــا دُرٌّ ومُــرجَـــانُ

فَـــاسْ بِـهــذا خَـيْــرُ جَـوهَـــرةٍ

تُرَصِّــعُ الوَطَــن الغَــالي لها شَــانُ

أَقــولُ: دَعْــني مِـنْ ذا إنَّ لي هَـدَفًـا

أَهْـفــو إلَيّــهِ وَإنِّــي مِنْـهُ نَـشْــوانُ

إنّـي مَـشـــوقٌ إلـى أَهْــلــي أَزُورُهُــمُ

لَـــدَيَّ في حُـــبِّهِمْ مَعـــنى وَعُـــنوانُ

فَلَـسْــتُ أَسْلــو بهــا إلا بِرِفْـقَـتِـــهِمْ

فَهُـم على هَـــامِها فخَـــرٌ وتِيجَـــانُ

هُـمْ الصَّـحْـــبُ عِـنـــدي في مَرابِعِـــها

إن عَـزَّ مَـن يُصْطَفـى فيهـا وَخِلاَّنُ

فَعَـبْــدُ الحَــقِّ في النُّـبَـغَــاءِ فَـــرْدٌ

فِـكْـــرٌ حَـديـــثٌ وَعِـلــمٌ ثُـمَّ قُـــرآنُ

يَـكفِيـه مَـا شَـهِـدَتْ فـــاسْ بِخِـدمَـتِهِ

هِـــي الدَّلـــيلُ إذا يُحـتاجُ بُرهَـــانُ

وَأَسْـمـــاءُ الـمَـصـونَـــةُ خَـيْــرُ زَوجٍ

في المَاليـــاتِ لهـــا بَـــاعٌ وإتِـقـــانُ

ورَبَّـــةُ البَـيـــتِ فـيهِ بِابْـتِسَامَـتِـها

يَغْشـو السُّـرورُ وتَنْفـى عَنْـهُ أَحــزانُ

وَ»جَـنَّــة» لا تَسَلْ كـم هـــي مُسْعِــدَةٌ

إذا شَـدَت أو تَلَـت فَالجَـمعُ فَـرحانُ

وكالعَـروسِ عَـروسِ البَحـرِ إن سَـجِتْ

وَإنْ شَكَـت أو بَكَـت فالكُـلُّ حَيْـرانُ

والشِّـــبْـــلُ مِن أُمِّهِ قَد حَـازَ ضُحْكَتـــهَا

وَيَستَجـــيبُ لمـــن نَـــادَاهُ (عُثْـــمانُ)

إليهـــم تَحـــيَّاتـــي مـــع «حَـــميدَتـــي» في

حُســـنِ الثَّـــناءِ وهَـــل يَكفِينـــا شُكـــرانُ

لَعلَّنـــا عَـــن قَـــريـــبٍ في الرِّبـــاطِ نَـــرى

مُـرَحَّـبيـــنَ بِهِـــمْ فَالـــشَّـــوقُ نِـــيـــرانُ

ثم اطلع على الأبيات شاعر عربي متمكن، الأستاذ خليل عيلبوني، فجادت قريحته بأبيات بنفس القافية يقول فيها:

قَـــرأتُ بالـحُـــبِّ مَا قَـــد خَطَّ فَـــنـــانُ

لَـهُ عَلى الشِّعـــرِ أَحْكـامٌ وَسُلطـانُ

إنَّ الـجِـراريَّ عَبَّـاســـا إذا انْـطَلـقَتْ

خُـيـــولُ أَحْرُفِـــهِ لـم يـــبـــقَ فـرُسَـــانُ

أَتـــى إلى فـاسَ مُـشْـتـاقًـا بِه طَـربٌ

وَكَـــم تَغَـنَّى بِفـاسِ الحُـبَّ عُـربـانُ

وكانَ بَـيـتٌ لِعـبدِ الحَـقِّ مُـنتَـظِـر

تَـرنُـــو لِـزائِـــرهِ بـالـحُـــبِّ جُـــدرانُ

وَكـم تَـرقَّـبَ عَـبـدُ الحَـــقِّ زائِـرهُ

كَمـا تَرقَّـــبَ عَـــذبُ المَـــاء ظَـمـــآنُ

حَتَّـى أطَـلَّ كَشَـمسِ الصُّبحِ فابْتهَجـتْ

قُـلـوبُ مَـن هُـمْ لِـذاكَ البَيـتِ سُـكَّانُ

أَسمـاءُ قَامـتْ وبِشرُ الوَجـهِ يَسبِقُـها

تَقـولُ: يـا مَـرحـبا والقَـــلبُ فَـرْحـانُ

ورَحَّــبــتْ «جَــنَّــةٌ» بالــزائِــريـــنَ ومَــا

أَخْفــى الحَفــاوَة والتَّرحيــبَ «عُثْمَــانُ»

عَــبَّــاسُ أهــلاً بِكُــم مَعكم حَــميدَتكُــمْ

هـــذي زِيَــارتُــكُـــمْ بِـــرٌّ وإحْـــســـانُ

وَفــاسُ تَزهُــو بِكم تَصْبُــو لِـرُؤْيتكِــمْ

فِــيهــا لكُـــم سَيّـــدي أَهـــلٌ وخِــلاَّنُ

وكَــم نــظَّمــتَ لهَــا شِــعــراً يخَــلِّــدُها

وإنّـــي مِــن حُــميَّا الشِّــعـــرِ نَشْـــوانُ

فأنــتَ لِلمــغْــرِبِ العَــربيِّ مُــعْــتــمــدٌ

سَفـــيرَ حُـــبٍ لَــه بَيــنَ الــوَرَى شَـــانُ

أَعْطَيتـــهُ العُــمـــرَ لم تَبخَـــلِ عَليهِ بِما

أعْـــطاكَ مِــن نِــعَمِ الإبـــداعِ رَحْــمانُ

يـا وَجـــهَ شَعبٍ عَــريـــقٍ في أصَالتِـــهِ

بِـه يُـطِـلُّ على الإنْــسانِ إنْــســانُ

أَنــا ونَجــلُــكَ «عَــبد الحَــقِّ» نُعــلِنُــها

إن جَــاز في الحُــبِّ إشْــهارٌ وإعلانُ

نَــقــولُ: أَهــلاً وسَـــهــلاً دَائــمــاً أبــداً

فــي كُــلِّ دَربٍ لَكُــمْ وَردٌ وَرَيْحــانُ

لَكُم على فـــاسَ فـضْـــلٌ ليسَ يُنكِـــرُهُ

شَـــعـــبٌ وَفِـــيٌّ وَمــا لِلفَضـلِ نِسْـيانُ

فالله أسأل أن يرحم سيدي عباس ويسكنه فسيح الجنان.

الدكتور عباس الجراري
الذّاكرة الثقافية

فيصل الشرايبي
أستاذ التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء

الأستاذ فيصل الشرايبي استهل مداخلته بقوله إن «التّتلمذ على عباس الجراري شرف، فقد غرس فينا بذاراً كثيراً، تبدأ بالأدب المغربي الذي مضى عليه حين من الدّهر لم يكن شيئاً مذكورا، ومعه تعَمّق في ذاتنا إكبار الذات المغربية بمختلف أبعادها».

وتابع الأستاذ الشرايبي: «طوّق جِيدنا بعقد فريد من درره التحقيق، والعبقرية اليوسية... وكان مسكوناً، رحمه الله، بالهمّ الثقافي، ويعلم أن الثقافة التي لا تولي الثقافة أي اهتمام لا مستقبل لها، وكان واسطة العقد لأدبنا الشعبي، فبحث عن الخصوصية المغربية... في وقت وجدت الثّقافة المغربية نفسها بين التبعية للمشرق والتبعية للغرب، فاستطاع الدكتور عباس الجراري إخراج المارد المغربي من قمقمه، مع سعيه إلى إنقاذ الدراسات المغربية من العشوائية، وذلك بكتابته عن المنهج الذي يصونها.

لم نتوصل بمداخلة الأستاذ فيصل الشرايبي كاملة، وتمّ إخراج ملخصها من موقع «هسبريس».

المشاركون في الندوة :

من اليمين إلى اليسار

فيصل الشرايبي - إبراهيم المزدلي - عبد الحق العزوزي - حميدة الصايغ الجراري - مصطفى الجوهري

مدارات الوفاء والاعتراف

شهادات في ذكرى رحيل المفكر والأديب

الدكتور عباس الجراري

القسم الرابع

جامعة محمد الخامس - الرباط

معهد كونفرشيوس

حفل تقديم ترجمة كتاب بين التنمية والثقافة

إلى اللغة الصينية

جامعة محمد الخامس بالرباط

جامعة محمد الخامس بالرباط
Université Mohamed V de Rabat

معهد كونفوشيوس

برنامج حفل تقديم ترجمة كتاب «بين التنمية والثقافة» إلى اللغة الصينية لمؤلفه عميد الأدب المغربي الدكتور عباس الجراري

البرنامج		
	15:00	إستقبال الضيوف
		تسيير اللقاء: السيدة كريمة اليتربي المديرة المغربية لمعهد كونفوشيوس بجامعة محمد الخامس بالرباط
	15:35 - 15:30	تلاوة القرآن
	15:40 - 15:35	النشيد الوطني المغربي والنشيد الوطني الصيني
	15:45 - 15:40	كلمة الترحيب للسيد فريد الباشا رئيس جامعة محمد الخامس
	15:50 - 15:45	كلمة السيد لي تشانغ لين سفير جمهورية الصين الشعبية بالمغرب
	16:00 - 15:50	قراءة للكتاب للسيد ناصر بوشيبة رئيس جمعية التعاون الإفريقي الصيني للتنمية
	16:10 - 16:00	قراءة للكتاب للسيدة لي نينغ المديرة الصينية لمعهد كونفوشيوس بجامعة محمد الخامس بالرباط
	16:25 - 16:10	شهادات حول المحتفى به الدكتور عباس الجراري
	16:35 - 16:25	تسليم الهدايا
	16:40 - 16:35	كلمة ختامية لأسرة الفقيد الدكتور عباس الجراري
		صورة جماعية

شهادة الناطق الرسمي باسم القصر الملكي ومؤرخ المملكة
السيد عبد الحق المريني

باسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

فضيلة الدكتور عباس الجراري المحترم

السيد رئيس جامعة محمد الخامس بالرباط

السيد سفير جمهورية الصين الشعبية بالرباط

الأساتذة الأجلاء

السادة الحاضرون الكرام

أتقدم بادي ذي بدء بالشكر الجزيل للسيدة حميدة الصائغ حرم الدكتور عباس الجراري على تفضلها بدعوتي للمساهمة في هذه الندوة التكريمية المنظمة من قبل معهد كونفوسيوس لتعليم اللغة الصينية الذي تديره المديرة الأستاذة كريمة اليتريبي لتقديم مؤلف الأستاذ عباس الجراري القيم الصادر بأربع لغات العربية والفرنسية والانجليزية والصينية تحت عنوان «بين التنمية والثقافة».

وبهذه المناسبة أتقدم أمامكم بعرض مقتضب عن الشخصية العلمية لأستاذنا الدكتور عباس الجراري:

« إن الدكتور عباس الجراري مؤلف هذا الكتاب لهرم شامخ من بين أهرام الثقافة في بلادنا وهو كما في علمكم شخصية موسوعية متعددة الأبعاد والاختصاصات

وإن الإشادة بأعماله الأدبية من قبل المفكرين الأجلاء تعد أصدق تعبير للتذكير بعطاءآته الفياضة في مجالات الأدب المغربي والبحث العلمي والدراسات الإسلامية والفنون الشعبية المغربية، ولا يخفى عليكم أن أستاذنا ألف ما يناهز مئة مؤلف في مختلف فنون المعرفة، نظراً لإمكاناته الفكرية وقدراته الإبداعية.

كما أشرف على إعداد الرسائل الجامعية التي بلغ عددها ما يزيد على أربعين رسالة للدكتوراه، وعلى إنجاز ثمانين دبلوما للدراسات العليا،

وقد رعى الأستاذ المشرف عباس الجراري الباحثين فيها ووجه العاكفين عليها، فأصبحوا بعد فوزهم بشهاداتهم العليا من رواد الأدب والثقافة المغربية.

وهكذا أدى الدكتور عباس الجراري وما زال الرسالة الثقافية الجامعة القيمة والغنية لوطنه ولطلابه ولكافة المثقفين الذين جنوا ثماراتها وأصبحوا دعائم للنهضة الثقافية في بلادنا، وللتطورات الفكرية في مجتمعنا .

سيداتي سادتي نكتفي بهذا القدر اليسير وندعو لأستاذنا بالصحة والسلامة والعافية والهناء، وأن يخلد الله ذكره في مجال منجزاته الثقافية النيرة،

وختاما أشكركم على حسن انتباهكم وكريم اهتمامكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

شهادة السيد عبد الحق العزوزي

رئيس كرسي تحالف الحضارات بالجامعة الأورومتوسطية بفاس

عضو مؤسس بمجلس إدارة الجامعة الأورومتوسطية

«سيدي عباس الجراري ماذا أقول عنه إنه الوالد الروحي، إنه الأخ الحبيب العزيز إنه العلامة، إنه من أولئك الذين يبعثهم الله على رأس مئة سنة ليجدد للناس أمور دينهم»

سمعت عن هذا الاسم منذ نعومة أظافري عندما كان والدي حفظه الله الدكتور إدريس عزوزي من علماء القرويين، وهو يتحدث عن والده سيدي عبد الله الجراري رحمه الله، وكان يقول بأن تلك العائلة عائلة علم وعائلة قلم وعائلة المعجزة، شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تأتي أكلها كل حين بإذن ربها، أعرفه منذ أزيد من عشرين سنة بمجرد ما دخلت من فرنسا وجدت فيه الأب الحنون والأستاذ المربي، كان يأتي يزورني عندي هنا في البيت وأزوره في البيت ويبقى معنا أسبوعا في عطلة الصيف هو وزوجته الفاضلة الأستاذة حميدة، ونتجاذب أطراف الحديث، نتحدث في الأدب وفي العلم وفي ما، ودائما كنت أجد فيه الأبوة الخالصة والعلم الغزير، هو رجل الأخلاق رجل المبادئ، رجل المكارم، هوالخطيب الواعظ، هو العلامة، هو المستشار، هو عضو أكاديمية المملكة، هو رئيس المجلس العلمي، هو الذي يذكر اسمه في مشارق الأرض ومغاربها، تآليفه تعدت المائة، وقلمه قلم معطاء، وله أسلوب خاص في إيصال الكلمة، له أسلوب خاص في أن يجعل المشكلة حلا لا أن تبقى مشكلة، هو دائما يتعاطف مع الآخرين يتعاطف مع من حوله، هو رجل لا يمكنك ألا تحبه وألا تحب زوجته، ولا تحب أولاده، يعني كلهم يدخلون في هاته الشجرة المباركة الطيبة.

ماذا أقول في حق والدي، هذا الرجل رجل مثالي، رجل استثنائي وسم تاريخ المغرب المعاصر وسم قيمة العلماء والعلم في هذا البلد الآمن.

سيدي عباس جراري هو رجل الدولة بلا منازع، هو رجل الأخلاق، هو رجل الأدب الله سبحانه وتعالى أسأل أن يطيل في عمره وأن يمتعه بموصول الصحة والعافية وأن يجعله دائماً نوراً على نور، وأن يحفظه في زوجته الأستاذة حميدة وأن يحفظه في أولاده جميعاً، وأن يمتعنا الله دائماً بالنظر إليه وبمجالسته آمين يا رب العالمين.

شهادة السيد عمر أمرير

باحث وإعلامي

للحديث عن الدكتور عباس الجراري يستوجب علينا استحضار أربعة عناصر:

الأول والده الأستاذ عبد الله الجراري الذي درسه وكونه، ثانيا زوجته الأستاذة حميدة الصايغ فهي من السيدات الأوائل اللواتي درسن وحصلن على الإجازة في الجامعة بالقاهرة وهي محامية أيضا، ولكنها فضلت بوعي تام التفرغ لإعانة زوجها الأستاذ عباس الجيراي ليتفرغ هو أيضا للعلم والمعرفة.

العنصر الثالث وهو علاقة الجراري بمنطقة سوس أو بالسوسيين بالضبط، لأن النادي الجراري في عهد أبيه كان يستقبل كبار علماء سوس، وأول شخص نشر له مقال هو عبد الله كوتر أو عبد الله خرباش روداني.

والعنصر الأخير أن السيد اليوسي وهو النموذج الذي يحضره الدكتور عباس الجراري في المغرب المعاصر، هو من القرن السابع عشر موسوعي عالم مفكر كبير.

و لكي نتكلم عن دور الجراري في الحضارة أو الثقافة المغربية يجب أن نستحضر تاريخين 1970 و 2001 ، فقبل هذا التاريخ كانت الأمازيغية مهمشة لا تدرس لا توجد بعناية، ولا يتحدث عنها ولكن الأستاذ الجراري في هذا التاريخ وفي هذا الوقت تحدث عن الأمازيغية وجعلها في مشروعه الثقافي، يعني الأمازيغية في مشرووع الدكتور عباس الجراري، فيكفي في 1970 يقف الأستاذ عباس الجراري في المحاضرات ويتكلم على العلماء الأمازيغيين ما قبل الإسلام وعلى ملوكهم وعلى حضارتهم وفنونهم وثقافتهم،

في ذاك الوقت ليس اليوم لماذا نقول أن هذا التاريخ مهم؟ لأن اليوم الكل يتحدث عن الأمازيغية كلغة معترف بها ولديها قناة رسمية ومدسترة ويتم تدريسها في المدارس والجامعات ولكن في ذاك الوقت كانت الدعوة إلى النهوض بالأمازيغية فقط شيء مهم .»

ومن العناصر المهمة كذالك التي تجعل الدكتور عباس الجراري له علاقة بالثقافة المغربية أن أجداده من أولاد جرار القبيلة المشهورة في سوس والقريبة من مدينة تيزنيت وهي معروفة بالعلماء والمفكرين .

ومن بين ما قاله الدكتور عباس الجراري في السبعينيات والستينيات في ذاك الوقت على الأمازيغ والثقافة المغربية : « إننا نمر بفترة دقيقة من تاريخنا يجب أن نكون فيها حذرين متيقظين ليس فقط لألا تطمس معالم شخصيتنا وملامح قوميتنا، وإنما لنكون جيلا أو لنكون جيلا متجانسا في تفكيره عارفاً بتراثه لا أثر فيه للفروق الثقافية التي نعاني منها، كما نعاني من آثار كبيرة خلقتها لنا مدرسة الاستعمار والتي هي أساساً ما نحسه من شعور بالقلق والإضطراب.»

شهادة السيدة أمينة الدهري

أستاذة التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني
أستاذة الترجمة وتحليل الخطاب بكلية آداب المحمدية

كيف يسعف المجال حديثاً حقه أن يكون أحاديثاً، ولعل من الأحق أن لا تنتهي وما القول عن رمز علمي خبر الثقافة المغربية وخبرته ما أنف على ستة عقود من الفاعلية الرصينة في بناء مشروع علمي تغير وجدان تكاملية الثقافة في المغرب في ضوء تحولاتها المعرفية والجمالية، تكاملية ثقافية وسمت مشهد أستاذنا الدكتور عباس الجراري في تشييد اختلاف الكتابة في الأدب المغربي وعنه، بما يكون ثقافة وطنية تنحت من التاريخ ومن ذات الهوية ومن نصوص نصية لا تميز بين التراث منها والمعاصر مما يخول للمغرب خصوصية ألح عليها الأستاذ في مؤلفاته ومحاضراته وتأطيراته الأكاديمية.

تلك التكاملية التي تقارب الفكر المغربي بسعة تقرأ النص وفق مداخل متعددة، إذ النص المغربي ينتج عن تجاور الأدبين المدرسي والشعبي، وبذا زادت ريادته الأكاديمية في اقتراح رسائل وأطارح عن الملحون بعد كتابه الماهد الرائد «لقصيدة»، وقد نجم عن التفاعل بين الكتابتين تبين ما للإبداع الشعبي من قدرة على الارتقاء بالمتداول الشفاهي في الجمع والتوثيق والمقاربات الإشكالية لبلورة جمالية خطاب تداولي متفرد.،

كان أستاذنا مؤطراً أكاديمياً ذا صدر مرحب بالاختلاف، ومنبه إلى ضرورة أن يكون العمل إضافة إلى ما تقدم، كان ناقداً يفكك ما استغلق في مقاربة الثقافة المغربية وكان مفكراً تنويرياً وكان مبدعاً في كتابة القصيدة الشعرية، وفي اهتمامه بالسيرة الذاتية، وفيما له علاقة بالمضي إلى أفق ثقافي مغربي وعربي أرقى يحمل أصالته ودعوته إلى تحولات تحترم إنسانية الإنسان، تعكس أستاذيته شخصية وعلما وأخلاقا، ومواقف يعز أن لا ترى في مختلف مؤلفاته.

ليس ما تقدم حديثا، ولكنه مدخل إلى أحاديث لا تنتهي ولا يسعف المجال إلا بإشارات إلى عالم عالم ورمز ثقافي مبرز أستاذنا الدكتور عباس الجراري.

شهادة منير البصكري
أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

دعوني سيداتي سادتي أولا لأتوجه بخالص التحيات لأستاذي الجليل الدكتور سيدي عباس جراري عميد الأدب المغربي

ثم ثانياً لأهنئه بالتكريم المستحق الذي حضي به فن الملحون كتراث إنساني عالمي من قبل اليونسكو، وهذا التتويج والاستحقاق جاء نتيجة الجهود الجبارة التي بذلها أستاذنا في مجال الملحون فإليه يعود الفضل في سبر أغوار هذا النمط من التعبير مبرزا خصوصياته ومثابرا على إحيائه والمحافظة عليه بكل إخلاص وتفان.

طبعا هي جهود كبيرة أراد من خلالها أستاذنا الجليل تعريف الناس بماهية الملحون الذي يتناول كل القضايا التي ينبغي أن تعرف عن الملحون بدءا من اللغة إلى الأغراض والأشكال والأساليب الفنية، ثم إلى طرق الإنشاد والأداء حيث أعطى للملحون المكانة التي يستحقها، ولولاه لما عرف الملحون اليوم هذه الصحوة المباركة،

فإلى جانب كتاباته الغنية حول الملحون وتأطيره الرصين، وإشرافه المتميز بغير قليل من البحوث الجامعية هو أيضاً رئيس لجنة الملحون التابعة لأكاديمية المملكة المغربية، أنفق الكثير من الوقت والجهد في سبيل أن يشهد فن الملحون نهضة كبيرة وهي نهضة تقارب اليوم خمسين عاماً وذلك من خلال أعماله الرصينة ودعمه المتواصل للباحثين وتشجيعه الدائم للشعراء والمنشدين والمبدعين، والجمعيات المهتمة بفن الملحون،

فكل هذه الجهود تستحق الإشادة والتنوية والتقدير وتدل على مدى التشبث بأصالاتنا واعتزازنا بهويتنا، كما تدل في الآن نفسه على مستوى الوعي والرقي الثقافي والنضوج الفكري والفائدة العلمية والقيمة لتراثنا الملحون تراثنا المغربي الأصيل والذي يشكل مادة خصبة للبحث العلمي في جامعاتنا.

كل ذلك وغيره بفضل هذا الرجل الذي يعتبر في وطننا بل في كل الأقطار العربية والإسلامية وغيرها قمة في السمو الخلقي والشموخ العلمي.

حفظ الله أستاذنا الجليل بما حفظ به الذكر الحكيم

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كلمة الأستاذ عباس الجرَّاري

في الحقيقة أنني يوم التحقت بهيئة التعليم وأنا كنت أصلا في وزارة الشؤون الخارجية ولكن حين اخترت أن ألتحق بوزارة التعليم كنت مزودا بثقافة المعلم «والدي» معلم من أقدم رجال التعليم، وتدرج في مختلف المراكز، وأصبح مفتشا عاما للتعليم في المغرب وأنا كنت مشبعاً بهذه الروح ولهذا التحقت للتعليم في الجامعة وفضلته على عملي في وزارة الخارجية، أنا كنت موظفاً سامياً في وزارة الخارجية وكنت في بعض السفارات في الخارج ولكن مع ذلك فضلت أن أكون منضما إلى هيئة التدريس، لاعتبار أن مهمة المدرس والتدريس والمعلم مهما كان من التحضيري أو من الابتدائي إلى العالي فهي مهمة شريفة، فهؤلاء الذين يكونوا أجيال، ولكن حين التحقت بالجامعة كانت عندي أولاً تجربة قديمة وثم كنت أسعى إلى أن أجعل من الدرس الجامعي ليس درسا جامعيا كما يوجد في جامعة في أي بلد، ولكن ارتأيت أن يكون الدرس الجامعي مفيداً للوطن، وبدأ الطلاب يبحثون في الأقاليم المختلفة:

هذا يبحث عن شاعر من سوس وهذا عن كاتب من الصحراء، وأصبحت هناك نهضة في الجامعة من خلال الدرس الجامعي الذي كان يطلق عليه «الأدب المغربي» في الحقيقة أنا لا أخفي أنني في كل مرة أستمع إلى أحد زملائي أو أحد طلابي، إلا وأشعر بشيء من الافتخار والاعتزاز لما أضحوا عليه من المكانة العلمية ومما يتمتعون به من أخلاق رفيعة ومما لاحظته من خلال زمالتي لهم في الجامعة فهم من خيرة الأساتذة ومن الأساتذة الكرام الذين يبذلون جهودا حثيثة و كبيرة للنهوض بالدرس الجامعي ، وهم تحت نظري وأنا أراقب وأشعر بالكثير من الفخر والاعتزاز، لأنني أشعر بهم كأبنائي ولا يكون المرء قابلا ليكون أحد أفضل منه إلا الأستاذ حين يكون له من تلاميذه من يتفوق عليه، ومعروف عندنا في تقاليدنا أنه لا يقبل أحد أن يكون شخص آخر أفضل منه إلا ولده، فالحمد لله أنه تخرج في الجامعة وبفضل النظام الجامعي وبفضل الإمكانيات يعني أنه تخرج على يدي مجموع من الطلبة تفوقوا علي بمجوداتهم و بمحاضراتهم وهم الآن موزعون في كل مكان الحمد لله وهذا هو ما يبعث على الارتياح .»

(يلقي بيت شعري في حق زوجته)

إلى من هواها في الفؤاد يجدد

مع السنين أوارها يتوقد

أهدي الأمان بالأطايب ضمخت

والسعد يغمرها وما قد يحمد

لحميدتي

والقول ليس بمسعفي لكن حالي عن شعوري يشهد

كلمة حميدة الصائغ
في حفل تقديم
ترجمة كتاب «بين التنمية والثقافة» إلى اللغة الصينية

الحمد لله
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

السيد رئيس جامعة محمد الخامس،
السيد سفير جمهورية الصين الشعبية لدى المملكة المغربية،
السيدة لي ننج، مديرة معهد كونفوشيوس الصينية،
السيدة كريمة اليثربي مديرة معهد كونفوشيوس المغربية،
السيد ناصر بوشيبة،
السادة الحضور الكرام، مغاربة وأجانب، كل باسمه وحيثيته.

لا أجد بداية لحديثي معكم أحسن من قوله تعالى: ﴿ومَا تَشاؤُونَ إلّا أنْ يَشاءَ الله﴾، ذلك أن تقديم ترجمة كتاب «بين التنمية والثقافة» للّغة الصينية كان مقرراً يوم الاثنين 22 يناير 2024، بعد أن أكمل معهد كونفوشيوس كل الاستعدادات والإجراءات، ووزعت الاستدعاءات، ولكن شاءت الأقدار الإلهية أن ينتقل مؤلفه الدكتور عباس الجراري إلى العالم الآخر، يومين قبل، أي السبت 20 يناير 2024، وتوقف اللقاء الذي كان سيختم بتدخل منه أمامكم بعد مشاهدة ما تمّ تصويره وتسجيله كاملا.

واليوم يأبى المنظمون إلا أن يشاركوننا جميعا المشاهدة والاستماع لآخر نشاط للمرحوم عباس الجراري، صوتا وصورة، في بيته بحيّ الرياض، حيث إقامته مع أسرته الصغيرة وبناديه «زهرة الآس» الذي كانت تلتئم فيه كل جمعة نخبة من الشباب الجامعيين مع الأعضاء الذين أنشئوا النادي أيام مؤسسه المرحوم العلامة عبد الله الجراري، والذي خلفه ابنه البار عباس، وضمن الاستمرار وعمل على التجديد فيه لإحداث حركة فكرية ونهضة أدبية اعتمدت العروض والنقاش في الجلسات، وتشجيع التأليف والنشر، والاهتمام بصقل الذوق تكوينا وترويجا بما كان يدعو له من وصلات موسيقية بين أندلسي وملحون وسماع وأغان طربية شرقية ومغربية، يقدمها أعضاء من النادي الجراري الذي اكتملت تشكيلته المتنوعة والجامعة.

وقد دخلت كذلك كاميرا معهد كونفوشيوس لمكتبه الذي شهد حواراته، والذي حبَّر فيه العديد من كتاباته التي بقيت شاهداً على ما بذله لخدمة الثقافة والتراث المغربيين.

وجالت عدسة المصور بين أروقة مكتبته التي ما كان يفارقها أو يبتعد عنها إلا مضطرا، الشيء الذي عرفه صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، وعبر عنه يوم توسيمه للمرحوم الذي شرف بجعل مكتبته ومتعلّقاتها لصاحب الجلالة ورهن إشارته، فرد حفظه الله «بعد عمر طويل إن شاء الله».

وكانت مشيئة الله ﴿وإذَا جَاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتاخِرُون سَاعةً ولَا يَسْتقدِمُون﴾.

ومرت قرابة ثلاثة أشهر أقيم خلالها زوال الجمعة 23 فبراير 2024 أمسية تأبين عميد الأدب المغربي المرحوم الدكتور عباس الجراري، بمدرج الشريف الإدريسي، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس، وتلتها أربعينية الفقيد العزيز صباح السبت 24 فبراير 2024، بقاعة القرويين بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله بفاس، ثم لحقتها يوم 17 أبريل 2024، بنفس القاعة جلسة قراءة في منجز الدكتور المرحوم، تناولت ستة من كتبه كلحقة أولى، وكانت بتنظيم من الجمعية المغربية للدراسات الأكاديمية العربية، التي شاركت كذلك في الأربعينية.

واليوم، واستجابة لطلب الأختين الصديقتين، الدكتورة كريمة اليثربي والسيدة لي ننج، والسيد الدكتور ناصر بوشيبة ورفيقه، حضرتُ رغم الظروف العصيبة التي أعيشها، ولكنّي لا أريد تفويت الفرصة لأشكر المنظمين والمسيرين والساهرين على هذه التظاهرة الثقافية الحصرية في نوعها ومضمونها، والتي تجسد التعاون والتبادل بين المملكة المغربية وجمهورية الصين الشعبية، سعيا للتنمية باستثمار ذهني وبشري مما تتواصل الدعوة له والاستنهاض في مجاله من صاحب الجلالة الملك محمد السادس، ضامن ازدهار الوطن وجالب الحب والاحترام من كل العالم للسياسة الرشيدة والحكيمة التي ينتهجها ليس لصالح شعبه وحده أو القارة الإفريقية فحسب، ولكن لخير الإنسانية جمعاء، كان الله في عونه وسدد خطاه في كلّ مساعيه، ومتّعه بالصحة والعافية وسخر له المخلصين الأوفياء، إنه سميع مجيب.

وفي غمرة هذا اللقاء المتفرد في طابعه، والذي جعلني أعيش إحساسين متناقضين، أولهما مُرّ بطعم الفراق الذي اكتويت به لغياب رفيق الدرب وشريك الحياة غيابا أبديا، لا أنتظر بعده رجعة، وثانيهما إحساس بالفرحة لأني عشت معه لحظات أراه بعيني يتحرك في

جنبات بيته ومكتبته وناديه، كما ألفته سنوات وأسمع حديثه فتهزني نبرات صوته المنغم، ويطالعني وجهه البشوش بابتسامته الخفيفة الآسرة الجذابة.

صحيح أن من الأموات أحياء... وهذا الشريط الذي شاهدناه جعلنا نرى أستاذنا المرحوم حيّا، متحركا أمامنا، وإني لعاجزة عن إيفاء الساهرين على معهد كونفوشيوس الشكر والتنويه الذي هم أهلٌ له لما قدموه.

إلا أنّ مثل هذا اللقاء لن يكون الأخير، فربط العلاقات بين المملكة المغربية وجمهورية الصين الشعبية يكتسي أهمية قصوى للحاجة إليها قوية ومتينة، وخيط الثقافة وحبل التنمية أقوى طريق وأسلكه وأدومه.

وأستسمحكم لأشهدكم أني لمست من خلال لقاءاتي المتعددة، لمست عن قرب بعض ما يتفرد به القائمون على المعهد من مزايا كريمة وخصال نبيلة طبعت سلوكهم وكشفت فكرهم متجلية في القيم الإنسانية السامية، التي تحكم معاملاتهم وعلاقاتهم، وفي الجهود التي يبذلونها بجد وحزم ومثابرة، مما حدا بي لأمدهم أو على الأصح أثري مكتبتهم ببعض كتب المرحوم أستاذنا عباس الجراري.

وإنّي على يقين لا يخامرني أي شك في أن كتاب «بين التنمية والثقافة» لن يكون إلا بداية لسلسلة من الترجمات لبعض كتب عميدنا تغمده الله بواسع رحمته، ووفق في ذلك إدارة معهدكم كونفوشيوس والمترجمين والسفارة التي ترعى نشاطهم، متمنية لهم دوام السعادة والهناء، واطراد التوفيق والسداد في جميع أعمالهم.

وعندي أنه على هذا النهج وفي سياقه، يندرج تخليد فقيدنا المشمول بعفو الله عباس الجراري، آملة أن ينفع الله بعطاءاته الأدبية والفكرية التي كانت موسوعية، وبكلّ ما أسداه لوطنه المغرب، وللإنسانية جمعاء من أياد بيضاء جليلة غراء، وأن يثيبه عنها بالجزاء الأوفى، وأن يكرمه برفقة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

واسمحوا لي إن كنت أطلت.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

حميدة الصائغ الجراري

ملحـق الصور

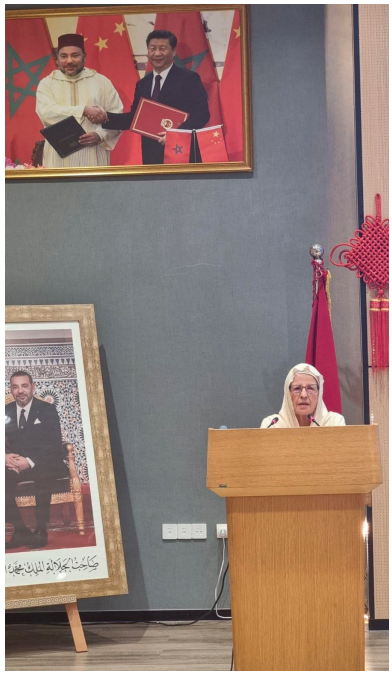

تنبيه

لمن يريد متابعة فيديو الحفل صوتاً وصورة الرجوع لموقع
عميد الأدب المغربي

www.abbesjirari.com

الفهـرس العـام

الصفحة

إهداء 7
شكر وامتنان 9
الرسالة الملكية السامية لتعزية أفراد أسرة الفقيد 11
تعزية و شكر لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله 15

القسم الأول:
شهادات وعروض كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس - الرباط 21

تقديم الندوة للأستاذ محمد الدرويش 29
عبد اللطيف ميراوي 33
فريد الباشا 35
ليلى منير 37
زهور گرام 39
سعيد بنسعيد العلوي 43
أحمد شحلان 49
إبراهيم المزدلي 53
قاسم الحسيني 57
نجاة المريني 63
سيدي محمد الروگي 71
محمد الداهي 73
لي نينغ (Li Ning) 77
عمر أفا 81
كريمة اليتربي 85
عمر أمرير 91
بشرى البداوي 107
كلمة الأسرة لحميدة الصائغ الجراري 113
الملحق 115

القسم الثاني :
شهادات وعروض أعضاء النادي الجراري بتعاون مع المكتبة الوطنية للمملكة المغربية 117
تقديم الندوة - مصطفى الجوهري 123
لطيفة مفتقر 131
عبد الحق المريني 133
سعد الدين العثماني 135
عبد العزيز بن عثمان التويجري 141
محمد احميدة 147
عبد الكريم بناني 151
نور الدين اشماعو 157
عبد الواحد بنمسعود 159
الصورة التذكارية للأستاذ المرحوم مع بعض رفاقه في القاهرة 163
المختار النواري 165
أحمد شوقي بنبين 173
قاسم الحسيني 177
مصطفى الزباخ 183
منير البصكري الفيلالي 189
جمال بنسليمان 195
أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الله 201
أحمد السوسي التناني 205
محمد أبو الهدى اليعقوبي 207
كلمة الأسرة لمحمد الجراري 209
ملحق الصور 212

القسم الثالث :
شهادات وعروض قدمت بالمعرض الدولي للنشر والكتاب في دورته 29 بالرباط 2024 215
إبراهيم المزدلي 217
حميدة الصائغ الجراري 221
مصطفى الجوهري 225

عبد الحق عزوزي 229
فيصل الشرايبي 237
الملحق 239

القسم الرابع
حفل تقديم ترجمة كتاب بين التنمية والثقافية إلى اللغة الصينية 241
برنامج الحفل 243
عبد الحق المريني 245
عبد الحق العزوزي 247
عمر أمرير 249
أمينة الدهري 251
منير البصكري 253
عباس الجراري 255
حميدة الصائغ الجراري 257
الملحق 260